الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ وعلوم الآثار
شعبة التاريخ

أبو عبد الله المقّري(ت759 هـ)
ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي لدول المغرب الإسلامي

من إعداد الطالبة:
فافة بكوش

إشراف الدكتور:
جيلالي بلوفة عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د بلحاج معروف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان – رئيساً
د. عبد القادر جيلالي بلوفة	أستاذ محاضر – أ–	جامعة تلمسان – مشرفاً
أ.د بودواية مبخوث	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان – مناقشاً
د. العايب معمر	أستاذ محاضر – ب–	جامعة تلمسان – مناقشاً

السنة الجامعية:1432هـ/2011-1433هت/2012م

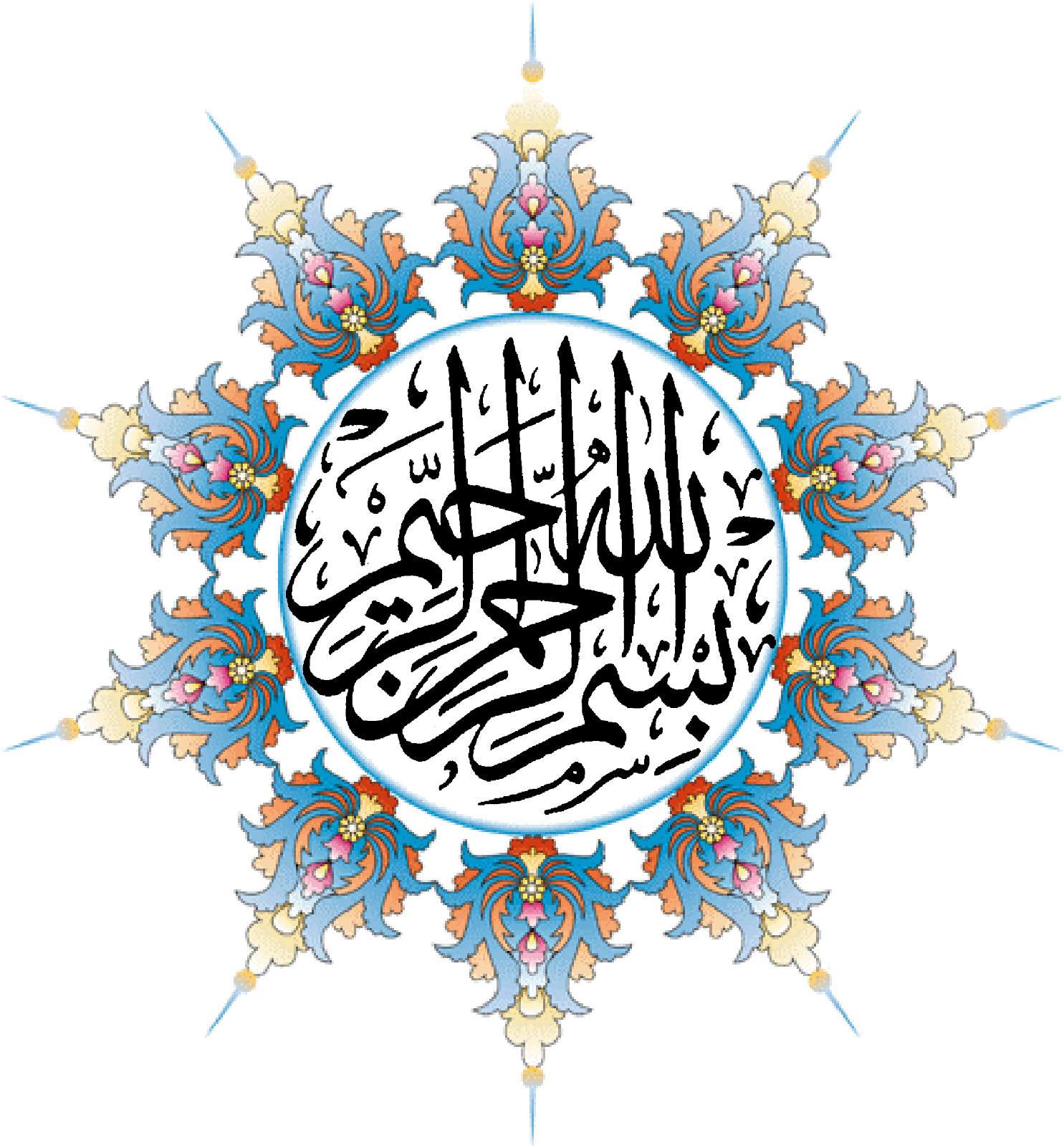
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسمِ اللهِ الرّحمَانِ الرّحِيمِ :

(قُلْ هَلْ يَستَوِي الذِينَ يعلمون والذين لا يعلمون إنَّما يتذكَّرُ أولوا الألباب) الآية 09 من سورة الزمر

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ». صحيح مسلم

قال أبو عبد الله بن مرزوق الجد في المقّري: « كان صاحباً الــمقّري معلوم القدر، مشهور الذكر، مــمن وصل إلى درجة الاجتهاد المذهبي، ودرجة التخير والتزييف بين الأقوال، وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى النفع به يوم اللقاء »

جاء في صدر كتاب " الزهر الباسم " :

إذا ذُكرتْ مَفَاخِرُ أهلِ فَاس ذَكرْنَا مَن أَتــَي مِن تِلمسانَ

وقُلنَا هَلْ رَأيتُم فِــي قُــضاةٍ شَــبيهًا للفَقِيهِ العَدلِ ثَانــِي

ونَفسُ العِلمِ إنْ شَانَتْ لِشخصٍ فَمَا لِلمَقّري فِي العِلمِ شَانــِي

قائمة المختصرات الواردة في البحث :

ص : صفحة.

ص ص : صفحتين متتابعتين.

ص– ص : ما بين الصفحتين.

ع : عدد.

مج : مجلد.

ج : جزء.

ط : طبعة.

تـــ : توفـــي أو المتـــوفي.

ب. ط : بدون طبعة.

ب. ت : بدون تاريخ.

ب.م : بدون مكان.

(...): حذف لفظة، جملة أو أكثر من القول المستشهد به.

الإهـــــــــــداء

❖ **إلى من بفيضهم ازدان فكري ووجداني:**

أمّي.....وأبي.....وجدّتي، منبع الحكم والإلهام وأخواتي: فاطمة الزهراء، سلاف هبة الله، رميساء حليمة السعدية، شيماء. جمعنا الله في سرور على رضوانه في الدّنيا والآخرة.

❖ **وإلى نور وضياء العائلة" نور الدين" نوّر الله دربه.**

❖ **إلى قرّة عين العائلة: لخضر سيف الإسلام.** حفظه الله ورعاه.

❖ **إلى كل أفراد عائلة بكوش، وعائلة كبِير**

شكر وتقدير

عجزاً ألوذ ببضعة أحرف تعبيراً عن جزيل شكري وعظيم امتناني لأستاذي الدكتور جيلالي بلوفة عبد القادر الذي رعى هذا المنجز فكرة ومشروعاً، تقويماً وتهذيباً....وأبداً أبقى شاكرة لفضله وحافظةّ له.

وكم أودّ أن تسعفني الكلمات للتعبير عن امتناني لأعضاء لجنة المناقشة على صبرهم ورحابه صدورهم وسعة حلمهم في قراءة هذا العمل وتثمينه.

وأتقدم بعظيم التقدير والامتنان إلى الأساتذة :أد. مبحوث بودواية، د.بن داود نصر الدين، ود.بلعربي خالد، لما أبدوه من عون.....ولما أتحفوني به من المصادر والمراجع....فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وشكر خاص إلى زملائي في العمل على رأسهم السيد: لربيي محمد، والسيد: عليلي جلول، وأستاذنا الفاضل: نعار محسن، والأستاذنا الفاضل: نعار محسن، والأستاذ: هادف لخضر دون أن أنسى رفيقاتي: جلولي نادية، غزالي حليمة، مريم، عائشة، منصورية، زينب، مريم، رضوان، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ.

إلى من سهر على إخراج هذا العمل بهذه الحلة البهية: لعباني عبد القادر، والسيد: محمّدي محمّد.

وأشكر أسرى الذاكرة من الإخوة والأخوات والأصدقاء الذين ساندوني كل بتسمه وذكراه.

فـــــــافـــــة

مقدمة

مقـــدمـــــة:

سجل القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي ببلاد المغرب الإسلامي نشاطا ملحوظا في المجال العلمي والفكري، حيث نبغ فيه عدد كبير من العلماء في مختلف العلوم والفنون، الذين كان لهم أثر بالغ في إرساء دعائم النهضة العلمية بحواضر المغرب الإسلامي مثل تلمسان وتونس وبجاية وفاس وغرناطة، كما كان لهم الدور في التواصل العلمي فيما بين هذه الحواضر، وذلك من خلال رحلاتهم العلمية إليها، فمعظم هؤلاء العلماء جابوا أقطار العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب على وجه الخصوص إما بقصد التتلمذ أو الاستفادة أو التدريس أو المناظرة أو ممارسة وظيفة القضاء في هذا البلد أو ذاك، لذا ارتأينا القيام بدراسة تاريخية تخص أحد هؤلاء الأعلام ورحلاتهم العلمية، فكان عنوان الموضوع موسوما بـــ "**أبو عبد الله المقرّي (تـــ 759هـــ) ورحلته العلمية بين تلمسان و حواضر المغرب الإسلامي**".

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يؤرخ لأحد العلماء الذين أنجبهم المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر ميلادي، والذي شارك في إثراء الحركة العلمية بالمنطقة وذلك من خلال رحلته العلمية إلى حواضرها.

وكان اختيارنا للموضوع مبنيا على عدة عوامل يمكن إجمالها فيما يلي:

- الأهميـــة البالغة لدراسة التراجم التاريخية والتعريف بها في مختلف الجوانب، حيث يسعى دارسوها إلى الكشف عن أدوارها البارزة والفعالة في مختلف النواحي لاسيما العلمية منها والسياسية، كما أنّ الدراسات التاريخية أصبحت لا تستغني عن مثل هذه المواضيع، مما دفعني إلى البحث في تاريخ أشهر الأعلام الذين أنجبتهم تلمسان خاصة وبلاد المغرب عموما في عهد صراع سياسي، ولعل شخصية **الـــمقّري** أحد أشهر هؤلاء الأعلام الذين يحتاجون إلى مزيد من البحث والدراسة.

- قلة الدراسات المتعلقة بهذه الشخصية، إذ أنّه لم ينل حظه من الدراسة والبحث رغم مكانته العلمية، لاسيما إذا ما قورن الأمر مع حفيده "**أبو العباس أحمد المقّري** " صاحب كتاب "**نفح الطيب**" الذي نال عناية الدارسين والباحثين.
- محاولة إبراز دوره ومساهمته في إثراء الحياة الفكرية بالمغرب والأندلس والتعريج من خلال ذلك على أسرته التي تعتبر من الأسر التي ساهمت في نشر العلم وخدمة الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص من خلال تعدد أفرادها المشهورين بالعلم والمعرفة والذين شغلوا وظائف هامة بالمنطقة خاصة منها القضاء والفتوى والتدريس .
- محاولة إظهار مدى تأثير الأوضاع السياسية على الحركة العلمية ببلاد المغرب خلال القرن 8هـ/14م .
- لتبيان أهمية الرحلة العلمية ومدى حرص علماء المغرب الإسلامي على القيام بها والتنقل بين الحواضر العلمية حتى في أحلك أوقات الصراع السياسي وأزمنة القطيعة بين الدول.
- إلى جانب هذا كان وراء اختياري للموضوع قناعات وميول شخصية وهي رغبتي في المساهمة في كتابة تاريخ المغرب في العصر الوسيط وأن يكون هذا العمل إضافة معرفية للمكتبة.

وتتمحور الإشكالية التي نطرحها ضمن هذه الدراسة حول إبراز دور **أبو عبد الله المقّري** بحواضر المغرب الإسلامي ومدى مساهمته في التواصل العلمي بين هذه الحواضر، وذلك من خلال التعرف على جوانب حياته ونشاطه العلمي ومؤلفاته، ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- من هو أبو عبد الله المقّري ؟
- ما هي أبرز مميزات عصره ؟
- ما هي جوانب نبوغه ؟ وما هي أبرز مؤهلاته العلمية ؟

- ما هي دوافع رحلته إلى حواضر المغرب الإسلامي ؟ وإلى أي مدى ساهم في إثراء الحياة الفكرية بالمغرب والأندلس ؟
- ما مدى مساهمته في التواصل العلمي فيما بين الحواضر المغربية ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعت خطة مكونة من مدخل وثلاثة فصول، تناولت في كل فصل جملة من النقاط، ففي المدخل ألقيت نظرة على واقع الحركة العلمية بحواضر المغرب الإسلامي مع التركيز على ظاهرة العلماء والرحلة العلمية.

أما **الفصل الأول** فخصصته للتعريف بشخصية **أبي عبد الله المقّري** وحياته بتلمسان، حيث تركز البحث في ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول خصصته لعصر العالم **أبو عبد الله المقّري** ومميزاته السياسية والثقافيـــة، أما المبحث الثاني فقد شمل التعريف بأسرته ومولده ونشأته، أما المبحث الأخير فقد تضمن سيرته العلمية من طلبه للعلم ومتزلته العلمية.

أما **الفصل الثاني** فخصصته لرحلته العلميـــة بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامـــي، وتركز هو الآخر في أربعة مباحث، فتضمن المبحث الأول منه رحلته العلمية نحو حواضر المغرب الأدنى من ذكر أسباب الرحلة ومميزاتها نحو بجاية وتونس، وفي المبحث الثاني تناولت رحلته إلى المغرب الأقصى والأندلس، ثم تلي ذلك المبحث الثالث الذي شمل رحلته المشرقية من خلال ذكر رحلته إلى الحج وتنقلاته بين أقطار المشرق، أما المبحث الرابع والأخير فتضمن رحلته الثانية إلى المغرب الأقصى والأندلس، فشمل رحلته إلى فاس وسفارته إلى غرناطة ثم عودته إلى فاس ووفاته.

أما **الفصل الثالث** والأخير فخصصته لدوره العلمي بحواضر المغرب الإسلامي من خلال رحلته العلمية، حيث تطرقت في ذلك إلى دوره في التعليم والتأليف والقضاء والفتوى وأشرت إلى طريقته في القضاء والفتوى ثم عرضت نماذج منهما، وأخيرا استعرضت أهم مواقفه وأرائه ودورهما في إصلاح أوضاع عصره.

وختمت البحث بخاتمة ضمنّتها أهم النتائج المتوصل إليها ثم أتبعتها بملاحق متنوعة تخدم البحث.

أما **المنهج المتّبع** في هذا البحث كان المنهج التاريخي، حيث اعتمدت على ما تيّسر لي الوصول إليه من مصادر ومراجع ذات صلة بالموضوع في تتبع مراحل حياة **أبو عبد الله المقّري** ورحلته العلمية بصفة خاصة، وتاريخ الفترة التي عاش فيها بصفة عامة، ثم حاولت استخدام مقومات البحث العلمي من بحث وتحليل واستنباط ومقارنة لمعرفة أسباب ودوافع رحلته ثم نتائجها.

ولا أنفي وجود بعض الصعوبات التي تواجه أي باحث في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي، منها عدم توفر المادة العلمية بشكل كبير خاصة منها المتخصصة، حيث كل ما توفر لدينا كان عبارة تراجم قصيرة مما صعّب علينا الوصول إلى كثير من أثار **أبو عبد الله المقّري**، كما أهملت المصادر التاريخية الجانب الوظيفي له ومنهجه في العمل، و المادة العلمية المتوفرة فهي مبعثرة ومتناثرة في مصادر ومراجع متعددة مما تطلب منّا مجهود في جمعها ومقارنتها، ومن بين هذه الصعوبات أيضا الظروف الصعبة المتمثلة في الجمع بين مهنة التدريس والدراسة، غير أنّ ذلك لم يثني من عزيمتي في مواصلة البحث.

- **مصادر ومراجع البحث:**

موضوع بحث كهذا لا يتوفر على مصادر تاريخية خاصة، لكن مادته العلمية وجدت متفرقة بين عدد كبير من المصادر والمراجع، يمكن تصنيفها على النحو التالي:

- **كتب التراجم والطبقات:**

- كتاب "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** "لأبي عبد الله محمد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم (كان حيا سنة 1025هـ/1616م)، يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث، والذي ترجم فيه لحوالي 126 عالم سواء من أهل

تلمسان أو ممن جاء إليها واستقر بها، فكانت الاستفادة منه كونه ترجم للمقّري وبعض أفراد أسرته، فذكر شيوخه وتلاميذه ورحلاته العلمية ومؤلفاته.

- كتاب "**الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** " لبرهان الدين بن على بن محمد بن فرحون اليعمري (تـــ 799هـــ/1397م)، وقد قدم فيه ترجمة لحوالي 625 عالم من علماء المالكية بدءا بالإمام مالك حتى عصر المؤلف، وكتاب "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" لأبي العباس أحمد المعروف ببابا التنبكتي (تـــ1036هـــ/1627م) وقد ضّم هذا الكتاب هو الآخر تراجم لعلماء وفقهاء المالكية في المغرب والأندلس والمشرق، وتكمن أهمية هذا المصدر في تعرضه لترجمة **أبو عبد الله المقّري** وشيوخه من المشرق وحواضر المغرب الإسلامي، إضافة إلى تلامذته.

- كتاب "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب** "لأبي العباس أحمد ابن محمد المقّري التلمساني (تـــ1041هـــ/1631م) وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس، وهو من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث، حيث تكمن أهميته في كونه أمدّنا بالترجمة الوافية عن جدّه كما لخص لنا رحلته العلمية وهو في ذلك يتعرض لشيوخ **أبي عبد الله المقّري** من بلاد المشرق والمغرب.

- كتاب "**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**" لمؤلفه أبو العباس أحمد الغبريني (تـــ704هـــ/1304م)، وهو عبارة عن تراجم لمشاهير وأعلام بجاية من شيوخ العلم ورجال الدين الذين اشتهرت بهم في القرن 7هـــ/13م، وقد اعتمدنا عليه في ترجمة شيوخ **أبو عبد الله المقّري** ببجاية وتصوير الحركة العلمية بها.

- كتاب "**درة الحجال في أسماء الرجال** " لابن القاضي (تـــ1025هـــ/1616م) وقد ترجم فيه لرجال من الأعيان من القرن 7هـــ/13م إلى أوائل القرن 11هـــ/17م، ورغم قصر التراجم فيه إلا أنّ فائدته كبيرة لاسيما عند تعرضه لتراجم مغربية وأندلسية.

إضافة إلى هذا كانت الاستفادة من مصادر أخرى منها كتاب " **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**" لمحمد بن محمد مخلوف المالكي الذي انتهى من تأليفه سنة (1350هـ/1930م) وقد ترجم فيه لحوالي 1849 عالم من علماء المالكية من جميع الأقاليم والبلدان الإسلامية، وكتاب "**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** " لمحمد السخاوي (ت902هـ/1499م)، وكتاب"**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** "لابن عماد الحنبلي (ت1089هـ/1680م) وكتاب "**ألف سنة من الوفيات**" الذي حققه محمد حجي، وهو يضم إضافة إلى كتاب "**وفيات ابن الخطيب**"كتاب "**وفيات الونشريسي**" لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1511م)، وكتاب "**لقط الفرائد من لفاضة حقائق الفوائد**"لأبي العباس أحمد بن القاضي (ت1025هـ/1616م)، وكانت الاستفادة أيضا من كتاب "**فهرس الفهارس**" للكتاني وكتاب "**تعريف الخلف برجال السلف**" لأحمد القاسم الحفناوي (ت1365هـ/1942م)، وكتاب"**هدية العارفين**" للبغدادي، ولا نستثني في هذا العرض كتاب " **معجم أعلام الجزائر** "لعادل نويهض، الذي ساهم في تسهيل عملية البحث إذ جاء بتراجم مختصرة مع ذكر مصادرها ومراجعها في الهامش، الأمر الذي كان له أهمية كبيرة، وكتاب"**الأعلام** "للزر كلي وكتاب"**معجم المؤلفين**" لرضا كحالة وغيرها.

- **كتب الرحلات:**

- كتاب"**التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**" لعبد الرحمن ابن خلدون(ت808هـ/1406م) وهو عبارة عن سيرة ذاتية كتبها لنفسه وعرّف فيه بشيوخه منهم "**أبو عبد الله المقّري**" ومن ذلك كانت الاستفادة منه، خاصة عند تعرضه لرحلة **المقّري** إلى فاس والأندلس وبلاد المشرق والوظائف التي تقلدها، فكان من أهم مصادر البحث.

- كتاب" **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**"وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بـ "**المسالك والممالك**"لأبي عبيد بن عبد العزيز البكري (ت487هـ/1094م) وقد اعتمدنا عليه في وصف بعض المدن المغربية، لاسيما منها التي تتعلق بأسرة **المقّري**.

- كتاب"**وصف إفريقيا**" للحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي(تـــ957 هـــ/1552م) والتي سجل فيها وصف المدن والأقاليم التي مر بها ببلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى رصده بعض المعالم الثقافية بالمنطقة.

زيادة على ذلك فقد اعتمدنا على بعض الكتب الجغرافية في تحديد بعض المواقع التي وردت في الدراسة أو وصف بعض المدن، ومنها كتاب"**معجم البلدان**" لياقوت الحموي(تـــ626هـــ/1228م) وغيرها.

- **كتب النوازل:**

وهي كتب الفتاوى الصادرة عن الفقهاء في مختلف القضايا وأبرزها:

- كتاب "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب**" لأحمد بن يحي الونشريسي (تـــ914هـــ/1511م) وهو من أهم الكتب التي نقلت لنا العديد من فتاوى العلماء والفقهاء تجاه قضايا كثيرة، وتكمن أهميته في أنّه جمع لنا فتاوى الإمام **أبو عبد الله المقّري** في قضايا مختلفة.

- كتاب "**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** "لأبي زكريا يحي بن موسى المازوني(تـــ883هـــ/1478م، وهو الآخر يعد من أهم الكتب التي جمعت فتاوى كبار علماء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي ومنهم الإمام **أبو عبد الله المقّري**.

- **كتب البرامج :**

وهي مصادر ذات قيمة علمية كبيرة إذ تكمن قيمتها في إعطائنا صورة واضحة عن نشاط التعليم للأساتذة و المشايخ وطرق التدريس وأهم الكتب المتداولة، وبناء على ذلك اعتمدنا على كتاب من هذا النوع وهو كتاب "**برنامج المجاري** "لأبي عبد الله المجاري الأندلسي (تـــ862هـــ/1458م) وقـــد عرض فيه شيوخه حسب الحواضـــر الإسلامية وشيوخ شيوخـــه، ومنهم **أبو عبد الله المقّري** فأفادنا في معرفة العلوم والكتب التي كانت محور حلقات دروسه.

- **كتب التاريخ العام :**

كتاب"**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"لعبد الرحمن ابن خلدون (تـــ808هـــ/1406م) خاصـــة الجزء السابـــع، فكانت الاستفادة منه في رصد الأوضاع السياسية التي ميزت عصر **أبو عبد الله المقّري** كون صاحبه خبير بمنطقة المغرب الإسلامي، كما تعد "**المقدمة** " لكتاب العبر من المصادر الهامة لهذه الدراسة لكونها تضمنت الجانب الثقافي والعلمي في العالم الإسلامي عامة، إذ تعرض فيها **ابن خلدون** لمناهج العلوم وتطورها بالمنطقة.

كتاب"**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ليحي ابن خلدون (تـــ780هـــ/1379م) وهو في جزأين، فاعتمدنا على الجزء الأول منه والذي يعدّ من أهم المصادر التي رصدت لنا الحياة الثقافية للدولة الزيانية خلال القرن الثامن الهجري فاستفدنا منه في استقراء عصر **أبو عبد الله المقّري** وانجاز تراجم للعديد من العلماء، يضاف إلى هذا بعض الكتب التاريخية الهامة مثل كتاب "**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**"لأبي عبد الله محمد بن عبد الله التنسي (تـــ899هـــ/1494م)، وهذا الكتاب هو الباب السابع من القسم الأول من كتاب "**نظم الدر والعقيان**" وكانت الاستفادة منه في تتبع التطورات السياسية للدولة الزيانية وأيضا فيما يخص عناية سلاطينها بالعلم والعلماء.

إضافة إلى هذه المصادر يمكن ذكر كتاب"**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**" لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني (تـــ781هـــ/1379م) وقد اشتمل على معلومات تخص الجانب الثقافي للمغربين الأقصى والأوسط في عهد سيطرة الدولة المرينية وما أضافه سلاطينها من منشآت بتلمسان ومدى مساهمتهم في دفع الحركة الثقافية والفكرية بالمنطقة.

وكذلك كتاب "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**" لعلي ابن أبي زرع الفاسي(تـــ726هـــ/1325م) والذي تعرض فيه للصراع الزياني المريني، وقد تطرق في سياق ذلك إلى بعض الجوانب الحضارية.

إضافة إلى كتاب "**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** "لمؤلفه أبي عبد الله الزركشي (تـــ864هـــ/1498م) وهو يحتوي على معلومات قيّمة عن دولة الموحدين والحفصين، وكانت استفادتنا من القسم الثاني الخاص بالدولة الحفصية الذي ضّم تطورها السياسي وعرّج من خلاله على علاقاتها مع الدول المجاورة كالدولة الزيانية والمرينية، فاعتمدنا عليه في انجاز عصر **أبو عبد الله المقّري** .

ولا نستثني في هذا العرض مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب (تـــ776هـــ/1374م) التي تعدّ من أهم المؤلفات التي اعتمدنا عليها في الدراسة لاسيما منها كتاب"**الإحاطة في أخبار غرناطة** "والذي ترجم فيه لشيوخ وعلماء غرناطة وجميع الذين وفدوا عليها، ومنهم "**أبو عبد الله المقّري** "وبما أن الخطيب هو أحد تلاميذه فقد أفادنا كثيرا في ترجمته وسفارته إلى غرناطة وتدريسه بمدرستها، إضافة إلى كتابيه "**كناسة الدكان** " و"**اللمحة البدرية**" اللّذان استفدنا منهما كثيرا في تصوير رحلته إلى الأندلس.

- **الدراسات الحديثة:**

تكملة لما أوردته المصادر، فقد استعنّا بمجموعة من المراجع والدراسات الحديثة المنشورة وغير المنشورة والتي ساهمت في كتابة الموضوع من زوايا مختلفة ومن أهمها كتاب "**أبو عبد الله محمد المقّري التلمساني** "للأستاذ عبد الهادي أبو الأجفان، وكتاب"**المقري وكتابه نفح الطيب**"لمحمد بن عبد الكريم، وكتاب"**أعلام الفكر والثقافة بالجزائر المحروسة**"ليحي بوعزيز الذي تناول فيه تاريخ أشهر العلماء الذين أنجبهم المغرب الأوسط، وكتابات الأستاذ عبد الحميد حاجيات منها: "**التاريخ السياسي لدولة بني زيان**"وهو جزء من كتاب "**الجزائر في التاريخ في**

العهد الإسلامي" وكتاب"**أبي حمو موسى الزياني حياته وأثاره**" وكتاب"**تلمسان في العهد الزياني**" لعبد العزيز فيلالي وكتاب"**الغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـ)**"لأحمد عزاوي وغيرهـــا، كما استّفدنا من بعض الرسائل الجامعية ذات الصلة بالموضوع منها أطروحة الأستاذ نصر الدين بن داود"**بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**" ورسالة الأستاذة سعاد رباح "**منهج الإمام المقّري في الفتوى من خلال المعيار المعرب للونشريسي**" ومذكرة"**العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك**" لـــ بالأعرج عبد الرحمان إضافة إلى بعض المقالات، وغيرها من المصادر والمراجع على اختلاف درجة استغلالها، و هي مثبتة في فهرس ببلوغرافية هذا البحث.

وفي الأخير أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور **جيلالي بلوفة عبد القادر** الذي وافق على هذا الموضوع وعلى الإشراف عليه، وعلى ملاحظاته القيمة وإرشاداته السديدة وتوجيهاته التي أفادني بها، فله مني كل الشُّكر وخالص عبارات الثناء والامتنان والاحترام. وجعلهُ الله ممّن يدخل في قوله تعالى: [**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**][1].

والله ولّي التوفيق

الثلاثاء 25 المحرم 1433هـــ/ 20ديسمبر 2011م

بـــ: سعيـــــدة.

[1]- سورة المجادلة، الآية 11.

مدخل

لاشك أن ما يلاحظ على الحركة العلمية والفكرية ببلاد المغرب الإسلامي بداية من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أنّه رغم حالة الاضطراب السياسي الذي عرفته المنطقة[1] عقب سقوط الدولة الموحدية[2]، هذه الأخيرة التي بدأ نفوذها يتراجع تدريجيا بهذا الإقليم منذ هزيمتها في معركة حصن العقاب[3] (609هـ/1212م) بالأندلس، الأمر الذي كان له انعكاسات خطيرة على الوضع ببلاد المغرب، وفتح الباب واسعاً أمام تنافس حاد وتطاحن كبير بين الدويلات التي حلت محل الدولة الموحدية وهي الدولة الحفصية بتونس(625هـ/1227)[4]،

[1]- أسبابها كثيرة منها الفتن الداخلية حول التنافس على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة لكل دولة والحروب الدائمة بين دول المغرب الإسلامي من أجل التوسع وبسط النفوذ على المنطقة، إضافة إلى خطر النصارى، ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، **ترجمان العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**:ج7، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص90 وما بعدها؛ الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1985، ص143 وما بعدها؛ عبيد بوداود ، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(13-15م)**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص156 وما بعدها.

[2]- هي أول دولة استطاعت أن توحد بلاد المغرب والأندلس وأن تجمع بين السلطة السياسية والزعامة الروحية نشأت سنة (524هـ/1229م)، اتخذت من مراكش عاصمة لها، قاومت النصارى وتصدت لزحفهم المتكرر في الأندلس، كما واجهت النزاعات الداخلية إلى إن سقطت نهائياً على يد بني مرين سنة (668هـ/1269م) ينظر حولها: ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م، ص183 وما بعدها؛ عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص136 وما بعدها؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور،المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص7وما بعدها؛ ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، ج4، نشر كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1963، ص231 وما بعدها.

[3]- تعرف عند الأسبان باسم las naves de tolosa الذي يعني الوديان الفسيحة، دارت في موضع يعرف باسم العقاب بين الجيش الموحدي بقيادة محمد الناصر (595هـ-610هـ/1199-1212م) وبين الجيش الاسباني المسيحي بقيادة ألفونسو الثامن، انتهت بهزيمة المسلمين وانتصار الأسبان، ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص ص 238-239، عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص136.

[4]- نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني من قبيلة هناته إحدى بطون المصامدة، وهو من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة، تأسست الدولة على يد أبي زكرياء يحي الأول واستمرت إلى غاية 943هـ/1536م، ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ص231؛ الوزير السراج، المصدر نفسه،ج2، ص؛ ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس(ب ت)، ص107 وما بعدها؛ ابن أبي دينار، **االمؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، لبنان، 1993، ص ص153-154.

والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان (633هـ/1236م)[1]، والدولة النصرية[2]بغرناطة (623هـ/1231م) والدولة المرينية بالمغرب الأقصى (668هـ/1295م)[3] كانت عاصمتها فاس، إذ كانت كل دولة من هذه الدويلات تدّعي بأّحقيتها في ميراث الدولة الموحدية، مما أدى بالجميع إلى الضعف والانقسام في الوقت الذي كانت فيه الممالك الاسبانية تتوحد وتسترد المدن الأندلسية وحصونها الواحدة تلوى الأخرى.

ومهما يكن من أمر فالذي يهمنا هنا، هو أنّه رغم الأحداث الجسام التي عاشتها منطقة المغرب إلا أنّها شهدت في نفس الفترة ازدهار الفكر والثقافة[4]، وذلك من المفارقات التاريخية ومن غرائب مجريات الأحداث، فالحياة العلمية لم تأخذ نفس منحى الحياة السياسية، ومرد ذلك جملة من العوامل المشّجعة التي استطاعت أن تقف في وجه الحالة السياسية المتردية منها:

---

[1]- نسبة إلى زيان والد السلطان يغمرا سن، وتسمى أيضا الدولة العبد الوادية نسبة إلى بني عبد الواد وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته، تمتد مواطنهم من بني راشد شرقا (جبال سعيدة وجبال عمور)إلى واد ملوية غربا، عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص73، وما بعدها؛ يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، الجزائر، 2007، ص186؛ التنسي، **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص111؛ خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**، دراسة تاريخية وحضارية (633-681هـ/1235-1282م)،ط1، المكتبة الوطنية، تلمسان، 2005، ص45.

[2]- نسبة إلى الشيخ يوسف بن نصر، وتسمى أيضا بدولة بني الأحمر، حكم بنو نصر الأندلس إلى غاية سقوط غرناطة(897هـ/1492م)، لسان الدين ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط3، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص42 وما بعدها.

[3]- هم فخذ من قبيلة زناته البربرية وهم أبناء عمومة مع بني عبد الواد، تأسست دولتهم على يد يعقوب بن عبد الحق، ينظر:ابن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1991، ص ص 19-29؛ ابن زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص14؛ أبو العباس الناصري السّلاوي، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، اعتنى به محمد عثمان، مج3، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص05.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص219؛ محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص339؛ عبد الحميد حاجيات، **تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة الحضارة، ع1، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ/1993، ص40؛ يحي بوعزيز، **الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد بن مرزوق الخطيب وأحمد بن قنفذ الخطيب**، مجلة دراسات جزائرية، ع 01، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1997، ص67.

النـــزعة العلمية التي اتصف بها بعض سلاطين وأمراء دول المغرب الإسلامي كتشجيعهم للعلماء ونصرتهم لهم[1]، فهؤلاء السلاطين رغم تنافسهم حول بسط النفوذ والسلطة وانشغالهم بالحروب ومواجهة الفتن الداخلية، فقد كانت أيضا المنافسة قائمة بينهم في مجال العلوم والآداب[2] حيث تنافس كل من الحفصين والمرينين والزيانين حول تقريب العلماء واختيار كبار الكتبة والفقهاء والأدباء وإدراجهم في المجالس العلمية وبعض الدواوين والرفع من شأنهم[3].

وما يوضح جانبا من تلك المنافسة ما قام به السلطان **"الزياني يغمرا سن"**[4]مع العالم **"أبي بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي"**(تـــ686هـــ/1287م)[5]، الذي اختاره لكتابة الرسائل إلى الخليفة الحفصي **"المستنصر أبي عبد الله بن أبي زكرياء"** (647هـــ-

---

[1]- محمد عادل عبد العزيز، **التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية الماسة للكتاب،1987م، ص 106؛ عيسى بن الذيب وآخرون، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1984، ص 145.

[2]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، **الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 437؛ محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 215؛ محمد مشنان، **المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية**، مجلة رسالة المسجد، ع 87، جويلية، 2003، ص 56.

[3]- عيسى بن الذيب، المرجع نفسه، ص 138؛ محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص 208.

[4]- هو يغمرا سن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أول من استقل بتلمسان وجعلها قاعدة لحكمه الفتي ومقر إدارته، بويع يوم مقتل أخيه زيان بن زيان سنة 633هـــ/1235م، أبدى شجاعة كبيرة في مواجهة المرينيين والحفصيين، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 204؛ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص ص 51-53؛ عطاء الله دهينه، المرجع السابق،ج3، ص 360.

Barges (Ij), **complément de l'histoire de Beni Zeyan-rois de Tlemcen**, Ernest Lanoux librairie, Paris, 1887, P21.

[5]- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي، نزيل تلمسان من أهل مرسية، كان من أبرع الكتاب خطا وأدبا وشعرا ومعرفة بأصول الفقه، كتب بغرناطة عن ملوكها وارتحل إلى تلمسان وكتب بها عن الأمير أبي يحي يغمرا سن بن زيان، وتوفي بها يوم عاشوراء سنة (686هـــ/1287)، ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، اعتنى به عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 227؛ لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، ط1، مكتبة خانجي، القاهرة، 1974، ص ص 275 – 278؛ يحي بن خلدون، المصدر نفسه، ج1،ص129.

675هـ/1249م-1277م)[1]، هذا الأخير الذي عمل كل ما في وسعه لاستقدام **"ابن الخطاب"** للكتابة عنده، فأرسل له أموالا كثيرة لهذا الغرض، إلا أنّ **"ابن الخطاب"** اعتذر له وردّ له أمواله[2]. وكان من مظاهر اهتمام الحكام والسلاطين بالعلماء أيضا توليّتهم الوظائف الحكومية كالكتابة لعلامة السلطان، أو السفارة أو القضاء فمثلا نجد أنّ السلطان **"أبـــي الحسن المريني"** عيّن **"عبد المهمين الحضرمي"** ككاتب علامته[3]، ثم من بعده **"أبي القاسم بن رضوان المالقي"**، كما عيّن أشهر العلماء كسفراء بينهم وبين ملوك غرناطة مثل **" لسان الدين ابن الخطيب"** و**" أبو عبد الله الـــمقّري"** [4]وغيرهم.

كما يبرز اهتمام سلاطين دول المغرب الإسلامي بالعلم والعلماء من خلال عنايتهم الفائقة بإنشاء المؤسسات العلمية الخاصة بالعلماء وبطلبة العلم وإجراء الجرايات لصالح العلماء والمدرسين والمؤلفين والخطاطين[5]. ولم يقتصر اهتمامهم على ذلك بل تعدى الأمر بهم إلى الإشراف المباشر في بعض الأحيان على المجالس العلمية والمنابر التي تلقى فيها الدروس في مختلف العلوم، ففي ذلك جاء عن السلطان **"المريني أبو يوسف"** ماهد الدولة المرينية(656هـ-1258 /685هـ-1286م[6] أنّه كان من عادته بعد صلاة الصبح أن يقرأ بين يديه -إلى وقت الضحى- الضحى- كتب السير والقصص وفتوح الشام فيستمع إليها ويناقش الحاضرين في مشكلاتها وفي ليالي رمضان يسهر مع العلماء ليذاكرهم في فنون العلم إلى ثلث الليل الأخير[7]، وجاء عن

---

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحي، أمه عطف رومية الأصل، حكم في الفترة ما بين (647هـ/1249م و675هـ/1277م) وهو أول من تلقب من الحفصيين بأمير المؤمنين سنة 657هـ عندما جاءته بيعة الحجاز، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 157.

[2]- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 426-427.

[3]- عبد الرحمن ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007،ص20؛ محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 106.

[4]- ينظر: الفصل الثاني ص96.

[5]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 127-128؛ ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 260.

[6]-هو أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق يكنّى أبا يوسف، ولد عام (609هـ/1212م)، وبويع سنة (656هـ/1258م)، توفي عام (685هـ/1286م)، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 27.

[7]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 264؛ محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 1996، ص 235.

ابنه "**أبي مالك عبد الواحد**" أنّه كان محبًا للأدب والتاريخ، مقربًا للعلماء والفقهاء، يجالس أهل العلم والفقه والأدب ويناظرهم[1].

كما حرص من سلاطين الدولة الزيانية "**أبو تاشفين الأول**"(718هـ1318م/737هـ - 1337م)[2] على إقامة المجالس العلمية والأدبية في قصره، فكان لا يفارقهما أبداً، نظرا لما يدور فيها من مناظرات بين الفقهاء والعلماء والأدباء[3].

وحتى من سلاطين دولة بني الأحمر وأمرائها من شغف بالفنون وولع بالأدب مثل" **أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل**"(ت755هـ/1354م)و"**أبي الوليد إسماعيل بن يوسف الثاني**" (ت705هـ/1305م)، كما كان من وزرائها من ينتمي إلى صّف الأدباء والشعراء[4].

ومـــمّا كان له دور في تنشيط الحركة العلمية بدول المغرب الإسلامي، ذلك الإرث الفكري والحضاري للموحدين، إذ أنّ الدعوة الموحدية كانت تحمل في طياتها بذور نهضة علمية حقيقية، لما بذله أصحابها وأمراؤها من جهود كبرى من أجل نشر تعاليم الإسلام في سائر الأنحاء[5]، إذ تميّز عهدهم بالاجتهاد وحرية الفكر خاصة في المعتقدات والفقهيات، فتأثرت مدن المغرب الإسلامي بهذه النهضة الفكرية وبمختلف التيارات السائدة آنذاك[6].

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 221؛ محمد منوني، المرجع السابق، ص 235.

[2]- هو عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن يغمرا سن بن عبد الواد الزناتي أبو تاشفين، حكم تلمسان من (718هـ-1318م)إلى(737هـ-1337م)، كان يؤثر عنه حبه للعلم والعلماء، التنسي، المصدر السابق، ص 139؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 215؛ ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2001، ص 72.

[3]- أحمد المقّري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968، ص ص 218-223.

[4]- الشاطبي، **الإفادات والإنشادات**، تحقيق أبو الأجفان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، مقدمة التحقيق، ص15.

[5]- عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص437؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 321؛ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 146.

[6]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص223؛ المهدي بوعبدلي، **أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ**، مجلة الأصالة، ع 26، الجزائر، ص124-125.

وما ينبغي التنويه إليه أنّ الحياة العلمية بهذا الإقليم استفادت كثيرا من هجرة علماء الأندلس أثناء المد الإسباني نحو المدن الأندلسية[1]،فقد حمل العلماء المهاجرون علومهم وآدابهم وفنونهم إلى مدن المغرب وقاموا بتنظيم حلقات العلم والدروس داخل المساجد والمدارس المشهورة بالمدن المغربية[2]، فساهموا بشكل كبير في إثراء الحياة الثقافية بالمنطقة وهذا ما أكدّه **ابن خلدون** بقوله:« **وأما المغرب فانتقل إليه من دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت من عوائدها لـــما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس**»[3].

فكان من الطبيعي وسط هذا الجو من التشجيع والإثراء أن تقوم بإقليم المغرب الإسلام مراكز ثقافية هامة لا تقل مكانة عن مراكز العلم بالمشرق الإسلامي مثل تونس[4]وبجاية[5] تونس[4]وبجاية[5] وتلمسان[6] وفاس[7] ومراكش[1] إلى جانب حواضر الأندلس الكبرى التي تعتبر

---

[1]–عبد الحميد حاجيات،المرجع السابق،ج3،ص437؛ عبيد بوداود،المرجع السابق،ص 45؛ ألفرد بل،**الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تر عبد الرحمان بدوي،(ب ط)،دار الغرب الإسلامي،(ب ت)،ص 330.

[2]– عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص273؛ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري،ص 208؛ محمد بن رمضان شاوش،**باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1993،ص401.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005، ص 299.

[4]– تونس:كانت لها أهمية خاصة بعد تأسيس القيروان بها سنة(50هـــ/670م)التي صارت عاصمة افريقية وبلغت أوج عزها على أيام الملوك الأغالبة خلال القرن(3هـــ/9م)، فكانت مركزا ثقافيا وصناعيا هاما ومحطة للقوافل وسوقا للتجارة، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، دار صادر، بيروت، 1986، ص 432.

[5]– بجاية وتسمى الناصرية نسبة إلى الناصر بن علناس بن حمّاد، بناها في حدود سنة 468هـــ/1076م)، كانت عاصمة لدولة بني حماد وصارت خلال القرن 8هـــ/14م عاصمة لفرع من الحفصين وقد كانت مزدهرة ثقافيا وتجاريا، ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج2،ص62؛ الإدريسي أبو عبد الله، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تح محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 116-117؛ حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تح محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص50.

[6]– تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، لها أسواق ومساجد ومسجد أعظم وهي دار ملك زناته،البكري، **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، نشره البارون دوسلان،المكتبة الأمريكية والشرقية،باريس،1965،ص ص 76-77؛ الحميري،**الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، ط1-ط2، مكتبة لبنان ، بيروت، 1975-1984، ص135.

[7]– أسست فاس على يد إدريس الثاني سنة(194هـــ/808م) ثم بنى عدوة القرويين سنة(195هـــ/809م)، اشتهرت كمركز ثقافي خلال القرن العاشر الميلادي وازدادت أهميتها في عهد الموحدين، وبلغت أوج عزها في عهد المرينين خلال= =القرنين 13 و14م الذين شيدوا بها الجوامع والمدارس، علي الجز نائي، **جنى زهرة ألآس في بناء مدينة فاس**، تح عبد الوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 18؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج6، ص329.

تعتبر جزءا من هذا الإقليم ومن صنعه وإبداعه، فأصبحت بذلك هذه المدن في مصاف حواضر العلم والأدب بالعالم الإسلامي آنذاك، حيث أخصب فيها الفكر وازدهرت بها الحياة العلمية وقد تجلى ذلك من خلال عدة ظواهر علمية متعددة منها انتشار معاهد التدريس من مساجد ومدارس التي كانت حافلة بطلاب العلم، وانتشار المكتبات العامة والخاصة، وظهور عدد من المؤلفات لعلماء هذه المدن وتنوع العلوم المتداولة من علوم نقليه وعقلية شملت بمحتواها جميع العلوم المعروفة بتلك الفترة.

ولّما كان للحركة العلمية ألاّ تزدهر إلاّ حيث تنتشر المراكز التعليمية، فإنّه كان من حظ حواضر بلاد لمغرب الإسلامي احتضان عدد كبير من هذه المؤسسات بما فيها الزوايا والمساجد والجوامع مثل الجامع الأعظم بتلمسان[2]وجامع الزيتونة[3] بتونس، وجامع القرويين بفاس[4]، والجامع الأعظم[5] وجامع القصبة ببجاية[6]، إضافة إلى هذه الجوامع كان انتشار المدارس التي

---

[1]- مراكش مدينة عظيمة بالمغرب الأقصى، اختطها يوسف بن تاشفين في حدود سنة454هـ/1062م، وكانت عاصمة دولة الموحدين، ياقوت الحموي، المصدر نفسه،ج8، ص7.

[2]- يعد هذا المسجد من أهم معالم الفن الإسلامي بالمغرب الأوسط، شيد بقلب المدينة في عهد المرابطين على يد يوسف بن تاشفين سنة(473هـ/1080م) ثم قام الأمير علي بن يوسف بترميمه سنة (530هـ/1135م)، محمود بوعياد، **جوانب من الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982، ص81.

(G)Marçais et William, les **monument arabes de Tlemcen ,** fonte oing, paris, 1905,pp162-169 .

Rachid Bourouiba, **l'art religieux musulman en algèrie**, send, 1973, p71.

[3]- هو جامع كبير في غاية الجمال و السعة كثير المستخدمين عظيم الموارد، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 76.

[4] - قامت ببنائه فاطمة الفهرية سنة (244هـ/859م)، على الجزنائى، المصدر السابق، ص45.

[5]- شيد خلال القرن5هـ/11م، بجانب قصر اللؤلؤة، يبدو انّه من بناء السلطان الحمادي المنصور بن علناس، الغبرينى، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 222 .

[6]- محمد الشريف سيدي موسى، **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13-16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2001، ص78.

تطورت وأخذت أشكالا متقدمة خاصة في القرن الثامن للهجرة الذي أصبح فيه تأسيس المدارس ينافس بناء الجوامع، رغم تأخر ظهورها ببلاد المغرب عن بلاد المشرق[1].

فالراجح أن سلاطين دول المغرب الإسلامي كانوا يهدفون من وراء إنشاء المدارس في المقام الأول إلى نشر التعليم والثقافة وتوجيه الرعية حسب مصلحة المذهب من جهة، وما يتماشى ومصلحة الدولة من جهة أخرى، حيث وجدت المدارس ببلاد المغرب من أجل المذهب المالكي وإبطال بدعة الموحدين ومذهبهم في الاعتقاد، فكانت هذه المدارس حكومية رسمية تابعة للدولة وكل مدّرسيها من المالكية.

ومن أهم المدارس وأشهرها ببلاد المغرب الإسلامي نجد بتونس المدرسة"**الشماعية**" التي أسسها السلطان الحفصي"**أبو زكرياء يحي الأول**"(تـ647هـ/1249م)سنة (633هـ/1235م) لترسيخ المذهب المالكي بتونس وقد عرفت بأم المدارس[2]، ومدرسة "**عنق الجمل**" التي بنتها أخت السلطان "**أبي يحي أبي بكر**" سنة(742هـ/1342) وأنشأ" **الحاجب عبد الله بن تافراجين**"[3] مدرسة بقنطرة ابن الساكن داخل باب سويقة، بالإضافة إلى المدرسة "**التوفيقية**"[4]التي أسست في عهد "**المستنصر بالله**" و"**المدرسة المستنصرية** "أسست مابين (839هـ و841هـ)[5]، كما اعتنوا بتعمير المكتبات ووضعها بين أيدي طلاب العلم[6].

---

[1]- ظهرت كمؤسسة نظامية ذات نظام تعليمي وإداري ومالي في المشرق منذ القرن 5هـ/11م، ثم امتدت إلى مختلف أنحاء العالم، فظهرت ببلاد المغرب خلال القرن6هـ/12م على يد يعقوب المنصور الموحدي(580هـ-595هـ/1184م-1198م) الذي بنى أول مدرسة بسلا سنة593هـ ، الغبريني، المصدر نفسه، ص ص100-101.

[2]- القلصادي، **رحلة القلصادي**، تح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1985، ص 115؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص134.

[3]- بنو تافرجين هؤلاء من بيت الموحدين في تينملل، وولي كبيرهم عمر بن تافراجين على فاس أول ما ملكها الموحدون سنة 540هـ إلى أن فتحوا مراكش، أبو عبد الله الشمّاع ، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 91.

[4]- بنتها الأميرة عطف زوجة أبي زكرياء يحي في عهد ابنها أبي عبد الله محمد المستنصر مع الجامع المسمى بجامع التوفيق، كان أول مدرس بها أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي (تـ657هـ/1261م)، ابن الشمّاع ، المصدر نفسه، ص63.

[5]- عبد العزيز بومهرة، **التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن من الهجرة**، مجلة التواصل ع11،جامعة باجي مختار،عنابة، ديسمبر 2003، ص128؛ محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص81.

[6]- ابن الشمّاع، المصدر نفسه، ص63.

أما عن أشهر المدارس بتلمسان مدرسة "**ابني الإمام**"التي أنشأها السلطان "**أبو حمو موسى الأول**"(707هـ -1307م/718 هـ -1318م) و المدرسة "**التاشفينية**" التي أنشأها ابنه "**أبو تاشفين**" (718هـ -1318م/737هـ - 1337م)[1]، كما حظيت تلمسان أيام استيلاء "**أبي الحسن المريني**" ببناء "**مدرسة العباد**" سنة (748هـ/1348م) [2] وأسس ابنه "**أبي عنان**" مدرسة بالقرب من ضريح الولي الصالح "**أبي عبد الله الشوذي**" الملقب "بسيدي الحلوي"[3]؛ وأسس السلطان "**أبو حمو موسى الثاني**" "**المدرسة اليعقوبية**" سنة(765هـ/1364)، فقد وصف "**حسن الوازن**" هذه المدارس بأنّها: « **حسنة جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء ،...شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس** »[4].

ومن أشهر المدارس بالمغرب الأقصى "**مدرسة الحلفائين**" أنشئت سنة(670 هـ/1271م) عرفت فيما بعد"**بمدرسة الصفارين**" [5]ومدرسة "**العطارين**" التي أمر ببنائها السلطان "**أبو سعيد المريني**" إزاء جامع القرويين سنة (725هـ/1324م)[6] وأنشأ "**أبو الحسن المريني** "حين كان وليا وليا للعهد مدرسة "**الصهريج**" أو "**المدرسة الكبرى**" بعدوة الأندلس بفاس مابين سنتي (721-723هـ/1321-1323م) وعندما تولى الحكم أنشأ "**المدرسة المصباحية**"[7] فقد أشتهر عنه أنه

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره**،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982، ص 60-61؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص227؛ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص132 .

Rachid bourouiba, op .cit, p135

(G) marçais et William, op.cit, p21.

[2]- العباد، قرية صغيرة تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوبا شرق تلمسان، دفن بها الشيخ أبو مدين شعيب وعلماء صالحون و ملوك، ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص406؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24.

[3]- هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي (تـ737هـ/1337م)، كان قاضيا باشبيلية ثم فر بنفسه من القضاء، ونزل تلمسان في زي المجانين و سمي بالحلوى لأنه كان يطوف في السوق و بيده طبق من عود فيه حلوى الصبيان، يحي بن خلدون ، بغية الرواد ، ج1، ص ص 187-188؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 68-70.

[4]- حسن الوزان ، المصدر نفسه، ج2، ص19.

[5]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص405؛ علي الجز نائي، المصدر السابق، ص81؛ أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج3، ص65؛ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 239 .

[6]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص411-414؛ أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج3، ص112.

[7]- نسبة إلى أحد العلماء المرنيين وهو أبو ضياء مصباح بن عبد الله الياصلوتي (تـ750هـ/1349م)، ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص406؛ الناصري ، المرجع نفسه، ج3، ص176؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 324.

أنشأ في كل بلد من بلاد المغرب مدرسة[1]، كما أنشأ خليفته" **أبو عنان فارس**" بمدينة فاس سنة 750هـ/1349م "**المدرسة المتوكلية**" أو "**العنانية**"[2]، فما يلاحظ حول انتشار المدارس بالمغرب الأقصى أنّ معظمها تركز في العاصمة فاس، حيث ذكر أنّ فاسا تحولت إلى جامعة من كثرة انتشار المدارس بها .

أما في الأندلس فقد تأخر ظهور المدرسة بها إلى منتصف القرن الثامن الهجري، فكانت أول مدرسة أقيمت بها هي مدرسة "**غرناطة**" أو " **المدرسة النصرية** " على عهد "**أبي الحجاج يوسف**" (733هـ-755هـ/1332-1354م)[3] التي وفّر لها النصريون كل مقومات المدرسة الجامعة، فعدّت من أكبر مراكز العلم في المغرب الإسلامي[4].

أما ببجاية فإنّنا نجهل أسماء المدارس التي كانت موجودة بها، علما أنّها كانت منتشرة بهذه الحاضرة بشكل كبير، وهذا بشهادة الرحالة و الجغرافيين الذين زاروا بجاية مثل "**حسن الوزان**" الذي ذكر مايلي:« **وبجاية بها جوامع كافية و مدارس يكثر فيها الطلبة والأساتذة في شتى العلوم** »[5].

كما كانت من مظاهر النهضة العلمية التي ميزت حواضر العلم ببلاد المغرب الإسلامي، تطور مناهج وأساليب التعليم بها، فقد كانت لإسهامات الجالية الأندلسية ورحلة علماء المغرب إلى بلاد المشرق فائدة جليلة، حيث تركت بصماتها الإيجابية في تطوير أساليب التدريس وطرق تلقي المعلومات وطرائق الاستفادة منها وذلك بواسطة تجاوز الطريقة التقليدية المعتمدة سابقا[6].

---

[1]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 46.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص 225 -227؛ محمد عادل عبد العزيز، المرجع نفسه، ص ص 58-59.

[3]- هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن نصر الأنصاري ألخزرجي أمير المسلمين بالأندلس، يكنّى أبا الحجاج، تولى الملك بعد وفاة أخيه عام(733هـ / 1332م)إلى غاية (755هـ / 1354 م)، ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ص 102-109.

[4]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 109.

[5]- حسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص50؛ محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص81.

[6]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص160؛ الفرد بل، المرجع السابق، ص ص 37-160؛ محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص64.

فممن قام بهذا التغيير بعض الشيوخ والأعلام الذين اعتمدوا المنطق والجدل وفي مقدمتهم في تونس **"ابن زيتون"**[1] الذي رحل إلى المشرق وأخذ عن العلماء هناك ورجع إلى تونس بعلم كثير وتعلم حسن فانتشرت طريقته في التدريس[2]، وأخذها عنه**"محمد ابن عبد السلام الهواري"** الذي أصبح مدرس القرن الثامن للهجرة[3] فاعتنى بالجمع والتحليل والإملاء وفتح المجال في إلقاءه للبحث والسؤال، فأخذ عنه أعلام ذلك العهد وحفظوا طريقته في التحليل والمحاورة وابتعدوا عن أساليب الحفظ والاستظهار[4].

وساهم في هذا الازدهار أيضا مدّرس بجاية **"أبو علي ناصرالدين المشذالي "**[5] الذي كانت طريقته تمتاز بكثرة البحث و المناقشة[6].

---

[1]- ابن زيتون هو أبو الفضل أبو القاسم بن أبي بكر، قاضي الجماعة بتونس، رحل مرتين إلى الحج و مر في كلتاهما بالقاهرة فأخذ عن شيوخها ولما عاد إلى تونس استقر بها واختص بالتعليم والإفتاء والقضاء مولده سنة(621هـ/1223م) وتوفي سنة691هـ/1291م)، الغبريني، المصدر السابق ص ص 114-115؛ ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**،دراسة وتح مأمون بن محيي الدين الجنان،ط1،دار الكتب العلمية ، لبنان1417هـ/1996م، ص163؛ محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر للطباعة والنشر(ب ت)، ص193.

[2]- عبد العزيز بومهرة، التعليم في المغرب و الأندلس، ص 132.

[3]- النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتابة المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا**، تح ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948، ص ص، 161 -163؛ ابن فرحون، المصدر نفسه، ص418؛ ؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 122؛ الوزير السراج، الحلل السندسية،ج2،ص335؛ التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح احمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1984،ص ص88-91؛ رضا كحالة، **معجم المؤلفين(تراجم مصنفي الكتب العربية)**، دار إحياء التراث الإسلامي(ب ت)، لبنان، ج10،ص171.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص ص 28 -29، عبد العزيز بو مهرة، المرجع نفسه، ص 95.

[5]- هو أبو علي منصور بن أحمد عبد الحق المشذالي من فقهاء وأعلام القرن 7هـ/13م، ولد سنة(630 هـ/1233م) بمالالة قرب بجاية، عارف وعالم بأصول الفقه وعلم المنطق واللغة، ويعتبر أول من نقل مختصر ابن الحاجب الفرعي إلى المغرب بعد رحلته إلى المشرق، توفي سنة(731هـ)، الغبريني، المصدر نفسه، ص ص 200-201؛ ابن قنفذ القسنطيني، **كتاب الوفيات**،تح عادل نويهض،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،لبنان،1982،ص344؛ الحفناوي،**تعريف الخلف برجال السلف**،تقديم محمد رءوف الفاسي الحسني،ج2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص344.

[6]- محمد شريف سيدي موسى، **التربية و التعليم بالجزائر في العصر الوسيط**، حولية المؤرخ، ع 02، 2002، ص95.

واستفادت تلمسان من هذا الازدهار الفكري بفضل علماء ومدرسين انتقلوا إلى بلاد المشرق وتونس و بجاية وغيرها أمثال "**ابني الإمام**" و" **الشريف التلمساني**" ،هذا الأخير الذي روي عنه أنه كان يحب البحث بطريقة الحوار والمناقشة والتحليل إذ كان يرى أنّ نفع الطلبة بها أكثر، لأنّها تجبرهم على الإطلاع على الكتب الكثيرة[1] واشتهرت أيضا على يد "**سعيد العقباني**"[2]، إذ يرى "**ابن خلدون**" أن طريقة التعليم و ملكة التلقي انتهت لدى "**أبي عبد الله الشريف**" و "**سعيد العقباني**" هذا، كما أنّ "**أبا موسى المشذالي**" لما قدم تلمسان نشر طريقة أستاذه "**ناصر الدين المشذالي**" التي قدم بها من المشرق[3].

والراجح أن فاس هي الأخرى استفادت من النهضة العلمية الحاصلة في مجال التدريس بفضل رحلة علمائها شرقا و غربا، بالإضافة إلى الاكتساح المريني المشهور بقيادة "**أبي الحسن**" الذي سعى إلى ضّم علماء بلاد المغرب إلى مجلسه العلمي، فقد انتشروا بعد هزيمته في البلاد يدّرسون وينشرون العلم، فباتصالهم بعلماء تونس و تلمسان وبجاية حاولوا تحسين طرق تدريسهم التي تعتمد على الحفظ عن ظهر قلب دون محاورة أو مناقشة[4]، غير أن الأمر يختلف بالأندلس التي بقي التعليم فيها مقتصرا على الطريقة القديمة وذلك بسبب الحروب مع النصارى وهجرة علمائها إلى المغرب [5].

وما ميّز النهضة العلمية التي شهدتها حواضر المغرب الإسلامي تنوع العلوم المتداولة، فإذا حاولنا إلقاء نظرة عامة وشاملة حول العلوم التي كانت تدرس بهذه الحواضر، فنجد في مقدمتها العلوم الدينية التي تشمل علم القرآن وعلم الحديث والفقه والتصوف والعلوم اللسانية من نحو

[1]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص405؛ علي الجز نائي، المصدر السابق، ص132؛ أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج3، ص65؛ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 239 .

[2]- هو سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني، أخذ عن ولدي الإمام والمشذالي وابن حيدرة في الأدب والتصوف وعن ابن عبد السلام، واختص بالتدريس والإفتاء والقضاء، توفي سنة (811هـ/1408م)، السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج6، منشورات مكتبة دار الحياة، (ب ت)، ص181؛)، ابن مريم، المصدر السابق،ص 106؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 250؛ شهرزاد رفاف، **أبو عثمان سعيد العقباني حياته وأثاره (تـ811هـ/1408م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، المركز الجامعي بشار، 2007، ص ص30-40.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص 473.

[4]- ابن الشّماع، المصدر السابق، ص122؛ محمد المنوني، المرجع السابق، ص ص 458-459؛ عبد العزيز بومهرة ، المرجع السابق، ص133.

[5]- عبد العزيز بومهرة، المرجع نفسه، ص134.

وبلاغة وصرف ونثر وشعر وعلوم اجتماعية كالتاريخ والجغرافيا، وعلوم طبيعية وعقلية وتجريبية كالحساب والفلك والطب والصيدلة، وقد عرّفها "**ابن خلدون**" بالعلوم العقلية[1]؛ غير أنّ العلوم الدينية بقيت تحتل الصدارة، لاسيما دراسة الفقه الذي كان له المقام الأول في هذا العصر، حيث تعدد تأليف العلماء في هذا النوع من العلوم وكثرت تعليقاتهم على المؤلفات السابقة[2].

وبناء على ذلك ارتأينا التنويه ببعض الكتب التي تناولها العلماء بالتدريس والطلبة بالتلقي في هذا المجال من العلوم، وذلك لما تلقيه من الضوء على مجال الدراسة فهي تساعد في تحديد الاتجاه الفكري لـــ"**أبو عبد الله المقّري**" من جهة، وتحديد مدى تأثره بها من جهة ثانية وهذا من خلال رحلته العلمية التي قام بها إلى مختلف الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي.

فمن الكتب التي اتخذت سمة الانتشار في حلقات التدريس وعند الشراح والمعلقين على المصنفات في هذا الفن " **جامع الأمهات** " المعروف "**بمختصر ابن الحاجب الفقهي**" الذي كان له المقام الأول في الانتشار[3]، كما كان" **للمدونة** " و"**تهذيب البراذعي**" حظ كبير من الانتشار، فهم أمّهات المذهب المالكي وعهدته، بالإضافة إلى" **المختصر**" المعروف بـــ"**الرسالة**" "**لأبي زيد القيرواني**" (تـــ389هـــ/998م)، ومن الكتب أيضا التي نالت الاهتمام "**التلقين**" للقاضي "**عبد الوهاب البغدادي**" (تـــ422هـــ/1031م) و" **التفريغ**" لـــ"**أبي القاسم بن الجلاب البصري**"(تـــ378هـــ/988م) و"**التبصرة**" لـــ"**لإمام اللخمي**" (تـــ798هـــ/1104 م) وغيرها من الكتب التي تنوعت اختصاصاتها[4].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص403؛ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص126؛ محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص67.

[2]- عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص439؛ روبار برو نشفيك ، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م**، تعريب حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص308.

[3] - ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 367؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 122؛ حفيظة بلميهوب، **الفقه المالكي في مدرسة بجاية خلال القرن السابع و الثامن الهجريين، (القسم الأول)**، مجلة الدراسات الإسلامية، ع09، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر، جوان 2006، ص 100.

[4]- أبي عبد الله المقّري، **القـــواعـــــد**، تح احمد بن حميد، ج1، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (ب ت)، مقدمة التحقيق، ص49؛ أبو عبد الله الشريف، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، دراسة وتح محمد علي فركوس، ط1، مؤسسة الريان للطباعة و النشر، الجزائر، 1998،ص ص، 42-45؛ عيسى بن الذيب، المرجع نفسه، ص 130؛ محمد الشريف سيدي موسى، المرجع نفسه، ص ص95-96؛ مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 166.

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ الكتاب كان من أبرز مظاهر الوحدة الثقافية بين حواضر المغرب الإسلامي من جهة و ما بينها وبين حواضر المشرق الإسلامي من جهة أخرى، فمن إذ يظهر كتاب هنا أو هناك حتى ينتقل إلى عواصم الثقافة الأخرى بالعالم الإسلامي؛ وبذلك عرفت حواضر العلم ببلاد المغرب الإسلامي جوا علميا زاخرا، كان له تأثيره في تكوين شخصية **"أبي عبد الله محمد الـــمقّري"** العلمية كما سيأتي.

وقد كان لمؤشرات هذه النهضة إفرازات ونتائج ملموسة في الواقع تمثلت في **ظهور شخصية العلماء**[1]، حيث أتاح ذلك الازدهار الفكري لعلماء إقليم المغرب فرصة الحوار والمناظرة والتعمق في البحث والإقبال على دراسة المؤلفات لاسيما الفقهية منها[2]،فساهموا في تطوير الحياة العلمية بالمنطقة إذ شملت إسهاماتهم التدريس فكوّنوا خلفائهم من العلماء و الأئمة، وشاركوا في التأليف فتركوا تراثا علميا زاخرا يحمل طابع الاجتهاد والإبداع ويخص سائر المجالات حتى الرياضيات والفلك اللّذان لم يحظيان قبل ذلك بكثير من التفات العلماء في بلاد المغرب الإسلامي[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ علماء هذا العهد اتصفوا بقوة الشخصية وبلغوا من الشجاعة الأدبية ما يواجهون به الأمراء، ومن ثمّ التأثير عليهم وردّهم إلى جادة الصواب كلّما حاولوا انتهاك حقوق المسلمين وعدم السكوت و الخضوع لهم[4]، ومن بين هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر **"أبو زيد عبد الرحمان ابن الإمام"** (تـــ743هـــ/1343م) الذي واجه السلطان **" أبا الحسن المريني"** عندما أراد جمع المال للجهاد ، فخاطبه قائلا :«**لا يصلح لك هذا حتى تنكس**

---

[1] - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 209؛ عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، ص 40، 209؛ حفيظة بلميهوب، المرجع السابق، ص 100.

[2]– محمد أبو الأجفان، **الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988م، ص 54؛ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 147 .

[3]– عيسى بن الذيب، المرجع نفسه، ص 147؛ عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي ، ص 40.

[4]– أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص53؛ يحي بوعزيز، **أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 12؛ يحي بوعزيز، الأوضاع السياسية في عصر الشيخين محمد بن مرزوق و أحمد قنفذ الخطيب، ص 69.

بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي ابن أبي طالب»[1]، والإمام **"أبو عبد الله الشريف التلمساني"** (تـــ771هـــ/1369) الذي جاء عنه أنّه وقعت مشاهدة حادة بينه و بين السلطان **"أبي عنان"**، فقال له : « **تقريبك إياي قد ضرني أكثر ممّا نفعي ونقص بي ديني وعلمي** » فغضب السلطان وأمر بإلقائه في السجن، ثم أطلقه و اعتذر إليه، لّما بلغ السلطان استياء العامة والخاصة من ذلك [2].

ويعد من هؤلاء أيضا الفقيه " **عبد العزيز القروي الفاسي**" (تـــ750هـــ/1349م) الذي أمره السلطان " **أبي الحسن المريني**" بالخروج مع عامل الزكاة لجمعها فقال له الفقيه : «**أما تستحي من الله تعالى ! تأخذ لقباً من ألقاب الشريعة وتضعه على مغرم من المغارم !" فغضب السلطان وضربه ثم هدأت ثائرته و اعتذر**»[3].

هذه بعض مظاهر بروز شخصية العلماء وقوة شوكتهم وعدم مجاراتهم لأصحاب السلطة في ذلك العصر، فمن المتوقع أن لذلك أثر في النزاع الذي حصل بين السلطان **"أبي عنان "**و **"أبي عبد الله المقّري"** [4].

والظاهرة التي تبرز أمام ظهور شخصية العلماء بحواضر المغرب الإسلامي هي سعيهم لمد جسور الاتصال العلمي بين مدنهم بإقليم بلاد المغرب من جهة وبينها وبين مدن العلم ببلاد المشرق الإسلامي من جهة أخرى[5] وذلك عن طريق **الرحلة العلمية**[6] التي تعتبر من المسائل

---

[1]- ابن مريـــم، المصدر السابق، ص 222؛أحمد بابا التنبكتي، ،**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة،ج(1-2)،ط1،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس،(ب ت)، ص 526؛ القلصادي، المصدر السابق، ص 99؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص221؛رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج9، ص138 .

[2]- أبو عبد الله الشريف،المصدر السابق،ص 75؛ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 146، أحمد بن حميد، مقدمة تحقيق كتاب القواعد، ج1، ص 31.

[3]- أحمد بابا التنبكتي، المصدر نفسه، ص ص269-270.

[4]- ينظر الفصل الثاني،ص ص 99-102.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327؛ محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص48.

[6]- الرحلة في اللغة هي الارتحال والترحيل فيقال رحل الرجل أي سار بمعنى السير في الأرض أي الانتقال من مكان لآخر لتحقيق هدف معين ماديا أو معنويا، محمد بن مكرم ابن منظور،**لسان العرب**، ج11،دار صادر،بيروت، 1990،ص 276؛عبد الحكم الصعيدي،**الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها**،ط1،مكتبة الدار العربية للكتاب (ب م)، 1996،ص16.

المحمودة والتي ينبغي أن تخصّ بعناية من قبل طلاب العلم والعلماء على حد سواء، لما تشتمل عليه من تحصيل للعلم في مختلف الفنون .

فالرحلة في طلب العلم والتجوال في سبيل الدراسة كانا أمرين شائعين بين طلاب العلم في العالم الإسلامي، فقد كان الحرص إلى لقاء الشيوخ و الأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة وتحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه أهمية كبيرة في التعليم في تلك الفترة، فلم يكن يكتفي الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده وإنّما أن يقرأها عليه أو يسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته وحجة في عمله وبدون ذلك لا تصح روايته ولا يوثق بقوله[1]؛ وهذا ما أكدّ عليه "**ابن خلدون**" في مقدمته[2].

وقد شملت الرحلة في طلب العلم حواضر المغرب الإسلامي والأندلس مثل بجاية وتونس، تلمسان، فاس، مراكش ومدن الأندلس والمشرق الإسلامي[3]،كما كانت الرحلة إلى البقاع المقدسة بالحجاز وبيت المقدس بهدف أداء فريضة الحج، هذه الأخيرة التي كانت تتيح فرصة اللقاء العلمي والحوار المثمر ودعم الروابط العلمية بين العلماء من مختلف الحواضر[4] كما كانت السفارة التي يقوم بها بعض العلماء في رسائل سلطانية تفتح المجال لعقد مجالس العلم والمذاكرة[5].
والمذاكرة[5].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حكام و أمراء المغرب الإسلامي على العموم لم يضعوا أمام حركة العلماء في دولهم أية عوائق، كما سمحوا للوافدين من العلماء وطلاب العلم بالإقامة في

---

[1]- محمد عبد العزيز،المرجع السابق،ص30؛عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق،ج2،ص327؛محمد الشريف سيدي موسى،الحياة الفكرية ببجاية،ص66؛لخضر عبدلي،**الحياة في الثقافة في المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط،قسم التاريخ، تلمسان، 2005،ص 99؛ عبد الرحمن بلعرج، **العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية ودولة المماليك**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، تلمسان،2007 ،ص 112 .

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص478.

[3]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 31.

[4]- أبو الحسن القلصادي، المصدر السابق، ص ص 134-135، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص327.
Dhina (A), le royaume abd elouadide à l'époque d'Abou hamou moussa 1er ET d'Abou tachfin 1er, o.p.u/ENAL, Alger, p111.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص327.
Dhina (a), op .cit,pp220-234

ربوع أقاليمهم والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أفرادهم من أهل العلم وذلك رغم الفترات السياسية الحالكة والاضطرابات المتعددة[1].

وقد أتاح هذا كله فرصة للتلاقح الفكري ودعم الروابط الثقافية بين مختلف الحواضر العلمية بالعالم الإسلامي، التي كان من أبرز مظاهرها ازدياد التراسل وتبادل المعلومات والمخطوطات بين العلماء، ووفرة عدد الطلاب المتلقين في هذه العاصمة أو تلك، إضافة إلى ازدهار صناعة الوراقين ونسخ وتجارة الكتب ووفرة الإجازات العلمية بين العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين، مما جعل من هؤلاء مدارس علمية وأعلام زانو بأعمالهم المحافل الدولية[2].

وقد حفظ لنا التاريخ بأعلام كبار من حواضر المغرب الإسلامي اشتهروا برحلاتهم العلمية إلى المشرق عموما ومراكز الإشعاع العلمي بالمغرب الإسلامي على وجه الخصوص، ان بعضهم من شيوخ **"أبو عبد الله الـــمقّري"** الأمر الذي جعله يحذو حذوهم ويقوم برحلة علمية إلى مختلف الحواضر الإسلامية.

[1] – رشيد الزاوي، **التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي**، مجلة الحضارة، ع1، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـــ/1993م، ص 325.

[2] – القلصادي، المصدر السابق، ص ص 126– 127؛ رشيد الزاوي، المرجع السابق، ص 326.

الفصل الأول

تـــمهيد:

يعتبر القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي العصر التاريخي الذي عاش فيه **"أبو عبد الله المقّري"**، وقد شهد هذا العصر ببلاد المغرب الإسلامي عموماً تحولات عميقة في شتى المجالات السياسية منها والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ولذا فلا يسعنا قبل أن نتحدث عن حياة **"المقّري"** ورحلته وتراثه الفكري إلاّ أن نتعرف على عصره وعلى البيئة التي نشأ فيها وتأثر بها، لاسيما في تكوينه الثقافي وإنتاجه العلمي.

أولا: عـــصـــره:

1. عصره السياسي:

تميزت الأوضاع السياسية بالمغرب الأوسط على عهد **"المقّري"**، خلال القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي، باستمرار تدخلات الدولتين المجاورتين **"المرينية"** و**"الحفصية"** للحدّ من شوكة الدولة الزيانية[1]، فلم تعرف هذه الأخيرة الأمن والاستقرار إلاّ في فترات متقطعة، إذ كانت أكثر هذه الدول عناءً من جراء تلك التدخلات والحروب باعتبارها لم تكن مهاجمة وإنّما كانت مُهاجَمة باستمرار، فقد كانت بذلك مدافعة عن كيانها ووجودها في مواجهتهما .

بيد أنّ جملة من العوامل والأسباب أدت إلى احتدام الصراع بين الزيانين والمرينين بصفة خاصة، قام على إثرها هؤلاء الأخيرين بغزو تلمسان وضرب الحصار عليها أكثر من مرة، تمكّنوا خلالها من الاستيلاء على العاصمة الزيانية مرات عديدة.[2]

وفي هذا الصدد سوف نـــحاول عرض أهمّ ما ميز الوضع السياسي على عهد الأمراء الذين عاصرهم **"أبو عبد الله المقّري"** سواء أكانوا من بني زيان أو من بني مرين خلال سيطرتـــهم على إمارة تلمسان، حيث عاصر **"المقّري"** من أمراء بني زيان في سنوات نشأته السلطان **"أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان"** (707 -718 هـــ / 1308 -

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج2، ص102؛ عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، ص156.

[2]- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص ص 218-219؛ محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان، ص 73.

1318م)[1]، ثم **"أبو تاشفين عبد الرحمن الأول"**(718 -737 هـ/ 1318-1337م)[2]، أمّا من عاصرهم من ملوك بني مرين فهم ثلاثة : **"أبو سعيد عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق"** (710 -731هـ/1310-1331م)[3] وابنه **"أبو الحسن علي"** (731هـ-749 هـ/ 1331 -1348م) و**"أبو عنان فارس بن أبي الحسن علي "**(751هـ -759 هـ /1351م – 1358م)[4].

يبدأ عصر **"المقّري"** بانبعاث الدولة الزيانية من جديد على يد السلطان **"أبي حمو موسى الأول"** بعد انتهاء الحصار المريني الطويل لمدينة تلمسان[5]، فاستهل **"أبو حمو موسى"** هذا ملكه بانتهاج سياسة المهادنة والجنوح إلى السلم مع بني مرين، فبادر إلى عقد الصلح مع السلطان المريني **" أبي ثابت"** ليؤمّن حدوده الغربية[6]، ويتفرغ بذلك لقبائل مغراوة[7] وبنو

---

[1]- هو موسى الأول بن عثمان بن أبي سعيد بن يغمرا سن بن زيان أبو حمو، رابع سلاطين بنى عبد الواد، ولد سنة (665هـ/1267م)،كان عضدا لأخيه السلطان أبي زيان في حربه وسلمه وخلفه بعد وفاته سنة (707هـ/1307م)، كان فظا غليظا حازما، أخضع كثيرا من القبائل المجاورة له في الشمال والجنوب وصدّ المرنيين عن التقدم من جهة الغرب، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 212-214؛ ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص71.

[2]- هو أبي تاشفين ابن حمو ابن أبي يحي يغمرا سن بن زيان، ولد692هـ/1293م،بويع سنة 718هـ/1318م،كان مولعا بالبناء والتشييد، يحي بن خلدون، المصدر نفسه،ج1،ص 215-219.

[3]- هو أمير المسلمين علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا الحسن، لقبه المنصور بالله، بويع بعد أبيه سنة (731هـ/1331م)، ابن الأحمر ،روضة النسرين، ص35.

[4]- هو أمير المسلمين المتوكل على الله فارس بن على عثمان بن يعقوب، يكنى أبا عنان، لقبه المتوكل على الله، بويع سنة (751هـ/1351م)ومات مقتولا عام (759هـ/1358م)، ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص 37.

[5]- دام ثماني سنوات وثلاثة أشهر بداية من سنة(698هـ 1299م)إلى(706هـ/1307م)، راجع في ذلك: يحي بن خلدون، المصدر نفسه،ج1، ص211؛ التنسي، المصدر السابق، ص130 وما بعدها؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 386؛ عطا الله دهينه، الجزائر في التاريخ، ج3، ص384؛ لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية وهران، 2008، ص ص 109،111.

[6]- عبد الحميد حاجيات، أبي حمو موسى الزياني، ص16؛ عطا الله دهينه، المرجع نفسه ،ص384، لخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص113؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر1954، وزارة المجاهدين، 2007، ص198؛ يحي بوعزيز، **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية** (1236-1554م)، مجلة الأصالة، العدد 26 السنة1975، ص16.

[7]- هم من أهل الطبقة الأولى من زناته، كانت مجالاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة، راجع في ذلك: ابن خلدون، العبر ،ج7، ص28 وما بعدها.

توجين[1] والعرب الذين شقوا عصا الطاعة لبلاده إبّان الحصار الطويل، فقام السلطان "**أبو حمو الزياني**" بإخضاعهم وتعين الولاة عليهم من قبله[2]، وتمكّن من الوصول إلى الأقاليم الشرقية الواقعة غرب البلاد الإفريقية، وبالتالي تجرد من الولاء الذي كان يؤديه والده إلى بني حفص، ومن جهة أخرى تصدى لبني مرين فاستطاع بذلك أن يحافظ على الحدود الغربية لدولته، فأصبح بنو زيان في عهده لا يخضعون لهيمنة الجارتين الشرقية والغربية ويتمتعون بالاستقلال التام والسيادة الكاملة على أراضي المغرب الأوسط[3].

غير أنّه رغم ما اشتهر به" **أبو حمو الزياني** " من الحزم والشجاعة، إلاّ أنّه لم يتمكّن من السيطرة على طموحات ابنه" **أبو تاشفين عبد الرحمن**" الذي كان فظاً في معاملته، مما أدى بالابن إلى تدبير مؤامرة لعزل أبيه، انتهت بمقتل" **أبو حمو الزياني**" في قصره وسط خواصه سنة 718هـ/1318م[4]، وانتصب على عرش بني زيان الابن " **أبو تاشفين الأول**"، الذي تميز عهده بازدهار العمران والفنون وشهد المغرب الأوسط في فترة حكمه تقدم حضاري كبير[5].

بدأ "**أبو تاشفين**" عهده بانتهاج سياسة عدائية تجاه السلطان الحفصي "**أبو يحي أبو بكر**"، الذي استولى على تونس في نفس السنة التي ارتقى فيها "**أبا تاشفين**" على عرش تلمسان[6]، إذ قام بتوجيه غارات عديدة على الناحية الشرقية، فبدأت الهجمات على بجاية منذ سنة 719هـ/1319م، وقد تكررت كل سنة تقريباً[7]، كما قام بحصار قسنطينة واحتلال تونس سنة (725هـ/1325م)[8]، فنتج عن هذا نشوب صراع بين "**أبي تاشفين**" و "**أبي يحي الحفصي**"

---

[1] – وقفوا إلى جانب بني عبد الواد عند قيام دولة الموحدين ثم انقلبوا ضدهم وأصبحوا حلفاء لبني مرين، ينظر: الناصري، الاستقصاء، ج3، ص124 وما بعدها.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص100.

[3] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص114؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص40-41.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص214-215؛ التنسي، المصدر السابق، ص138؛ عبد الحميد حاجيات، أبي حمو موسى الزياني، ص17؛ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص124.

[5] – التنسي، المصدر نفسه، ص139؛ عطا الله دهينه وآخرون، المرجع السابق، ج3 ،ص386 .

[6] – ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص165؛ روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص،178.

[7] – أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، مقدمة التحقيق، ص22؛ روبار برونشفيك ،المرجع نفسه، ج 1، ص178.

[8] – لخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص116؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، ص205؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه،ج1،ص43؛ محمد الطمار،المرجع السابق،ص128؛ روبار برونشفيك،المرجع السابق، ص179.

الحفصي" هذا الأخير الذي لم يجد وسيلة أخرى لمقاومة بني عبد الواد غير الاستنجاد بسلطان فاس **"أبي سعيد عثمان"**، هذا الأخير الذي وجدها فرصة نادرة لتحقيق حلمه في القضاء على دولة بني زيان بتلمسان، فأوفد بدوره في أواخر سنة (730هـ/1330م) وفداً مكلّفًا بإبرام اتفاق بين العائلتين الحفصية والمرينية عن طريق المصاهرة وذلك بزواج ولي العهد **"أبا الحسن علي"** ابن **"السلطان أبي سعيد"** من بنت" **أبي بكر الحفصي"**[1].

فتغير بذلك الوضع السياسي ببلاد المغرب، حيث رفض **"أبو تاشفين"** الخضوع لشروط السلطان المريني **"أبي سعيد"** أولاً ثم لابنه **"أبي الحسن"** الذي خلفه بعد وفاته أواخر سنة(731هـ/1331م)، مما أدى بهذا الأخير إلى الزحف نحو تلمسان سنة(732هـ/1332م)، وحصارها سنة(735هـ/1335م) إلى أن سقطت بيده عام(737هـ/1337م)، وقام بقتل **"أبو تاشفين"**. فقضى بذلك على الدولة الزيانية وأخضع تلمسان للمرينين بالمغرب الأقصى[2]، وبهذا اختفى رسم الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وحلّ محلّهم بنو مرين في إدارة المغرب الأوسط مدة زمنية زادت عن اثني عشرة سنة، وهو الاختفاء الطويل في تاريخ بني زيان[3].

ومهما يكن من أمر، فإنّ طموحات **"أبي الحسن"** كانت تتجه صوب الدولة الحفصية بغية إحياء الدولة الموحدية، خاصة بعد فشل السياسية المرينية في الأندلس منذ هزيمة طريف سنة(741هـ/1340م)[4]، فزحف من تلمسان بعدما عيّن عليها ابنه" **أبا عنان"**، واتجه نحو افريقية عام(748هـ/1347م)، مغتنما في ذلك فرصة استبداد **"عمر الحفصي"** بأمر تونس

---

[1]- الزركشي، المصدر السابق، ص68؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، ص116؛ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص26.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص219؛ التنسي، المصدر السابق، ص146؛ الزركشي، المصدر نفسه، ص ص72-73؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، ص209؛ محمد الطمار، المرجع السابق، ص128؛ أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص37؛ أحمد عزاوي، **الغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـ)، دراسة تحليلية لرسائله**، مطبعة ربانيت، الرباط ، 2006، ص 26-27.

[3]- التنسي، المصدر نفسه، ص 146.

[4] - كان من أعنف ما دار بين المسلمين والنصارى من معارك حول مصير الأندلس، تولى فيها "أبي الحسن" قيادة جيشه، و"أبو الحجاج" قيادة جيش الأندلس ضد الجيش النصراني، انتهت بهزيمة المسلمين، فكانت هذه المعركة نهاية مؤسفة لتاريخ الجهاد المغربي في الأندلس، ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص253-254؛ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص129؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص28.

وقتله لأخيه "**أبا العباس**" الذي كان وليا للعهد، متحججا بأخذ الثأر لهذا الأخير، فاحتل بذلك بجاية وقسنطينة وعنابة واستطاع دخول تونس في الثامن من جمادى الثانية سنة(748هـ/1347م)[1]، بيد أنّه واجهت "**أبي الحسن**" مشاكل خطيرة هناك لم يكن يحسب لها حسبانا، تمثلت في رفض القبائل العربية الخضوع لسيطرته واستطاعت أن تفرض عليه الهزيمة قرب القيروان في بداية محرم من سنة(749هـ/1348م)[2]، في هذه الأثناء استغل الأمراء الزيانيون كل من "**أبي سعيد الثاني**" وأخيه "**أبي ثابت**" فرصة فشل حركة" **أبي الحسن المريني**" في افريقية لبعث دولتهم من جديد، فدامت إمارتـــهم الفتيه حوالي أربع سنوات[3]، حيث استطاع "**أبو ثابت**" أن يلحق الهزيمة "**بأبي الحسن المريني**" في مدينة الجزائر بينما كان عائدا من تونس وأرغّمه على الانسحاب إلى المغرب الأقصى، أين فوجئ هناك بانتفاض ابنه "**أبي عنان**" عليه، الذي خلفه نائبا عنه في فاس، فانتهى الأمر بمقتل " **أبي الحسن**"وسيطرة "**أبي عنان**" على العرش[4].

بدأ " **أبا عنان المريني** "عهده بمحاولة استرجاع تلمسان من الزيانين فاستطاع أن يقضي على إمارة "**أبي سعيد** "و"**أبي ثابت**" قبل أن تستعيد الدولة الزيانية قوتها ونفوذها، وكان ذلك مع مطلع سنة(753هـ/1352م)[5]، فاندثرت بهذا دولة بني عبد الواد للمرة الثانية، وعادت لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات[6]، ولما استقام الأمر لـــ"**أبي عنـــان**" حاول أن يسترجع ما

---

[1] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص496؛ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص169–170؛ الزركشي، المصدر السابق، ص ص82–83؛ ابن الشماع، الأدلة البينية، ص 96؛ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص141؛ روبار برو نشفيك، المرجع السابق، ج1، ص197.

[2] – ابن قنفذ، المصدر نفسه، ص ص 170–172؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، ص ص161؛ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص183؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص29؛ روبار برونشفيك، المرجع نفسه، ج1، ص198؛ يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد ، ص18.

[3] – التنسي، المصدر السابق، ص 150؛ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 131–132؛ عطا الله دهينه، المرجع السابق،ج3، ص399؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص101؛ يحي بوعزيز، المرجع نفسه،ص18 .

[4]– ابن الشماع، المصدر نفسه، ص ص 98-99؛ الناصري، المرجع نفسه، ج3، ص ص170–171؛ عطا الله دهينه، المرجع نفسه، ص399؛ أحمد عزاوي، المرجع نفسه، ص ص30–32 .

[5]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص121؛ عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى الزياني، ص31 .

[6]– الزركشي، المصدر السابق، ص ص94-96؛ لخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص137؛ شاوش رمضان، المرجع نفسه، ص104؛ يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص18.

كان تحت سلطة أبيه، فاستطاع الاستيلاء على بجاية عام(753هـ/1352م) وعلى قسنطينة أواسط سنة(758هـ/1357م)، ثم اتّجه نحو تونس فاحتلها في رمضان من نفس السنة[1]، غير أنّه واجهته مشاكل حالت دون إبقاء سيطرته على تونس[2]، فقفل راجعا إلى بلاده في ذي القعدة عام(758هـ/1357م)، أين توفي خنقا بيد وزيره في ذي الحجة من عام(759هـ/1358م)[3]، وهي نفس السنة التي توفي فيها "**أبو عبد الله المقّري**"، وبذلك تنتهي الفترة التي عاش فيها.

2. عصره الثقافي:

من الواضح أنّ الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عايشها "**أبو عبد الله المقّري**" ببلاد المغرب الإسلامي لم تنل من الحركة العلمية بها، هذه الأخيرة التي حظيت باهتمام بالغ ونشاط مستمر خلال القرن الثامن الهجري، حيث يعدّ هذا القرن عصرا ذهبيا لكافة العلوم الإسلامية، ومرد ذلك أنّ من السلاطين الذين عاصرهم "**المقّري**" قد نال حظا كبيرا من العلم، فكانوا يحرصون كل الحرص على توفير شروط النمو الثقافي[4]، فلا أحد ينكر ما للأمراء من دور دور كبير في تشجيع العلم والنهوض به، فكم عصر ارتفع فيه العلم وكثر إنتاج العلماء فيه بسبب أمرائه والعكس صحيح.

وفي هذا الصدد، يلاحظ على الحياة العلمية خلال عصر "**المقّري**"، ظاهرة مجالسة الأمراء للعلماء وعقدهم للندوات والمناظرات العلمية، مما كان له أثر بارز في دفع الحركة العلمية[5]، ففي عهد طفولة "**المقّري**" جعل السلطان "**أبو حمو الأول**" مدينة تلمسان منارة للعلم ومقصدا للعلماء وأهل الفكر مثل غيرها من العواصم الإسلامية، حيث يؤثر عنه أنّه كان محبا للعلم

---

[1]- ابن الشماع، المصدر السابق، ص 103.

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص149.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7 ص121؛ الناصري، المرجع السابق، ج3، ص205؛ أبو عبد الله المقّري، القواعد،ج1،مقدمة التحقيق،ص24؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص37؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص52.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص219؛ يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص09؛ محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ،ص ص 56-58؛ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص339؛ قاسمي بختاوي، **المدارس بتلمسان في عهد بني زيان**، مجلة الفكر الجزائري، ع 4، مخبر المرجعيات الفلسفية، تلمسان، ديسمبر 2009، ص83 .

[5] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص204-205؛ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص131.

والعلماء، فقد بادر باستدعاء العلماء وإكرامهم وإلحاقهم بخدمته وإسناد لهم وظائف هامة في الدولة[1]، منهم على سبيل المثال لا الحصر "**ابني الإمام: "أبي زيد"** و"**أبي موسى**"، فقد قرّبهما إليه وأكرم وفادتـــهما وبنى لكل واحد منهما منـــزلا وأسس لهما مدرسة حملت اسميهما وذلك سنة(710هـــ/1310م)[2]، وواصل بعده "**السلطان أبو تاشفين الأول**" في عهد شباب "**الـــمقّري**" الاحتفاء بهذين العالمين وتشجيع غيرهما من العلماء، فقرّب إليه "**أبا موسى عمران المشذالي البجائي**"(تـــ745هـــ/1345م) وبنى هو الآخر مدرسة بجانب المسجد الأعظم عرفت باسم المدرسة التاشفينة[3]، كما كان يحرص على إقامة المجالس العلمية في قصره، وقد سجّل فيها الفقيه "**موسى بن عمران بن موسى المشذالي**" دورا بالغ الأهمية بين أقرانه الفقهاء في المسائل الفقهية التي كانت محور الحديث والنقاش[4].

والجدير بالتنويه إليه خلال القرن الثامن الهجري عصر "**المقّري**"، أنّ بعض الأحداث السياسية كانت من عوامل الإثراء والنمو في المجال الثقافي منها استيلاء بني مرين على المغرب الأوسط، الذين لم يهملوا الحركة العملية التي أرسى قواعدها بني زيان.

فأثناء حركة "**أبي الحسن المريني**" على المغرب الأوسط وافريقية وقد كان ذلك في عهد كهولة "**المقّري**"، أمر ببناء مدرسة العباد بتلمسان سنة(747هـــ/1347م) وجلب لها الأساتذة وأجرى على طلابها المنح والأرزاق[5]، فقد كان من علماء عصره لما أحرزه من ثقافة متينة

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص130؛ التنسي، المصدر السابق، ص139؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص36 .

[2] - يحي بن خلدون، نفسه،ج1، ص130؛ التنسي، المصدر نفسه، ص ص 139-140؛ الحفناوي، المرجع السابق،ج2، ص ص 11-12؛ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص232 .

Rachid Bourouiba, op.cit, p135.

[3]- التنسي، المصدر نفسه، ص141؛ يحي بوعزيز، أعلام الجزائر المحروسة، ج2، ص09؛ عطا الله دهينه، المرجع السابق، ج3، ص385؛ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص43؛ قاسم بختاوي، المرجع السابق،ص85.

Rachid Bourouiba.Idem.p135

[4]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص 818-223؛ الشاطبي، الإفادات والانشادات، ص ص103-104؛ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 132؛ عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، ص40.

[5]- ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص406؛ الحسن الوزان، المصدر السابق،ج2، ص24؛ يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ج2،ص09.

Rachid Bourouiba, Idem, p190.

واهتمام بمراكز العلم ومرافقته وتقربيه للعلماء ومجالستهم وحضوره المجالس العلمية، حيث وصفه "**ابن مرزوق**" بقوله: «**كان أبّر الناس بأهل العلم، وأعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه، وجمع من سائر البلاد في حضرته إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم، أقدمه على حضرته، وجعله من خواص أهل مجلسه وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا، فاجتمع بحضرته أعلام، ثم ضّم لهم من كان بتلمسان وأحوازها، حين استيلائه عليها، ثم استمر هذا العمل في دخوله بلاد افريقية، ولم يزل على هذا إلى أنّ توفي رضي الله عنه**»[1]، فأثناء دخوله تونس عام(748هـ/1347م) اصطحب معه مجموعة ضخمة من أعلام المغربين في كافة التخصصات، وقد قدّرهم البعض نحو أربعمائة عالم[2]، إذ قال "**ابن خلدون**" في ذلك:« **كان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن، عندما ملك افريقية سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم، كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه**»[3]، وقد أخذ "**أبو عبد الله الـــمقّري**" عن الكثير منهم.

وكما سبق الذكر فإنّ "**أبو الحسن**" أقام مجلسا عمليا يتكون من شخصيات فقهية من مختلف الجهات، منهم فقهاء تونس الذين شاركوا فيه ونالوا الإعجاب واستفاد منهم علماء المغرب[4] فكان من أعضاء هذا المجلس "**ابنا الإمام**" وإمام المعقول والمنقول "**محمد بن إبراهيم الآبلي**" و"**محمد بن عبد الرحمن الجز ولي**"(تـــ758هـــ/1357م)، و" **أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي**" (تـــ750هـــ/1349م)، و"**أبو عبد الله محمد الصباغ المكناسي**"(تـــ 750هـــ/1349م)، إضافة إلى هذا فقد حرص على عقد الندوات والمناظرات بين علماء تونس ويرأسهم "**عبد السلام الهوا ري** "وبين علماء فاس و كان يرأسهم "**أبو عبد الله السطي**"[5].

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص127-128؛ ابن مرزوق، المصدر السابق، ص260.

[2]- أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص28؛ ابن الشمّاع، المصدر السابق، ص 122؛ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 458، روبار برونشفيك، المرجع السابق،ج2،ص306.

[3]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص19.

[4]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج3، ص28؛ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص138؛ روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص306.

[5]- أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ج1، ص27؛ روبار برونشفيك، المرجع نفسه، ج2، ص306.

وقد حذا حذو **"أبي الحسن"** ابنه **"أبي عنان"** الذي أضاف إلى تلمسان مدرسة أخرى بجانب مسجد الولي الصالح **"أبي عبد الله الحلوي"** سنة(754هـ/1343م)، فقد كان هو الآخر فقيها يناظر العلماء ويضرب معهم بسهم وافر في الفنون العلمية[1]، حيث قال فيه معاصره **الشريف التلمساني** (ت771هـ/1370م):« **قد جاز بذهنه الثاقب الراجح في تحصين الدلائل مهمهاً صعباً وجاز برأيه الصائب الناجح في تحصيل المسائل مورداً عذباً حتى صار يفصل في مضيق المناظرات بين أربابها، ويجلو دجى المشكلات ويلي كشف حجابها** »[2].

وقد استمر السلطان" **أبو عنان**" في عقد المجالس العلمية التي كانت تعقد على عهد أبيه وأضاف إليها الشيخ **"أبا عبد الله بن مرزوق** "(ت781هـ) و"**أبو عبد الله المقّري**"(ت759هـ) نظرا لوفاة بعض أعضائه السابقين[3]، حيث جاء عن **"أبي عنان"** في رحلة **"ابن بطوطة"** معاصره أنه كان:« **يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء، ونجباء الطلبة بمجلس قصره الكبير، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفرع مذهب مالك وكتب المتصوفة، وفي كل علم منها له قدح المعلى، يجلو مشكلاته بنور فهمه، ويلقي نكته الرائقة من حفظه وهذا شأن الأيمة المهتدين والخلفاء الراشدين**»[4].

وقد برزت عدة ظواهر علمية ميزت عصر"**المقّري**"، منها نزعة الاجتهاد في نطاق المذهب المالكي[5]، هذا الأخير الذي أصبح المذهب الرسمي في المغرب الأوسط منذ النصف الأول الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي[6]، حيث صادف هذا الأجراء إقبالا كبيرا لدى الفقهاء خاصة والأوساط المالكية المغربية عامة، فبرز فيه علماء أجلاء تصدّوا للتدريس والتأليف،كما لمعت أسر علمية في خدمته كأسرة **"آل مرزوق"** الذين توارثوا العلم سلفا عن

---

[1]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص38؛ أبو العباس الناصري، الاستقصاء، ج3، ص203.

[2]- أبو عبد الله الشريف، المصدر السابق، ص03.

[3]- أبو عبد الله المقري، المصدر السابق، ج1، ص28.

[4]- ابن بطوطة،**رحلة ابن بطوطة**، تح وتعليق علي المنتصر الكناني، ط1،ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت،1985، ص761.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ج2، ص380.

[6]- الفرد بل، المرجع السابق، ص302.

خلف[1]؛ غير أنّه رغم ما أنجبته منطقة المغرب والأندلس بصفة عامة من أئمة و أعلام كثيرين في الفقه والتفسير والتوحيد والأدب، إلاّ أنّهم لم يصلوا إلى درجة الاجتهاد المطلق التي وصل إليها الأئمة الأربعة المشهورين، وإنّما يمكن تصنيفهم ضمن المجتهدين في إطار المذهب المالكي لا يخرجون عن مبادئه ولا يعملون إلاّ بما يوافق مضامينه[2].

وقد ظهرت نزعة الاجتهاد في نطاق هذا المذهب عند العديد من فقهاء القرن الثامن الهجري أمثال **ابن عرفة**(تـــ803هـــ/1402م)[3]بتونس، **والشريف التلمساني** (تـــ771هـــ/1370م) بتلمسان و**أحمد القباب** (تـــ779هـــ/1378م) بفاس[4] **وأبي إسحاق الشاطبي**(تـــ790هـــ/1389م) بغرناطة[5]، وأخذ منحاهم **"أبو عبد الله المقّري"** الذي يعدّ من أبرز العلماء الذين أنجبتهم المدرسة المالكية فكانت له موافق اجتهادية وأراء خاصة في حدود المذهب المالكي[6].

---

[1]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج4، ص34؛ عن أسرة ابن مرزوق ينظر: نصر الدين بن داود ، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من ق7هـــ-13م إلى ق10هـــ 16م**، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2003.

[2]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص55؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص378.

[3]- من ابرز علماء المالكية في عصره، تولى إمامة جامع الزيتونة مدة خمسين سنة،كما قدم للخطابة به، وللفتوى بتونس، له رحلة مشرقية سنة792هـــ أجاز فيها بعض علماء المشرق، ولد بتونس سنة 716هـــ، وتوفي بها سنة 803هـــ، الزركشي، المصدر السابق، ص ص 63-95؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص240-242؛ ابن مريـــم، المصدر السابق، ص190-200؛ الوزير السراج، المصدر السابق، ج1، ص589.

[4]- هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الشهير بالقباب، أخذ عن بن فرحون والسطي والفشتالي وغيرهم، وعنه أخذ ابن الخطيب القسنطيني والشاطبي وغيرهم، تولى القضاء بجبل الفتح والفتوى بفاس، ناظر الإمام العقباني في مسائل جمعها العقباني وسماها" **لباب اللباب في مناظرة القباب**"،شرح" أحكام النظر لابن القطان" و"قواعد عياض" و"بيوع"ابن الجماعة وله مباحث مشهورة وقعت له مع الإمام الشاطبي، ابن فرحون، الديباج، ص 105؛ ابن قنفذ، الوفيات،ص 372؛ ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، صححه محمد الفاسي، أودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، ص 78؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص235 .

[5]- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي، حافظ، علامة، محقق، محدث من أئمة المالكية بالأندلس، أحد تلاميذ المقّري، ينظر الفصل الثالث، ص111؛ المجاري، **برنامج المجاري**، تحقيق محمد أبو الأجفان،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص116 .

[6]- ينظر الفصل الثالث، ص139ومابعدها.

والظاهرة الدينية التي ميزت عصر "**الـــمقّري**" هي شيوع تيار التصوف[1]، الذي انتشر بالمغرب الأوسط وسائر حواضر المغرب الإسلامي منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[2]، ومرد ذلك ظهور شخصيات صوفية أبرزها "**أبو مدين شعيب الاشبيلي**" (تـــ595هـــ/ 1198م)[3]، الذي يعدّ أول من أدخل تعاليم الصوفية إلى المغرب الأوسط، فكانت له مكانة رفيعة خاصة ببجاية وبتلمسان بعد أن دفن بها بالعباد، فقد شهدت هذه المدينة حركة نشطة لهذا التيار خاصة وأنّ "**أبا مدين**" صار وليا لهذا المكان[4].

وما تـــجدر الإشارة إليه أنّ رجال الصوفية ببلاد المغرب الإسلامي حرصوا على العمل بالكتاب والسنة و الاعتناء بالجانب التربوي العملي من التصوف، وذلك أنّ التصوف في العالم الإسلامي عموما كان يستند في أصوله ومبادئه إلى الإسلام، ويقتبس مضمونه من الكتاب والسنة، فهو مقيد بأحكام الشريعة الإسلامية، حيث يقول "**محمد الأنصاري المالقي** " (تـــ735هـــ/1335م): «**كل حقيقة لـــم تتقيد بالشريعة فهي باطلة، وكل شريعة لـــم تتقيد بالحقيقة فصاحبها مـــحجوب**»[5].

---

[1]- هو:العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخف الدنيا وزينتها والزهد فيها أقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة، ابن خلدون، المقدمة، ص391، عبد المنعم الحنفي، **الموسوعة الصوفية**، ط5،مكتبة مديوني ،القاهرة، 2006، ص 859.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص384، عبيد بوداود ، المرجع السابق،ص42 .

[3]- هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي شيخ المشايخ،ولد بحصن قطينانة وهي من قرى اشبيلية بالأندلس، عرف بورعه الشديد والزهد الكبير ورحل إلى فاس وأخذ عن علمائها مثل أبي الحسن علي بن حرزهم وأبي الحسن بن غالب، تأثر بالإمام أبي حامد الغزالي والشيخ أبي يعزي في ميدان التصوف، ولما ذهب لأداء فريضة الحج التقى بالشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ولازمه بعض الوقت وعند عودته استقر ببجاية وتولي التدريس هناك وذاع صيته، مما أثار حسد بعض علماء الظاهر منهم أبو عمر الحباك الذي وشى به للسلطان الموحدي يعقوب المنصور الذي قام باستدعائه إلى مراكش، وفي طريقة إليها وافته المنية سنة595 هـــ/1197م، الغبريني، المصدر السابق، ص ص55-61؛ ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 11-12؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 108-114؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص207-213.

[4]- التـــادلي، المصدر السابق، ص ص319-320؛ عبيد بوداود، المرجع السابق، ص81؛ محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية ، ص 190.

[5]- التمبكتي، نيل الابتهاج، ص243.

وقد حرص علماء المغرب أيضا على الابتعاد عن التصوف الفلسفي، فقد اشتهر تياران للتصوف، تيار التصوف الفلسفي وتيار التصوف السنّي، هذا الأخير تزعّمه "**أبي مدين شعيب**"، فكان لأثاره ولكتاب إحياء علوم الدين **لـــ"الإمام الغزالي"** وغيرهم من متصوفة السنّـــة تأثير على أهل سائر بلاد المغرب[1]، حيث انتشر التصوف في الأوساط الشعبية والخاصة، بل حتى عند بعض الأمراء والسلاطين، حيث وجدت هذه الظاهرة مجالاً في تقديس الأولياء والجماعات الصوفية، فقد كان للسلطان **"أبو حمو موسى الأول"** جميل الاعتقاد بـــ **"أبي العباس بن مرزوق"**، أمّا **"أبو تاشفين"** فكان يذهب باستمرار لزيارة ضريح **"أبي مدين"**[2].

وكان أبو **"الحسن المريني"** يـــميل إلى هذا الصنف من العلماء، فقد أفادنا **"ابن مرزوق"** أنه إذا دخل عليه الفقيه المفتي **"أبو محمد عبد المؤمن الجاناتي"** أحد فقهاء مدينة فاس يقول: **"أتأمل في كل وقت أطراف هذا الرجل ومـــحافظته على خصال الفطرة واستعماله النظافة، فاستدّل بذلك لغيره على صلاحه"**[3]، كما كان **"أبو عنان"** أيضا على جانب من التقدير لـــهؤلاء العلماء، إذ يتجلى ذلك من خلال معاملته لـــ **"ابن شاطر"**الذي كان يعظّمه ويَصِله ويسلم له[4].

---

[1] -الغبريني، المصدر السابق، ص 60-61؛ عبيد بوداود،المرجع السابق،ص42.

[2] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص389-393؛ الفرد بل، المرجع السابق ، ص151 .

[3] - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص280.

[4] - أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص272 .

وبالتالي فإنّ سلاطين المغرب الإسلامي كانوا يعتقدون بالأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم ويتقربون إليهم، فبرز في الـــمنطقة مـــجموعة كبيرة من شيوخ التصوف، لكنهم لـــم يرتقوا إلى مصاف أسلافهم الذين كوّنوا لأنفسهم تلاميذ ومدارس وطرائق ارتبطت بأسمائهم في ربوع المغرب والمشرق[1]، ونذكر من أقطاب التصوف في هذا العصر **"أبا العباس القباب"**(تـــ779هـــ/1378م) و**"أبا العباس أحمد مرزوق"**(تـــ741هـــ/1340م)[2] و**"أحمد بن إدريس البجائي"** (تـــ760هـــ/295م)[3]، وقد كان للإمام **"الـــمقّري"** حظ في التصوف، فقد أسهم في هذا الـــميدان بـــمؤلفاته[4].

وبناء على ذلك يـــمكن القول أنّ الحركة العلمية على عهد **"الـــمقّري"** شهدت نشاطا ودفعا قويا نحو الرقي، نتج عنه إقبال الناس على العلم إقبالا شديدا، كما كان لذلك أثر في تكوين شخصية **"أبو عبد الله المقّري"** العلمية.

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص387؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص383.

[2]- ولد سنة 681هـــ قرأ القرآن على الشيخ يوسف بن يعقوب الصنهاجي، وأخذ الفقه عن أبي الحسن الصغير، وعن الحضرمي عبد المهيمن وعن ابني الإمام، وغيرهم، حجّ وجاور المدينة ومات حاجاً سنة 741هـــ، يحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1،ص115؛ ابن مريـــم، المصدر السابق، ص27؛ نصر الدين بن داود، علماء أسرة المرازقة،ص ص33-39 .

[3]- احد أعلام المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، من أهل بجاية، أتقن العديد من العلوم الدينية والعقلية، رحل إلى المشرق، له إسهامات في الفقه نذكر منها تعلقيه على البيوع من مختصر ابن الحاجب، وفتاوى عديدة، تناولها تلاميذه من بعده أمثال الوغليسي وعبد الرحمن بن خلدون، عبد الوهاب منصور، **أعلام المغرب العربي**، ج3، المطبعة الملكية ، الرباط،1989، ص ص 331-332 .

[4]- ينظر الفصل الثالث ،ص 122.

ثانيا: التـــعريف بشخصية أبـــي عبد الله الـــمقّري:

1. أسرته واستـــقرارها بتلمسان:

تعتبر الأسرة الـــمقّرية من أشهر الأسر العلمية بتلمسان، وتعود تسميتهم بالـــمقّري نسبة إلى قرية من قرى الزاب[1] بإفريقية تدعى" **مقرة**"[2]، هذه الأخيرة التي زالت تماماً و لم يبقى شيء من تلك المدينة العظمى التي أشار إليها "**اليعقوبي**" في كتابه "**البلدان**" بقوله: «**ومدينة يقال لها مقرة، لها حصون كثيرة، والمدينة مقرة أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر يقال لهم بنو زنداج وقوم يقال لهم كزبرة وقوم يقال لهم سارسة** »[3].

والـــمدينة الكبيرة التي أشار إليها "**البكري**" في كتابه "**المسالك والممالك**" فقال : «**ومن طبنة إلى مدينة مقرة وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع** »[4]، ثم أصبحت مدينة صغيرة في عهد "**الإدريسي**" حيث قال: «**وتخرج من المسيلة إلى مقرة مرحلة، وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير**»[5]، وذكرها "**الحميري**" فقال:«**مقرة بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة وهي مدينة صغيرة ...وبين مقرة وطبنة مرحلة وبين طبنة وبجاية ست مراحل** »[6]، ولـــم يذكرها قط "**الحسن الوزان**" مما يدل على أنّها قد خربت، إلاّ إلاّ أنّها قد قامت بدورها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين في تـــخوم منطقة النفوذ الحفصي[7]، وهذه القرية هي اليوم تقع بين "**بريكة**"[1] و"**الـــمسيلة**"[2]، فتبعد عن المسيلة

---

[1]- منطقة واسعة تقع جنوب غرب إفريقية، كانت في الأصل عبارة عن قرى عديدة، تعرف كل واحدة منها بالزاب، وإقليم الزاب يبتدئ غرباً من تخوم مسيلة ويحده شمالاً جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقاً إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوباً إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة ، الحميري، الروض المعطار ، ص ص113-114؛ حسن الوزان، المصدر السابق،ج2،ص138 .

[2]- ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، ج2، ط1، المكتبة العتيقة، دار التراث ، تونس القاهرة، 1971، ص43؛ القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق،ج1، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص291.

[3]- اليعقوبي، **البلـــدان**، وضع حواشيه محمد أمين ضناوى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص191.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص152.

[5]- الإدريسي،المصدر السابق، ص 119.

[6]- الحميري، المصدر نفسه، ص 556.

[7]- روبار برو نشفيك، المرجع السابق ،ج1، ص322.

المسيلة بنحو 55كلم، وشمال غرب بريكة بنحو 39 كلم، وعن سطيف[3] بنحو 77كلم جنوباً[4].

ومن الملاحظ أنّه وقع اختلاف في ضبط نطق تسمية هذه القرية، فهي في ذلك جاءت على روايتين، الأولى بفتح الميم وسكون القاف وهي عند الأقلية من العلماء، والثانية بفتح الميم وتشديد القاف وهي عند الأغلبية[5].

فبناءً على هذا الاختلاف في نطق اسم هذه القرية، نجم الاختلاف في نطق اسم"**المقري**"، فكان ممن ضبطه بفتح الميم وسكون القاف الشيخ "**محمد بن مرزوق**"، حيث ألّف كتابا في التعريف بـ"**أبي عبد الله المقّري**"(مترجمنا) أسماه " **النور البدْري في التعريف بالفقيه المَقْري**"[6]، وذهب إلى ذلك أيضا "**ياقوت الحموي**" **في كتابه**" معجم البلدان" فقال: "**مقْرة مدينة بالمغرب في بر البربر...**"[7] .

---

[1] - قال الإدريسي: تبنا في غرب أوراس هي مدينة رائعة كثيرة المياه تقع في وسط حدائق وحقول من القطن ومزارع الشعير والقمح, سكانها خليط من مختلف الشعوب، وتعمل في تجارة ناجحة. هناك الكثير من التمور والفواكه".

[2]- مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا على بعد مائة و أربعين ميلا من بجاية، وحاليا تبعد عنها بـ 190كلم، واختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي سنة315هـ/927م وهو ولي عهد أبيه المنتسب للعلويين (العبيدين أو الفاطمين)،الإدريسي، المصدر السابق، ص109؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص130؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 52.

[3]- مدينة بناها الرومان على بعد ستين ميلا جنوب بجاية، حسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص 52.

[4] - محمد بن عبد الكريم، **المقري وكتابه نفح الطيب**، دار مكتبة الحياة، بيروت،(ب ت)،ص106؛ نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن 7هـ/13م إلى القرن10هـ/16م** ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2010م، ص58 .

[5]- القادري، المصدر السابق، ج1، ص292؛ محمد بن عبد الكريم، المرجع نفسه، ص108؛ محمد عبد الغني، **المقّري صاحب نفح الطيب**، الدار القومية للطباعة والنشر (ب.ت)، ص20؛ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص23.

[6]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج1، ص204-205؛ ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط، ج8، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1408هـ/1988م، ص 332.
Ch.broseelard, « **tombeaux des familles el makkâri et el okbani** », revue africaine, tom volume 5 année, N°30, paris, 1961, p405.

[7]- ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص175.

أما من يرى بأنّها تنطق بفتح الـــميم وتشديد القاف وهي التسمية التي شاعت عند الأغلبية، الشيخ **"عبد الرحمن الثعالبي"** في كتابه"العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة"[1]، و**"أحمد الونشريسي"** في بعض فوائده وفي كتابه "الزهر الباسم"[2].

ومن يراها كذلك من المحدثين **"أحمد بابا"** في كتابه" نيل الابتهاج بتطريز الديباج"[3]، و**"ابن مريم"** في كتابه"البستان"[4] وغيرهم كثيرون، كما حددها بعض الرحالة الجغرافيون"بـــمقَّرة" مثل **"البكري"** الذي ضبطها **"بـــمقَّرة"**[5] و**"الإدريسي"** الذي هو الآخر رســـمها **"بـــمقّرة"**[6] .

ومن الباحثين من رجح اسم" **مقّرة** "أو" **الـــمقّري**" بتشديد القاف، وفي مقدمتهم الأستاذ **"محمد بن عبد الكريم"**، مستنداً في ذلك على ما جاء في بعض العبارات والأبيات الشعريـــة[7] والمأخوذة من مصادر مختلفة أهمها "نفح الطيب" لـــ **"أبي العباس المقّري"** حفيد مترجمنا، حيث يقول في ذلك الشأن **"محمد بن عبد الكريم"**: « **لم يثبت عنه – أي أبو العباس– أنّه كتبها أو قرأها بالسكون، فنحن على مذهبه سائرون، وبأقواله متمسكون، مادامت نسبته في كتبه ثابتة الشكل مصونة الحرف، وأهل مكة أدرى بشعابها**»[8].

ومهما يكن من أمر، تبقى مـــقَّرة الموطن الأصلي للأسرة الـــمقّرية وأجداد "**الـــمقَّري**"(مترجمنا)، فكيف استقرت هذه الأسرة بتلمسان؟

من الثابت أن مدينة تلمسان لم تكن في الأصل دار إقامة أسرة **"الـــمقّري"**، بل سبقتها بلدة **"مـــقّرة"** التي انتسبت إليها كما سبق الذكر، فكان أوّل من انتقل من بيت هذه الأسرة إلى تلمسان **"عبد الرحمن بن أبي بكر المقّري"** وهو الجدّ الخامس لـــ **"أبي عبد الله**

---

[1] – عبد الرحمن الثعالبي، العلوم الفاخرة،ج1،ج2، مخطوط بالمكتبة الوطنية،تحت رقم 850.

[2] – أحمد المقّري، نفح الطيب، ج1، ص 205؛ محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص110؛ محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص20؛ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص23.

[3] – أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص420.

[4] – ابن مريـــم، المصدر السابق، ص155 .

[5] – البكري، المصدر السابق، ص51 .

[6] – الإدريسي، المصدر السابق، ص119.

[7] – محمد بن عبد الكريم، المرجع نفسه، ص ص 111-114.

[8] – محمد بن عبد الكريم، نفسه، ص114 .

الـــمقّري"[1] وكان ذلك في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)[2] رفقة الشيخ الصوفي "**أبي مدين بن شعيب بن الحسين الأندلسي**"[3]، فالـــجدّ "**عبد الرحمن**" كان رجل صلاح وفضل وعبادة وكان من مريدي الشيخ الصوفي "**أبـــي مدين**"، فقد ذكر "**أبو عبد الله الـــمقّري**" هذا الانتقال من مقرة إلى تلمسان فقال:«**كان الذي اتـــخذها من سلفنا قراراً، بعد أن كانت لـــمن قبلنا مزاراً عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي الـــمقّري صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بـــما ظهر فيهم قبوله وتبين، وهو أبي الخامس**»[4] .

وبناءً على ذلك، أصبحت تلمسان منذ نهاية القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري مستقراً لعائلة "**الـــمقّري**"، هذه الأخيرة التي غدت هناك تتمتع بسمعة طيبة واحترام تام، فكان دورها بتلمسان لا يقل شأناً عن دور الأسر العلمية الأخرى، كعائلة "**ابن مرزوق العجيسية**" وغيرها[5]، حيث برز دور الأسرة الـــمقّرية في جميع مناحي الحياة لاسيما منها العلمية والاقتصادية.

ففي بداية استقرار هذه الأسرة بتلمسان، اشتغل أفرادها بالتجارة التي كانت مزدهرة كثيراً مع الأقاليم الصحراوية الجنوبية في إطار تجارة القوافل الصحراوية[6]، فقد اتفق أبناء "**يحي بن عبد الرحمن**" (الجدّ الرابع للمقّري)[7] وعددهم خمسة على عقد شراكة في جميع ممتلكاتهم وأقبلوا على التجارة[8]، فكانت هذه الشركة التجارية التي قاموا بتأسيسها تجمع بين تلمسان

---

[1] – ينظر الملحق رقم2 ، ص155.

[2] – يحي بوعزيز، أعلام الجزائر المحروسة، ج 2، ص158؛ محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص85؛ محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص21.

[3] – سبقت ترجمته، المبحث الثاني من الفصل الأول، ص40.

[4] – لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص191؛ أحمد الـــمقّري، نفح الطيب، ج5، ص203.

[5] – يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ج2، ص158؛ محمد بن عبد الكريم، المرجع نفسه، ص114؛ نصر الدين بن داود ، بيوتات العلماء بتلمسان، ص62 .

[6] – يحي بوعزيز، نفسه، ج2، ص159؛ مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (ب ت) ،ص483-484 .

[7] – ينظر الملحق رقم 02، ص155.

[8] – ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص192؛ أحمد الـــمقّري، المصدر نفسه، ج5، ص205.

والصحراء، حيث استقر "**أبو بكر**" و"**محمد**" بتلمسان واستقر أخوهما الأكبر بسجلماسة[1]، أما الشقيقان الأصغران "**عبد الواحد**" و"**علـــي**" فاستقرا بقرية إيوالاتن[2] في الصحراء، وعلى هذا الأساس قاموا بـــحفر الآبار لتوفير المياه وتأمين حياة التجار من قطاع الطرق خاصة عند توقف القوافل للراحة والغذاء[3]، كما اتخذوا لأنفسهم طبلا لإعلان الرحيل وراية عند الـــمسير، وهذا وهذا عبر الـــمسلك الذي ينطلق من تلمسان نحو سجلماسة ومنها نحو إيوالاتن.

فكان من أثر ذلك أن ازدهرت التجارة بين الأقاليم الثلاثة ونـــمت أرباح الشركة وتضاعفت أموالها حتى فاقت الحد، ولعلّ أهم عامل ساهم في ذلك هو تقربـــهم من ملوك تلك المناطق، إذ وصّلوا صلتهم بـــهم واستوثقوا منهم، مـــمّا مكنّهم من مـــمارسة تـــجارتـــهم في جميع الجهات والنواحي، فتذللت لتجارتـــهم الوسائل والسبل، وفي ذلك يقول "**الـــمقّري**": «**... واتخذوا بأقطار المغرب الحوائط[4] الواسعة المملوءة بأشجار الفاكهة واتخذوا الدور والمصانع، وتزوجوا النساء واستو لدوا الإماء...واتصل أحد الأخوين بملك التكرور[5] ولاطفه، وتقرّب منه فمكّنه من مـــمارسة التجارة في جميع مـــملكته...فنمت أرباحهم وتضاعفت حتى فاقت الـــحد، وكادت تفوت الحصر والعد**»[6].

---

[1] – مدينة بنيت في سهل واد زير، خضعت لملوك زناتة إلى أن طردهم يوسف بن تاشفين اللمتوني، وهي مدينة متحضرة ودورها جميلة وكانت مركز تجاري في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى،الإدريسي،المصدر السابق،ص 76؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص127.

[2] – ايوالاتن: مملكة صغيرة ببلاد السودان بينها وبين مالي مسيرة أربعة وعشرون يوماً، وهي مدينة تأسست سنة 621هـــ/1124م، وتقع شمال غانا على مسيرة حوالي شهرين منها، وهي تبعد عن تومبوكتو غربا بـــ 450 كلم وعن المحيط الأطلسي شرقاً بحوالي 900 كلم، مبخوت بودواية، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الزيانين**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، 2006، ص301.

[3] – مبخوت بودواية ، المرجع نفسه، ص316 .

[4] – الحوائط:جمع حائط وهو البستان ويقصد به في هذا مزرعة النخيل، محمد بن يعقوب فيروز آبادي ، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر ، بيروت، 2005، ص 597.

[5] – هم قبيل من السودان تنتسب إليهم بلاد تكرور في أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه بالزنوج، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 399.

[6] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص193.

وبالتالي أصبحت الشركة الـــمقَّرية تتحكم في الطرق التجارية التي تربط بين تلمسان والسودان الغربي[1]، حيث سمح لها هذا الموقع الذي بسطت عليه نفوذها، أن تدخل ضمن دائرة التجارة الدولية إذ كان التجار يتجهون من تلمسان في الشمال باعتبارها كانت معبراً لكل التيارات الجنسية القادمة من أوربا نحو سجلماسة التي ظهرت أهميتها بصورة واضحة في الجانب التجاري ببلاد المغرب الأوسط، ومنها نحو الصحراء[2] .

غير أنّ حالة الازدهار تلك لم تدم مع الأبناء الذين أخذوا ينفقون مما ترك لهم آبائهم دون العمل على الاستثمار والتنمية، ناهيك عن الفتن والحروب التي عرفتها المنطقة وجور السلاطين، فتراجع نشاط الشركة ودخلت مرحلة الاضمحلال، فحين ولد **"أبو عبد الله الـــمقّري"** لـــم يبقى منها إلاّ القليل من جملتها خزانة كبيرة من الكتب حيث قال في ذلك: « **فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلاّ أثر نعمة، اتخذنا فضوله عيشا، وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب**»[3] .

فمن خلال هذا النص يتضح جليا أن أفراد أسرة **"الـــمقّري"** كانوا أهل مال وثروة وتجارة وأهل ثقافة وعلم، هذه الأخيرة التي تدل عليها تلك الخزانة الكبيرة من الكتب، فبرز من هذه الأسرة تجار وعلماء وفقهاء وأدباء، كانت لهم مكانتهم في العواصم الإسلامية بالمشرق والمغرب الإسلاميين، وأبرز هذه الأسرة ثقافة وأغزوها علماً ومعرفة وأشهرها ثلاثة أعلام:

- **أبـــو عثمان سعيد الـــمقّري:** هو سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمن المقّري[4] ولد بتلمسان حوالي سنة928هـــ/1522م[5]، وبـــها نشأ وأخذ عن علمائها و منهم الشيخ

---

[1] – كلمة السودان تطلق على الأقوام التي تسكن الصحراء الكبرى، أصبحت بلادهم تعرف بالسودان، والسودان الغربي يعرف اليوم بإفريقيا الغربية والممتدة من بحيرة التشاد شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً وجنوباً خليج غينيا ومن أهم الممالك التي قامت به غانا، مالي، سنغاي وهي اليوم حوض السنغال وغمبيا وبوركينافاسو والنيجر الأوسط، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص33؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص35.

[2] – نصر الدين بن داود ، بيوتات العلماء، ص274.

[3] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص194؛ أحمد الـــمقّري، نفح الطيب، ج5، ص206.

[4] – ابن مريـــم، المصدر السابق، ص104.

[5] – عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص311؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص384 .

"**حاجي الو هراني**"[1] الذي حفظ عنه القرآن الكريم وأخذ عنه الخرقة الصوفية[2] ودرس الفقه والأصول والمنطق عن الشيخ "**محمد بن عبد الرحمن الو هراني**"[3] والعربية عن الشيخ "**عمر الراشدي**"، وأخذ التصوف عن "**يحي السلكسيني**"[4]، ارتحل إلى فاس[5] وهناك أخذ عن "**عبد الواحد الونشريسي**"[6] و"**عبد الوهاب الزقاق**"[7]، فكان بذلك له باع طويل في مـــختلف الفنون النقلية منها والعقلية[8]، مـــّما بوأه مكانة ارتقاء عدة وظائف منها التدريس حيث تـــخرج عليه علماء أجلاء، على رأسهم ابن أخيه صاحب النفح، و"**ابن مريـــم**" صاحب البستان، و"**أحمد ابن القاضي**" و"**اليزناسي**" وغيرهم كثيرين[9]، كما تولى منصب الإفتاء بتلمسان نحو ستين سنة[10]، وشغل منصب خطيب جامع تلمسان نـــحو خمس وأربعين سنة[11]، لكن رغم طول مكوث "**سعيد الـــمقّري** في التدريس" والفتوى والخطابة إلاّ أنّه لـــم يرد له

[1]– من أهل وهران عاش بتلمسان، صوفي عارف بالفقه مشارك في عدة علوم توفي سنة 951هـــ/1544م، ابن مريـــم، المصدر السابق، ص52.

[2]– الخرقة الصوفية هي القطعة الممزقة من الثوب والمقصود بها عند أهل التصوف بردة الرسول صلى الله عليه وسلّم التي ألقاها على الشاعر كعب بن زهير واشتراها معاوية من أولاده وبعدها بليت صارت خرقة، عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، ص 936.

[3] – فقيه تلسمان ونزيل فاس ومفتيها، كان مشاركاً في العقائد والفقه والحديث والأدب، توفي بفاس عام 981 هـــ، ابن مريـــم، المصدر نفسه، ص260 .

[4]– علي بن يحي السلكسني الفقيه الخطيب المحقق في مختلف العلوم، عرف بالولي الصالح لاهتمامه بالتصوف كان إماما مدرسا بمسجد أجادير توفي في سنة 972هـــ/1564م، ابن مريـــم ، نفسه، ص145.

[5]– الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص426؛ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج1، ص384.

[6]– الونشريسي عبد الواحد بن أحمد بن يحي بن علي، من علماء فاس وقضائها، توفي عام 961هـــ/1553م، التمبكتي، نيل الابتهاج، ص ص 288-289.

[7]– عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق التجيبي الفاسي، من علماء فاس، توفي عام 961هـــ/1553م، التمبكتي، نفسه، ص 277؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 283.

[8]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص166.

[9]– ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص295.

[10]– ابن مخلوف، نفسه، ص295؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص311؛ محمد بن عبد الكريم ، المرجع السابق،ص88.

[11]– ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص295؛ عادل نويهض، المرجع نفسه، ص311.

ذكر في التأليف[1] وربـــما مرد ذلك الوظائف التي شغلها، أما تاريخ وفاته فقد وقع فيه خلاف بين مترجـــميه، وقد ذكر **"ابن مريـــم"** أنّه كان حياً سنة 1011هـــ/1603م[2].

- **أبو الـــعبـــاس أحـــمد الـــمقّـــري:**

هو أحمد محمد يحـــي بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العبـــاس الـــمقّـــري التلمساني، الـــملقب بشهاب الدّين، تلمساني المولد نزيل فاس ثـــم القاهرة، ولد سنة (986هـــ/1577م-1578م) اعتماداً على رواية الأستاذ **"عبد الوهاب بن منصور"** مـــحقق كتاب روض الآس[3]، حفظ القرآن الكريم وعكف على دراسة العلوم العربية الدينية واللغوية والأدبية، فأخذ عن عمه **"سعيد الـــمقّري"** "صحيح البخاري" وكتب الحديث المشهورة ثـــم رحل إلى فاس سنة(1009 هـــ/1600م) وحضر مـــجلس **"علي بن عمر السلاسي"** في جامع القرويين، وناقشة في بعض مسائل الفقه فاعترف له بالتفوق، ثـــم انتقل إلى مراكش وهناك تعرف على جماعة من العلماء جرت بينه وبينهم مساجلات ومطارحات منهم **"احمد بابا التمبكتي"**[4]، وفي سنة(1010هـــ/1601م) رجع إلى فاس ثـــم غادرها إلى تلمسان، وفي أوائل سنة(1013هـــ/1604م) عاد مرة ثانية إلى فاس فأسندت إليه هناك ولاية الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين، وفي عام(1027هـــ/1618م) خرج للحج فدخل القاهرة سنة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص385؛ محمد مرتاض، **من أعلام تلمسان**، منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص ص 287-295 .

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص105.

[3]- أحمد المقّري، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضريتين مراكش و فاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.

[4]- هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، عرف بأحمد بابا التمبكتي، ينحدر من عائلة أقييت، ولد سنة 1553م بمنطقة أروان من أعمال تمبكتو، ودرس على علمائها، نبغ في علوم الفقه والحديث والآداب العربية والمنطق وعلم الفرائض وقواعد اللغة، تصدى للتعليم والتدريس في جامع سنكري، وتولى منصب القضاء في كل من ايولاتن وتمبكتو، له عدة مؤلفات زادت عن خمسين مؤلف أشهرها: كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج" وغيرها. تتلمذ على يده جملة من العلماء من أهل المغرب مثل محمد بن يعقوب المراكشي وغيرهم، ألقى عليه القبض السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي عندما تعرضت تمبكتو للغزو المغربي ثم أطلق سراحه، توفي سنة 1036 هـــ/1627م، أحمد المقّري، المصدر نفسه، ص ص300-304؛ عبد الوهاب منصور، المرجع السابق، ص ص 333-343.

1028هـ/1619م ومنها إلى الديار المقدسة وعاد إلى القاهرة فأقام بها مدة ثم دخل القدس الشريف وتكررت زياراته إلى الحجاز وأملى به دروس عديدة، كانت وفاته بالقاهرة ودفن بمقبرة المجاورين سنة(1041هـ/1632م)، أخذ عنه من لا يعد كثرة من أهل المشرق والمغرب منهم "**عيسى الثعالبي**" و"**عبد القادر الفاسي**" وغيرهم[1]، له مؤلفات جيدة مفيدة تدل على سعة حفظه وفضله منها " نفح الطيب" و"أزهار الرياض" و"النفحات العنبرية في فعل خير البرية" و"إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة" و" حاشية على مختصر خليل" و"فتح المتعال في وصف النعال" و"روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضريتين مراكش وفاس" وغيرها[2].

2. اسمه ونسبه:

هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن علي القرشي المقّري، ويكنّى أبو عبد الله[3].

هكذا نسبه تلميذه "**ابن الخطيب**"في الإحاطة[4]، وحفيده "**شهاب الدّين أحمد المقّري**" في نفح الطيب[5] حيث يظهر من خلال ذلك أنّه من أصل عربي، ينسب إلى قبيلة قريش العربية التي خصّها الله تعالى بسورة من كتابه المبين[6]، وهذا النسب صّرح به جمهور من المؤرخين والنسابين من ذلك" **ابن فرحون**" في "الديباج" حيث قال: « **محمد بن أحمد بن بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقّري**»[7] و "**التنبكتي**" في" كفاية المحتاج"

---

[1]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 300؛ القادري، نشر المثاني، ج1، ص157؛ محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 102-106؛ محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص 12.

[2]- يحي بوعزيز، أعلام الجزائر المحروسة، ج2، ص ص 310-311؛ أبو عمران وفريق من الأساتذة، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص ص 447-449.

[3]- ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج8 ص 332؛ البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت،1992، ص160؛ ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص232؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص190.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص191.

[5]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص204.

[6]- سورة قريش، آياتها، وهي مكية رقمها 106.

[7]- ابن فرحون، الديباج المذهب، ص382.

المـــحتاج" قال عنه : « **محمد بن محمد بن أبي بكر بن يحي ابن عبد الرحمن القرشي التلمساني عرف بالـــمقّري** »[1] .

بيد أنّ هناك من شكّك في نسبه القرشي، حيث يشير حفيده" **أبو العباس أحمد الـــمقّري**" إلى أنّ أحد المغاربة كتب بهامش نسب جدّه من كتاب الإحاطة لـــما اطّلع عليه عبارة:" **الـــقرشي وَهْم**" و لم يذكر هذا الـــمغربي من أين جاء الوهم إلى هذا النسب"[2].

وبناءً على هذا التشكيك تصدى الحفيد لإثبات هذا النسب القرشي، فساق من أجل ذلك مجموعة من النصوص في كتابه "نفح الطيب"، منها تعليق **أبي الفضل التلمساني** (تـــ845هـــ/1441م)[3] الذي كتبه تـــحت عبارة التشكيك السابقة ونصه:«**بل صحيح نطقت صحيح نطقت به الألسن والمكاتبات والإجازات، وأعربت عنه الخلال الكريـــمة، إلا أن البلدية**[4] **يا سيدي أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية في إمام المغرب أبي عبد الله الـــمقّري وهـــمًا و الحمد لله** »[5] وزاد على تعليق أبي الفضل تصريح جماعة من المؤرخين والنسابين، فكان ممّن صرّح بالقرشية في حق "**أبي عبد الله المقّري**"، "**ابن خلدون**" في تاريـــخه[6] و"**ابن الأحمر**"[7] في "نثير الجمان" و"شرح البردة" و"**ابن غازي المكناسي**"[8] (تـــ919هـــ/1513م)

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي ، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تراجم المالكية**، تعليق أبو يحي عبد الله الكندي، دار ابن حزم، لبنان، 2002،ص326.

[2]- أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص204 .

[3]- هو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبو الفضل التلمساني، ارتحل سنة 810هـــ وأقام بتونس شهرا ثم قدم القاهرة، فحّج منها وعاد إليها ثم سافر إلى الشام وزار بيت المقدس قال عنه المقريزي:" صاحب فنون عقلية ونقليه" وقال الونشريسي:" له قدم راسخ في البيان والتصوف والأدب والشعر والطب"، توفي سنة 845هـــ، أخذ عنه ابن مرزوق الكفيف والإمام عبد الجليل التنسي وغيرهم، ابن مريـــم، المصدر السابق، ص ص 220،221 ؛ التنبكتي، المصدر نفسه، ص 408.

[4]- البلدية ضعيفي الذكاء ومن لا نشطه تحريك، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 244.

[5]- أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص204.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص387.

[7]- هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأمير الأندلسي المعروف بابن الأحمر، أديب له "نثير فرائد الجمان فيمن لقيني وإياه الزمان"، توفي سنة 771هـــ/1369م، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص 377.

[8]- مخلوف، المصدر السابق، ص 276.

و"**أحمد زروق البرنسي**"[1](تـــ899هـــ/1500م) و"**أحمد الونشريسي**"(تـــ914هـــ/1509م)، وتعدّ شهادة "**لسان الدين ابن الخطيب أحسن شهادة**"[2]، كما قال رداً على من خالفه في ذلك:« **فنحن أعلم بأمورنا وأرعى لـــمآثرنا وأحفظ لأنسابنا**»[3] .

وكان مـــمّن اثبت قرشية "**الـــمقّري**" أيضا "**ابن القاضي**" في كتابه" درة الحجال"[4] و"**ابن مريـــم**" في كتابه "البستان"[5].

فما يبدو أنّ أغلب كتب التراجم أجمعت على أنّ أجداد "**الـــمقّري**" قرشيون وأنّهم ليسوا من أهل المغرب وأصحابه الأولين، بل هم وافدون عليه من الجزيرة العربية، الموطن الأصلي للقبيلة العربية قريش[6]، هذه الأخيرة التي تعود في نسبتها إلى قبيلة كنانة[7] حيث جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتكلم في النسب: « **نحن بنو النضر بن كنانة**»[8]، وقال وقال القلقشندى: « **بنو قريش قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قريش**»[9].

ومـــما لا شك فيه أن الأسرة المقّرية تعتز بنسبها القرشي كون الرسول صلى الله عليه وسلّم ينسب إليها، غير أنّنا لا نعلم من أي بطن هي أسرة الـــمقّري في بطون قريش[10]، كما أنّ تاريخ نزوح الأسرة من الجزيرة العربية إلى بلاد المغرب يكتنفها الكثير من الغموض.

---

[1]- هو أحمد بن محمد زروق، من كبار شيوخ الفقه والحديث والتصوف، كان وليا صالحا قطبا من أقطاب التصوف، ذاع صيته في بلاد المغرب والمشرق، توفي بمسراته شرق طرابلس الغرب سنة(899هـ/1493م)،ابن مريم، المصدر السابق،ص 45-47، مخلوف، المصدر السابق، ص 267-268.

[2]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص204.

[3]- القادري، المصدر السابق، ج1، ص292.

[4]- ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص43.

[5]- ابن مريـــم، المصدر نفسه، ص154 .

[6]- اختلف في سبب تسميتهم قريش، قيل من التقريش، وهو التجمع فسمو بذلك لاجتماعهم بعد تفرقهم، وقيل من التقرش وهو التجارة، وقيل لتقريشهم أي تفتيشهم عن حاجة المحتاج، وقيل نسبة إلى دابة من دواب البحر يقال لها قريش طلعت عليهم في سفينة فرماها أحدهم بسهم فسمو بها، القلقشندى، **نهاية الأرب في معرفة انساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت، القاهرة،1991، ص398؛ رضا كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص ص 947-948.

[7]- رضا كحالة، المرجع نفسه، ص948.

[8]- الزبير بن بكار، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق محمود شاكر، مكتبة خياط ، بيروت، (ب ت)، ص04.

[9]- القلقشندى، المصدر نفسه، ص397.

[10]- عن بطون قريش، ينظر، القلقشندى، نفسه، ص398.

3. مـــولـــده و نشـــأته:

3. 1. مـــولـــده:

ولد **"أبو عبد الله مـــحمد الـــمقّري"** بتلمسان، أما تاريخ ولادته على وجه التحديد فلم تشر له جلّ المصادر التاريخية التي ترجمت له[1]، غير أنّ **"أبو عبد الله محمد المقّري"** نفسه ذكر في فهرسه[2] أنّه ولد في عهد السلطان الزياني **"أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمرا سن"** أحد سلاطين تلمسان في أوائل القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي[3] .

والواضح أنّ **"أبو عبد الله المقّري "** لـــم يكن يـــجهل تاريخ ولادته وإنّما عزف أن يصّرح بذلك، حيث جاء عنه قوله: «**كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمرا سن بن زيان، وقد وقفـــت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفـــح عنه**»[4]، وعللّ وعللّ هذا بأنّه ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنّه، فقال في ذلك بسند متسلسل: «**لأنّ أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا الطاهر السلفي عن سنّه فقال: أقبل عن شأنك فإني سألت أبا الفتح بن زيان عن سنّه فقال لي، أقبل على شأنك فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنّه فقال لي، أقبل على شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنّه فقال، أقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي ألمنقري عن سنّه فقال: أقبل على شأنك فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنّه فقال:" أقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنّه فقال أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنّه فقال أقبل**

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص136؛ ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص59؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص154، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص43؛ أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص1؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج8، ص332؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص232.

[2]- سمي"نظم اللاتي في سلوك الأمالي"،أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص215؛ أحمد المقّري أزهار الرياض، ج5، ص28؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، ج3، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982ج3، ص 682.

[3]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص 136؛ أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص25؛ عبد القادر زمامه، **المقري الجد**، مجلة دعوة الحق، ع2، السنة التاسعة، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ديسمبر 1965، ص 96.

[4]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص25.

على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنّه فقال: أقبل على شأنك، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنّه»[1].

يبدو أن ظاهرة عدم التصريح بتاريخ الـــميلاد كانت مشتهرة أوساط علماء ذلك العصر، حيث أنّنا نقف عند تاريخ وفاة العديد من العلماء المشهورين دون تاريخ ميلادهم، فقد أفادنا **"ابن الخطيب"** أنّ **" أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن الفخار"** (تـــ723هـــ/1323م)[2] كان لا يـــخبر بتاريخ ميلاده، وأيضا **"عبد الله الأوسي بن سناري"**(تـــ647هـــ/1249م بسبته) فقال: « **كان مالك يكره تعريف الإنسان بسنّه** »، و يعلل مالك كراهة ذلك بقوله: « **إن كان صغيراً أستحقر أو كبيراً أستهرم** »[3] .

واقتدى بالسلف في ذلك **"أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي السلمي"** (تـــ771هـــ/1370م)[4] فقد أنشد أبياتا عندما سئل عن سنه تـــفيد الـــمعنى:

احْفَظْ لِسَانَكَ لاَ تَبُحْ بِثَلاَثَةٍ سِنٍ ومَالٍ، إنْ سئلت وَمَذْهَبِ

فَـــعَلَى الثّلاَثَةِ تُبْتَلَى بِثَلاَثَةٍ بِمُكَفّرٍ وبِحاَسِدٍ و مُكَـــذِّبِ[5].

وبناءً على قول **"أبو عبد الله المقّري"** كونه ولد في عهد **"أبي حمو الأول"**، هذا الأخير الذي حكم في الفترة الممتدة ما بين(707هـــ) و(718هـــ)، معنى ذلك أنّه ولد بين هذين

---

[1]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص، 28-29؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج8، ص 333.

[2]- هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي المالقي الأندلسي، قرأ على أبي عبد الله محمد بن خميس وأبي الحسن بن أبي الربيع وغيرهم، ألف نحو الثلاثين تأليف في فنون مختلفة، منها" تخيير نظم الجمان في تفسير القرآن "و"انتفاع الطلبة النبهاء" و"منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر" وغيرها توفي سنة (723هـــ/1723م)، ابن فرحون، الديباج، ص390؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 563؛ البغدادي، هدية العارفين، ص 159؛ ؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص212 .

[3]-التنبكتي، المصدر نفسه، ص ص 214-215.

[4]- أبو البركات محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن الحاج السلمي البلفيقي ،أخذ عن أعلام الأندلس من أهل عصره وتبحر حتى قال عنه ابن خلدون: "شيخنا شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس وسيد أهل العلم "وقال فيه أبو زكرياء السراج في فهرسه :"لم ألقى في هذه الطريقة اكبر منه ولا اعلم بهذا الشأن"، ، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2 ، ص160، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص61؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص152-153.

[5]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص207؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج8، ص 333

التاريخين، وقد رجّح الأستاذ "**محمد الفاضل ابن عاشور**"[1] أنّ تاريخ مولد"**عبد الله المقّري**" كان في حدود سنة(710هـ/1310م) ووافقه في ذلك الأستاذ "**أبو الأجفان**" استنادا على قول "**أبو عبد الله المقّري**" الذي أشار إلى صغر سنّه عندما استحسن منه جواباً أستاذه "**أبو إسحاق بن حكم السلوي**"(ت737هـ/1337م) وهو وارد على تلمسان بعد سنة 720هـ/1320م[2].

3. 2. نشأته:

أبو عبد الله المقّري سليل أسرة ثرية اتسعت أعمالها بالتجارة كما سبق الإشارة إلى ذلك، وقد صّرح بنفسه بأنّه لم يستفيد ماديا من هذا الإرث و الثراء العائلي فقال:« **فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا اليوم، فها أنا ذا لم أدرك في ذلك إلاّ أثر نعمة...ومن جملة ذلك خزانة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب، فتفرغت بحول الله عزّ وجلّ للقراءة**»[3] .

فمن خلال هذا النص يتضح جليًا أنّ جذور الثقافة قد كانت متأصلة منذ زمن بعيد في أسرة"**المقّري**"، فوراثته لخزانة كبيرة من الكتب دلالة واضحة على أنّ العلم قد كان منتشرا بين أفراد هذه الأسرة، ولولا ذلك ما كانت خزانة الكتب ولا توارثها الأحفاد عن الأجداد.

وبناءً على هذا يمكن القول أنّ "**المقّري**" نشأ وسط أسرة تميزت بالعلم والمجد والثراء عندما احتضنت مترجمنا في طفولته وشبابه، الأمر الذي هيّأ له فرصة التفرغ لطلب العلم مبكرا، فلم ينشغل بطلب العيش والبحث عنه، بل وجّه جلّ اهتمامه نحو لقاء المشايخ، إذ نشأ منذ صغره محبا للعلم، حيث نلمس طلبه للعلم في سّن مبكرة من خلال روايته بالمصافحة عن "**أبي عثمان سعيد بن علي الخياط**"(ت729هـ/1329م)[4] فقال:«**صافحته وأنا صغير**»[5] مما يدل على إرادته وقوة عزيمته واستعداده لطلب العلم .

كما أنّ توجهه العلمي هذا ليس شاذا، فطور نشأة "**المقّري**" بتلمسان يبدأ من ولادته على عهد أميرها "**أبي حمو الأول**" ويتواصل إلى نهاية عهد أميرها" **أبي تاشفين**"، وهي فترة

---

[1]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص32.

[2]- أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص32

[3] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص 193-194.

[4]- هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط،عرف بابن سبعين، متصوف ألبس الخرقة على طريق أبي العباس الرفاعي وطريق السيد أبي مدين، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص117؛ البغدادي، المصدر السابق، ص 160.

[5]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 241.

ميّزها ازدهار الحركة العلمية بتلمسان، هذه الأخيرة التي أصبحت مركزا هاما من مراكز الإشعاع الثقافي تضاهي به غيرها من مراكز العلم بالمغرب الإسلامي، الأمر الذي جعل منها قبلة للطلاب الذين توافدوا عليها من مختلف الربوع للاستزادة والتحصيل والإجازة من كبار شيوخها وعلمائها، كما جاءها العلماء من المغرب والأندلس، وتولّوا التدريس في مدارسها وشاركوا في مـــجالسها العلمية، فكان ذلك كلّه فرصة لـــ"**أبو عبد الله الـــمقّري**" في تحقيق طموحاته وأغراضه العلمية[1]، وهذا ما قصده بقوله عن نشاطه في الدراسة والتحصيل:«**فاستوعبت أهل البلد لقاءً وأخذت عن بعضهم عرضًا وإلقاءً، سواء المقيم القاطن والوارد الظاعن**[2]»[3].

ومـــما لاشك فيه أنّ معاصرته لـــجهابذة العلم أمثال "**أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب**" (تـــ781هـــ/1379م)[4] و"**الشريف التلمساني**"(تـــ771هـــ/1369م)[5] وغيرهم من علماء عصره، جعله يحذوا حذوهم في تحقيق المكاسب العلمية، مـــما خلق جو من المنافسة العلمية، وقد ساهم ذلك دون شك في تكوين شخصية **الـــمقّري** العلمية.

---

[1]- محمود بوعياد، المرجع السابق، ص 63؛ عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص 97.

[2]- ظَعُنَ يَظْعَنُ و ظَعَنَاَ بالتحريك و ظَعونًا، ذهب وسار ،والظَعْنُ هو تحوُّل من بلد إلى بلد، ويقال لكل شخص لسفر من مدينة إلى أخرى ظاعِنُ وهو ضد الخافض ويقال أظاعن أنت أم مقيم؟، ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 2748.

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص 193-194.

[4]- هو محمد بن أحمد التلمساني، ولد سنة (711هـــ) بتلمسان وبها نشأ، قرأ القرآن على الفقيه أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب بن علي، وله مشايخ جلّة بالمشرق والمغرب، خطيب ذو وجاهة عند السلاطين، تولى الخطابة بجامع الحمراء بغرناطة، خدم الملوك من بني مرين منهم السلطان أبي سالم، وولاه السلطان الحفصي أبو إسحاق الخطابة بجامع الموحدين ورحل إلى القاهرة فتولى التدريس وقضاء المالكية إلى أن توفي هناك سنة (781 هـــ)، واشتهر من مؤلفاته كتاب "المسند الصحيح الحسن في أخبار المولى أبي الحسن"؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115؛ ابن فرحون، الديباج المذهب،ص ص396-399؛ محمد زمري، **الأعلام المغاربة في مصنفات المشارقة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص ص 89-90.

[5]- هو محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني، يعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى "العلويين"، ولد سنة (710هـــ/1310م)، أخذ عن الآبلي وارتحل إلى تونس فأخذ عن ابن عبد السلام، استخلصه أبو عنان واختاره لمجلسه لما ملك تلمسان ورحل به إلى فاس، نبغ في علوم كثيرة وترك مؤلفات هامة يأتي في طليعتها "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" و"مثارات الغلط في الأدلة" و"شرح جمل الخونجي"، توفي سنة(771هـــ)، ابن خلدون، التعريف، ص ص 62-64؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 106، الزر كلي، الأعلام، ج6، ص 224.

ثالثا: حيـــاته العـــلمية بـــتلمسان:

1. طلبه للعلم وشيوخه بتلمسان:

مـــمّا لا شك فيه أنّ **"أبو عبد الله الـــمقّري"** سلك نفس المسلك العلمي الذي يتوفر لكل أصحاب العائلات الحضرية الثرية، وربـــما كان أوفّر حظًا عن غيره من علماء عصره لاستفادته من ذلك الإرث الـــمادي الـــمتمثل في خزانة الكتب التـــي ورثها عن أجداده، كما سبق الإشارة إلـــى ذلك، الأمر الذي يدفع أحيانا نـــحو طلب العلم والآداب.

والواضح أنّ **"الـــمقّري"** أثناء فترة تعلّمه مرّ بنفس الـــمراحل التعليمة الـــمعروفة بـــمدن الدولة الزيانية، والتي كانت منحصرة في الـــمرحلة الأولـــى على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن في الكتاتيب والمساجد[1]، فعكّف على مدارسة القرآن وحفظه على الروايات السبع[2]، وتلقى المبادئ الأساسية المعدّة للمبتدئين في الكُتاب، إذ كان القائم بالتعليم فيها يسمى بالـــمُكتب[3]، فالـــمُكّتب الأول لـــ**"الـــمقّري"** هو **"أبو عبد الله محمد بن محمد القرموني"** وهو رجل صالح كان **"الـــمقّري"** يـــجلّيه كثيرا، أمّا الـــمكتب الثاني فهو **"أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي"**[4].

وفي الـــمرحلة الثانية التي يتم فيها دراسة النحو واللغة والأدب والفقه فينال بـــها الطالب بضاعة وافرة تـــمكّنه من بلوغ مستوى ثقافي لائق ومن معرفة دينيه والإلـــمام بالعلوم اللسانية، كما أنّ الدراسة في هذه الـــمرحلة كانت تتسم بـــحرية الطالب في اختيار

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 344؛ عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان، ص 138.

[2]- الروايات السبع: إن القرآن الكريم رواه الصحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بضع ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنو قل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، ابن خلدون، المقدمة، ص 356.

[3]- كان يوجد نوعان من المعلمين بتلمسان في هذه المرحلة، الأول يدعى المعلم الملقن وهو المكلف بتعليم القرآن وتحفيظه دون كتابته، والثاني هو المعلم المكتب هو المكلف بتعليم الصبيان الخط ولا يعلم غيره، عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص 246.

[4]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص 58-59.

المواد الدراسية وهي غير مقيدة بـــمقرر دراسي سنـــوي، هذا الأخير الذي يتحدد مضمونه وفق الـــجو السياسي والـــمذهبي للدولة[1].

ففي هذه المرحلة تصدى"**أبو عبد الله المقّري**" لتعلم قواعد اللغة العربية، فدرس كتاب "التسهيل " في اللغة العربية حتى حفظة، ثم درس العلوم الدينية من فقه وأصول، انطلاقا من "مختصرا بن الحاجب"[2]، وذلك على يد شيوخ تلمسان وعلمائها الأجلاء، فتتلمذ على عدد وافر من علماء عصره أوردهم "**الـــمقّري**" نفسه في فهرسه" **نظم اللألي في سلوك الأمالي**"، وذكرهم "**ابن الخطيب**"، وأحصاهم "**الـــمقّري الحفيد**" صاحب" نفح الطيب "منهم بتلمسان نـــحو27 شيخا[3]، وذكرهم "**ابن مريم**" في "البستان" و"**ابن فرحون**" في "الديباج" و"**ابن خلدون**" في "التعريف".

فلزم "**أبو عبد الله الـــمقّري**" بعدما أصبح من طلبة المدرستين الشهيرتين بتلمسان أشهر مدرسيها في الفقه وعلم الكلام "**ابنـــي الإمام**"[4]، فقد صرّح بأنّه استفاد كثيرا من "**أبـــي موسى**" وســـمع عليه "صحيح مسلم".

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص348؛ عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص 97.

[2]- هو أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدوني ثم المصري، الفقيه المالكي، المعروف بابن حاجب والملقب بجمال الدين، تفقه على مذهب مالك، وفي العربية والآداب والقراءات، ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها، وألّف في الفقه "المختصر الفرعي والأصلي"، توفي بالإسكندرية سنة(646هـــ/1248م)، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج6، تحقيق إبراهيم على طرخان، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972، ص36؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج5، دار إحياء التراث العربي (ب ت)، ص234.

[3]- أبو عبد الله الـــمقّري، القواعد، ص60؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص291-203؛ أحمد الـــمقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص2-75؛ نصر الدين بن داود ، بيوتات العلماء، ص65.

[4]- ابني الإمام: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (تـــ743هـــ) وأخوه أبو موسي عيسى(تـــ749هـــ) عالـــما المغرب في وقتهما، أصلهما من برشك، رحلا إلى تونس حوالي سنة 700هـــ، فدرسا العلوم الدينية على تلامذة ابن زيتون وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي، وبعد رحلة طلب العلم استقرا بتلسمان فاختص بهما السلطان "أبي حمو موسى الأول"، وبني لهما المدرسة المعروفة باسمهما، وأقام يدرسان بها إلى أن استولى أبو الحسن على تلمسان فصحباه وحضرا معه معركة طريف، أخذ عنهما الكثير من العلماء المشهورين، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص ص 29-32؛ التنسي، المصدر السابق، ص139؛ السراج، الحلل السندسية، ج1، ص572؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص ص11-25؛ الزر كلي، الأعلام، ج5 ، ص108؛ محمد مرتاض، من أعلام تلمسان، ص ص81-93.

كما لزم "**المقّري**" أيضا مجلس العالم "**أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي**"[1] الذي نزل تلمسان بطلب من الأمير "**أبو تاشفين الأول**"، فتولى مهمة التدريس بها ومن العلوم التي درّسها الحديث والفقه والأصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض[2]، حيث تعّمق معه "**المقّري**" في الدراسات الفقهية[3] وقرأ عليه "مختصر ابن الحاجب"، فقد نعته: "**بأنّه حافظ تلمسان ومفتيها وأنّه كثير الاتساع في الفقه والجدل، مديد الباع فيما سواهما**"[4].

وما ينبغي التنويه إليه ما ذكره "**المقّري**" بأنه حضر مجلسين علمين من المجالس التي كان يقيمها السلطان "**أبو تاشفين**" إلى جانب شيخيه الأخوين "**أبي زيد**" و"**أبي موسى**" ابني الإمام وشيخه "**أبي موسى عمران المشدالي**"، وشارك بآرائه في المناظرة العلمية التي دارت في حضرة السلطان بين العلماء وعقّب على ذلك بأنّه كان حديث السن[5].

ثم استزاد دراسة مختلف العلوم النقلية والعقلية، فقد نوّه بشيخين جليلين أخذ عنهما، نعت أحدهما بعالم الدنيا والآخر بنادرتها، أما العالم فهو "**أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدري الآبلي التلمساني**"[6]، والنادرة هو" **أبو عبد الله محمد بن شاطرا الجمحي المراكشي**"[7] وهو من المتصوفين حيث تأثر به المقّري في مجال التصوف وروى عنه بعض

---

[1]- أصله من زواوة، ولد سنة(670هـ/1271م)، فقيها حافظا علامة محققا كبيراً، نزل تلمسان فبعث له السلطان أبي تاشفين (718هـ-738هـ) وقرّبه وأحسن إليه، أخذ عنه أبو عبد الله السلاوي وسعيد العقباني وأبو عبد الله الشريف وغيرهم من كبار علماء القرن 8هـ، توفي سنة(745هـ/1344م)أيام إمارة أبي الحسن المريني، له "رسالة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة" وفتاوى كثيرة، نقل الكثير منها الونشريسي في معياره، التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص350؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص220؛ عبد الحميد حاجيات، أبي حمو موسى، ص45.

[2]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص30؛ ابن القاضي، درة الحجال، ص303.

[3]- نصر الدين بن داود ، المرجع السابق، ص65.

[4]- أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص30.

[5] - عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص97.

[6]- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، أصله من آبلة بالأندلس، يعتبر إماما جامعا لمختلف الفنون المعقولة والمنقولة، انظم إلى جملة العلماء في مجلس السلطان أبو الحسن واشهر تلامذته ابن الصباغ وابن خلدون والشريف التلمساني وغيرهم (تـ757هـ)، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص49؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2،ص265؛ السراج، الحلل السندسية، ج1، ص616.

[7]- ينظر ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج،ص 417.

بعض الحكم الصوفية وشرح بعض أقواله، ومن ذلك أنّ "**ابن شاطر**" لـــما ذكر أنّه مـــحبوس في الروح علّق الـــمقّري على ذلك بقوله: « **صدق لأنّ الدنيا سجن ولا مـــخلص له من حبسه إلا بـــمفارقة نفسه** »[1].

ومن العلماء الذين استفاد منهم "**الـــمقّري**" بتلمسان سواء أكان من أهلها أو مـــمن ورد عليها نذكر:

"**أبو عبد الله محمد بن هدية القرشي**"(تـــ735هـــ/1335م)[2]، و"**أبو عبد الله محمد التميمي**"(تـــ 745هـــ/1344م)[3] صاحب " شرح المعالـــم" الذي أخذه عنه "**الـــمقّري**"، وأخذ عن "**أبو عبد الله محمد بن عبد النور**"(تـــ750هـــ/1349م)[4]، والشيخ "**محمد بن الحسين البرونـــي**" وهو من الواردين على تلمسان من الأندلس، و"**أبو إسحاق إبراهيم بن حكم الكناني السلوى**" الذي ورد على تلمسان بعد سنة 720هـــ/1320م وقتل بها سنة 737هـــ/1336م[5] وقد روى عنه "**الـــمقّري**" كثيرا من إفاداته ، حيث وصفه بأنّه:" **مشكاة الأنوار الذي يكاد زينته يضئ ولو لم تمسسه نار**"[6]، وعن "**أبو محمد عبد الله بن الناصر**

---

[1]- أبو عبد الله المقّري، **الحقائق والرقائق**، اعتنى به عمرو سيد شوكت،دار الكتب العلمية،بيروت،(ب ت)،ص162؛أبو الأجفان، المرجع السابق، ص64؛ عبد القادر زمامة، **الحقائق والرقائق**، مجلة دعوة الحق،ع2، السنة التاسعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ديسمبر 1965، ص 100.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي التلمساني، من نسل عقبة بن نافع، اهتم بالفقه واللسان والأدب، عمل بكتابة الرسائل على لسان سلاطين تلمسان، وتولى قضاء الجماعة بتلمسان،يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص116؛ابن مريم، المصدر السابق، ص225؛البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص149، النباهي، المصدر السابق، ص134.

[3]- هو محمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمروا لتميمي، ينتمي إلى أسرة عريقة من أسر تونس، أخذ عن أبي الطاهر بن سرور و غيره، ثم قدم تلمسان وعين بها قاضيا، ودرس العلوم الدينية وروي عنه أبو عبد الشريف والمقّري وغيرهما، ومن تأليفه كتاب" اللخمي على المدونة"، يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص131؛ ابن مريم، المصدر نفسه، ص291.

[4]- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد النور، قاضي فاس وقاضي عسكر أبي الحسن المريني، كان إماما مبرزا في الفقه على مذهب مالك، تفقه بالأخوين ابني الإمام، وعنه أخذ جماعة من أعيان تونس حين قدم مع الأمير المذكور، وتوفي بالطاعون عام حوالي 750هـــ ، ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص267؛ التمبكتي، نيل الابتهاج، ص240؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص221.

[5]- ورد تلمسان فارا من بني مرين، وانكب على الدرس وأخذ بها عن عمران المشدالى وغيره، ثـــم عين للتدريس بالمدرسة التاشفينية، قتل عندما فتح المرينين تلمسان سنة(737هـــ)، ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص178.

[6]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص30.

المجاصي"(تـــ741هـــ/1340م) الذي يعـــد مـــمن تأثر بهم "**الـــمقّري**" في اتـــجاهه الصوفـــي، فقد أخذ عنه مصافحة مسلسلة وأدعية ذات أسانيد، حيث يصفه:" **بعالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس التنـــزيل وحليف البكاء والعويل**"، ويسميه أهل مكة بالبكاء لشدة ورعه وخشيته[1].

وذكر "**الـــمقّري**" من شيوخه بتلمسان " **أبو عبد الله محمد بن يحي بن النجار**"[2]، الذي وصفه "**الـــمقّري**": " **بنادرة الإعصار**"، وقد ناقشه في بعض الفروع الفقهية[3].

وذكر من شيوخه أيضا الشيخ "**أبو عمران موسى المصمودي** " الشهير بالبخاري لأنّه استمر في تدريس صحيحة، غير أنّ "**الـــمقّري**" انتقده في بعض فتاويه الفقهية فقال عنه: «**كان رحمه الله قليل الإصابة في الفتيا كثير المصيبات عليها**»[4]، وأخذ أيضا القراءات بالسبع والأحاديث بأسانيدها والشاطبتين عن الشيخ "**أبو الحسن علي بن مزاحم المكناسي**"، فيقول في ذلك : « **جمعت عليه السبع وقرأت عليه البخاري والشاطبتين**»[5]، كما أخذ "**الـــمقّري**" أيضا الصحيحين بأسانيدهما عن "**الشيخ أبو عبد الله محمد بن حسن القرشي الزبيدي**"(تـــ 749هـــ/1348م) [6] فقال عنه في رحلته : « **شيخي وبركتي وقدوتي، حدثني بالصحيحين قراءة لبعضها ومناولة لجميعهما** »، واستفادة من الشيخ "**أبو محمد عبد المهيمن**

---

[1]- الملقب بالبكاء لكثرة الخشية والتقوى، رحل إلى المشرق لطلب العلم وانتصب بتلمسان للتدريس والوعظ، من تلامذته أبو عبد الله الشريف وابن مرزوق وغيرهم، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص105؛ ابن مريـــم، المصدر السابق، ص 121.

[2]- مراكشي الأصل، ولد ونشأ بتلمسان، أخذ عن الآبلي، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى فدرس علي آبي عبد الله محمد بن هلال شرح "المجسطي" بسبته، وأخذ بمراكش عن ابن البناء فنبغ في العلوم العقلية، وعاد إلي تلمسان بعلم غزير والتحق ببلاط أبي الحسن المريني فصحبه إلى افريقية حتى توفي بالطاعون سنة(749هـــ)، ومن تلامذته أبو عبد الله الشريف وابن الفحام وغيرهم، ابن خلدون، التعريف، ص47؛ ابن القاضي، درة الحجال،ج2،ص264؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 525؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص188.

[3]- أحمد المقّري،أزهار الرياض،ج5، ص 51.

[4]- أحمد المقّري ،نفسه،ج5، ص51.

[5]- نفسه،ج5، ص 51.

[6]- هو أبو عبدا لله محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي القرشي الشهير بالفقيه، كان كبير تونس لعهده في العلو والفتيا هلك في الطاعون الجارف سنة 740هـــ، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص16؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص14-15؛ أحمد الـــمقّري، المصدر نفسه،ج5، ص54؛ التنبكتي، المصدر نفسه، ص 396.

الحضرمي "[1] والفقيه "**أبو عبد الله بن سليمان السطي**"(تـ749 هـ/1348م) [2] الذي قرأ كتاب الحوفي علما وعملا.

كما أخذ عن الشيخ "**أبو عبد الله الرندي الفاسي**"[3]، الذي اصطحبه أبا **الحسن المريني** معه إلى تونس، والقاضي "**أبو عبد الله محمد ابن عبد الرزاق الجز ولي**"[4]، والشقيقان "**أبو عبد الله محمد**" و" **أبو العباس أحمد**" ابنا "**محمد ابن مرزوق العجيسي**"[5].

نستنتج مما سبق أن الجو العلمي الذي ميّز تلمسان من ازدهار الحركة الفكرية بها، حيث أصبحت حاضرة علمية ممتازة تضاهي عواصم العلم المشهورة إذ ذاك كمصر وغرناطة وتونس وفاس وبجاية، الأمر الذي مكّن "**المقّري**" من تحصيل علومه ومعارفه على يد كبار شيوخها وأن يذاكر أعلامها الواردين عليها، لاسيما وأنّ السلاطين الزيانين فتحوا باب الهجرة للعلماء على مصراعيه، فجلبوا النخبة منهم من مختلف بلاد القطر أو من الأندلس والمغرب الأقصى، كما هيأ له ذلك المناخ العلمي بتلمسان أن ينضم إلى مجالس السلطان

---

[1]- هو الفقيه المحدث الكاتب عبد المهيمن الحضرمي السبتي، اخذ عن أبي الربيع وأبي صالح الكتاني وغيرهم، ورد إلي تونس صحبة أبي الحسن المريني، اخذ عنه ابن خلدون وابن جزي الغرناطي، الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص31؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص132؛ محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ص ص158-159.

[2]- شيخ الفتيا بالمغرب وإمام المذهب المالكي، من قبيلة سطة من بطون أوربة بنواحي فاس،اخذ عن أبي الحسن الصغير وأبي الحسن الطنجي، له شرح على المدونة وتقيد على فرائض الحوفي وغيرها، اصطفاه أبي الحسن المريني مع جماعة من العلماء بصحبته حين سفره بتونس، وأقام بها ولما رجع بحرا مات غريقا في الأسطول بأحواز بجاية سنة 749هـ/1348م، الشاطبي، المصدر السابق، ص 85؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ص201؛ السراج، المصدر السابق، ج1، ص670؛ محمد حجي ،**موسوعة أعلام المغرب**، ج2، دار الغرب الإسلامي، ص640.

[3]- كان حافظا للمذهب قائما به، إماما في العربية، متقدما في النظر، انتفع به خلق كثير، لازم أبا الحسن المريني في وجهته لتلمسان، توفي سنة 746هـ، ابن القاضي، المصدر نفسه ،ج2 ، ص 240.

[4]- قال فيه ابن خلدون، شيخنا شيخ وقته جلالة وتربية وعلما، نشأ بفاس وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى تونس فلقي القاضين ابن الرفيع و أبا عبد الله النفراوي ثم رجع إلى المغرب ولازم الأكابر والمشايخ فولاه السلطان أبو الحسن قضاء فاس، فبقي فيه إلى إن عزله، ثم لما جمع شيوخ العلم للتحليق بمجلسه والإفادة منهم فاستدعاه معهم فلم يزل كذلك إلى أن هلك سنة 758هـ، ابن قنفذ، الوفيات، ص 358؛ النباهي، المصدر نفسه، ص 135؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص351.

[5]- الكتاني ،المصدر نفسه، ص521؛ نصر الدين بن داود ، علماء أسرة المرازقة، ص ص 16-33.

"أبي تاشفين" ويشارك علماءه أبـــحاثهم، وبعد هذه الاستفادة من علماء تلمسان، ما كان على **"أبو عبد الله الـــمقّري"** إلاّ أن يقوم برحلة علمية إلى مـــختلف الحواضر الإسلامية قصد لقاء المشايخ من أجل إتـــمام وإكمال علومه.

2. صفاته ومنـــزلته العلـــمية:

يعد **"أبو عبد الله الـــمقّري"** من مشاهير علماء القرن الثامن الهجري ببلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، وهذه الشهرة هي ميزة لا تتحقق إلاّ لقلة من العلماء، فإن دّل ذلك على شيء فإنّما يدل على علو مقامه ورفعة شأنه، حيث لا يمكننا حصر مكانته في حيز مكاني ولا زماني، وذلك لعظم هذه المنزلة التي تبوأها في حياته وبعد وفاته، وكفاه فخراً ما أبداه علماء عصره من تنويه بهذه المنزلة التي حظي بها، وما شهد به له المؤرخون والمترجمون الذين أرّخو له، فمن دون شك أنّه اكتسب ثقة معاصريه لـــما عرف عنه من خصال وفضائل، منها ما يتصل بشخصيته العلمية مثل الجدّية والحفظ والحرص على المزيد من الإطلاع، بالإضافة إلى الاجتهاد الفقهي في نطاق أصول المذهب المالكي.

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نورد بعض أراء العلماء فيه خاصة في الجانب العلمي، فهذا **"أبو عبد الله بن مرزوق الجد"** قال عنه: « **كان صاحباً الـــمقّري معلوم القدر، مشهور الذكر، مـــمن وصل إلى درجة الاجتهاد المذهبي، ودرجة التخير والتزييف بين الأقوال، وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى النفع به يوم اللقاء**»[1].

ووصفه **"عبد الرحمن ابن خلدون"** بأنّه: «**كبير العلماء بالمغرب**»[2]، وقال عنه أيضا: «**استجر في العلوم وتفنن** »[3] .

ويورد تلميذه **"ابن الخطيب"** شهادة لتبحره في العلم فيقول:«**هذا الرجل مشارا إليه بالعدوة المغربية اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية وإطلاعا، ونقلا ونزاهة**»[4] ويقول أيضا: «**يقوم أتـــم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويـــحفظ الحديث ويتهجر بـــحفظ**

---

[1]- ابن مريـــم، المصدر السابق، ص155؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص279.

[2]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص247.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص60 .

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 194-195؛ السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت 2004، ص24.

الأخبار والتاريخ والآداب ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل و المنطق ويكتب ويشعر مصيبا في ذلك غرض الإجادة »[1].

ويشير أندلسي آخر بالجانب العلمي لدى "**الـــمقّري**" وهو "**أبو الحسن النباهي الـــمالقي**" فيقول: « **كان هذا الفقيه–رحمه الله– في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم، عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبر، قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال، ويرجح ويعلل ويستدرك ويكمل**»[2]، و يعتـــبره "**الونشريسي**" : « **أعلم أهل الـــمغرب في زمانه**»[3].

ما يـــمكن ملاحظته من خلال إطناب العلماء في الثناء على "**أبو عبد الله الـــمقّري**"، أنّه كان غزير العلم في مختلف الفنون، لذلك اقترن اســـمه في كثير من الأحيان بألقاب مختلفة منها العلامة[4]، الإمام[5] ،الفقيه[6]، المفتي، فقد حلاه تلميذه "**أبو إسحاق الشاطبي**" تارة:بـــ:" **الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير** "[7] وتارة أخرى بـــــ"**الفقيه القاضي المتفنن** "[8]، أما "**أبو الوليد بن الأحمر**" فحلاه بـــ:" **الفقيه الإمام المفتي ،المدرس ،قاضي الجماعة بفاس**" وقال عنه "**أحمد بابا** " : " **الإمام، العلامة، النظار، المحقق، القدوة، الحجة، الجليل...**"[9].

---

[1]– ابن الخطيب، الإحاطة، ج5، ص195.

[2]– النباهي، ،المصدر السابق، ص169.

[3]– الونشريسي ،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب** ،إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص202.

[4]– يطلق على الشخص الواقف على العلوم، محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية، ص37، محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص72.

[5]– لغة مأخوذة من أم القوم وأم أي تقدمهم واصطلاحا هو القدوة، وفي الحياة العلمية تطلق على كل عالم برز في علم أو أكثر وكان قدوة في العلم، محمد عادل عبد العزيز، المرجع نفسه، ص37؛ محمد الشريف سيدي موسى، المرجع نفسه، ص72.

[6]– هو العالم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية، ويطلق لقب الفقيه من الناحية العلمية على فئتين من الفقهاء، الفئة الأولى هم المجتهدين المحققين الذين يقيمون الفروع على الأصول وينظرون إلى قوة الأدلة دون أن يقصروا أنفسهم على مذهب واحد، أما الفئة الثانية فهم اقل درجة ويطلق على من يروى الحديث بإسناده، سواء كان عنده علم له أو ليس له إلا مجرد رواية، محمد عادل عبد العزيز،نفسه،ص 37؛ محمد الشريف سيدي موسى، نفسه، ص72 .

[7]– الشاطبي، الإفادات والانشادات، الإفادة، رقم01، ص81 .

[8]– الشاطبي، المصدر نفسه، الإفادة رقم 82، ص158.

[9]– أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420.

وما ينبغي التنويه أنّ "**لـــلـــمقّري**" مكانته في التصوف الذي ميّز عصره كما سبق الذكر، حيث أشار "**ابن الخطيب**" إلى ذلك بقوله: « **يتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب الـــمقال ويعتني بالتدوين فيها**»[1] ، فـــ"**أبو عبد الله الـــمقّري**" في هذا الاتـــجاه كان ينطق بالحكمة ويوجه إلى طريق الخير والرشد ملتزما في ذلك بطريق الشرع، متفقها في أحكامه، ومرد ذلك تأثره بكثيرة من شيوخه، لاسيما شيخه "**ابن شاطر**"، الذي لـــم يـــخرجه تصوفه عن طريق الدّين، حيث نعت في ذلك بكونه: "**غير مـــخل بشيء من الحقوق الشرعية**"[2]، فقد أسهم "**الـــمقّري**" في هذا الـــمجال بكتاباته، كما كوّن تلاميذ في هذا المسلك الصوفي[3]، الصوفي[3]، أبرزهم "**محمد بن عباد الرندي**"، الذي قال عنه "**أبو العباس الـــمقّري**": « **الشيخ الولي الشهير الكبير العارف بالله ... انّه مـــّمن يفتخر مولاي الجد– رحمه الله– بكون مثله تلميذا له**»[4] كما أخذ عنه الإمام" **الشاطبي**" بعض التقاليد الصوفية، هذا الإمام الذي كان يـــميل إلى الزهد و الورع، إذ يتضح ذلك من خلال ثورته العنيفة على المنحرفين والمبدعين الضالين[5].

اجتمعت عدة صفات لدى "**الـــمقّري**"، منها الورع والتقوى والخلق الكريـــم والتواضع والشجاعة في الإعلان عما يراه صواباً، ويتجلى ذلك من خلال ما رواه "**أبو يحي المطغري**" بقوله: « **أمر أبو عنان الفقيه الـــمقّري بإقراء التفسير بحضرة العلماء، فأبـــى وقال:" أبو عبد الله الشريف أحق به مني" فقال السلطان:" أنت تعلم علوم التفسير"، فقال الـــمقّري :"الشريف أعلم بها مني، فلا يسعني الإقراء بحضرته" فعجبوا من إنصافه، ففسر الشريف بحضرة كافة العلماء، ونزل السلطان عن دست الملك، وجلس معهم على الحصر**»[6].

---

[1]– ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص195؛ ابن مريـــم، المصدر السابق، ص155؛ السيوطي ، بغية الوعاة، مج2، ص24.

[2]– أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص272؛ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص131.

[3]– محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص197.

[4]– أحمد المقّري، المصدر نفسه،ج5، ص341.

[5]– الشاطبي، **الفتاوى**، تحقيق أبو الأجفان، تونس، 1981، ص ص189–193؛ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص132.

[6]– محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص146 .

إضافة إلى ذلك فإنّ "**أبو عبد الله الـــمقّري**" كان يعطف على الفقراء ويساعدهم، حيث ذكر "**أبو العباس أحمد ابن قنفذ**" أنّه رأى بفاس، امرأة صالحة متصوفة شهيرة باسم "**الـــمؤمنة التلمسانية**"، هذه الأخيرة كان "**الـــمقّري**" -رحمة الله- يزورها ويسعى في قضاء حوائجها[1].

فمما لاشك فيه أن هذه الصفات الحميدة والخصال العلمية التي تـــميّز بها، بوّأت له مكانة ارتقاء عدة وظائف سامية، سواء بتلمسان أو فاس وحتى غرناطة، كما أنّه استحق منـــزلة من التقدير عند علماء فاس، لدرجة أن صنّف أحدهم مؤلفا في ترجمة "**الـــمقّري**" أســـماه" **الزهر الباسم**" جاء في صدره أبيات في مدح "**الـــمقّري**" منها:

إذا ذُكرتْ مَفَاخِرُ أهلِ فَاس ذَكرْنَا مَن أَتـــَي مِن تِلمسانَ

وقُلنَا هَلْ رَأيتُم فِـــي قُـــضاةٍ شَـــبيهًا للفَقِيهِ العَدلِ ثَانـــِي

ونَفسُ العِلمِ إنْ شَانَتْ لِشخصٍ فَمَا لِلمَقّري فِي العِلمِ شَانِـــي[2]

[1]- ابن قنفذ، أنس الفقير وعن الحقير، ص81.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج5، ص340؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5،ص340.

الفصل الثاني

أولا: رحلته العلمية إلـــى حواضر الـــمغرب الأدنـــى:

تمهيـــد:

يعدّ عصر **"أبو عبد الله الـــمقّري"** من العصور الذّهبية بالنسبة للرحلات العلمية، وقد تقدّم الحديث عن الرحلة العلمية في ذلك العصر[1]، فليس غريبا أن يتأثّر **"الـــمقّري"** بعلماء عصره وتطمح نفسه إلى تـــحقيق المكاسب العلمية، فيحذو حذوّهم في القيام برحلة علمية إلى مـــختلف حواضر العلم بالعالـــم الإسلامي.

1. أسباب الـــرحلة:

كانت الرحلة من أهم ما يـــحرص عليه طلبة العلم والعلماء وذلك لـــما توّفره من فوائد جـــمّة، أهـــمها لقاء المشايخ والاحتكاك بـــهم وأخذ العلم عنهم مباشرة عن طريق الرواية على اختلاف طرقهم ومناهجهم التعليمية، بدلا من أخذ العلم عن طريق الكتب والمصنفات والمختصرات فقط[2].

فالتلقين المباشر يعدّ أشد استحكاما للمعلومات وأقوى رسوخا، كما أنّ الإكثار من الشيوخ يعد أفضل للطالب، إذ يفيد ذلك في تـــمييز اصطلاحات العلوم وتصحيـــح المعـــارف، زيادة على أخذ العلم من منابعه وهذا ما أكد عليه **"ابن خلدون"** في تبيين فضل الرحلة من أجل طلب العلم بقوله: «**والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليمًا وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة. إلاّ أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا. فعلى**

---

[1] – المقصود به القرن الثامن الهجري.

[2] – ابن مريـــم، المصدر السابق، ص 217.

قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها »[1]، فكان الاهتمام بالرحلة في طلب العلم ضربا من ضروب التحقيق العلمي، فلم يظهر كتاب لإمام في فنه إلاّ وسارع إليه طلاب العلم ليقرأه عليه بغية الانتماء وتحقيق إسناده إليه ونسبته له، وليتمكن طالب العلم أيضا من الاستفادة بتمييز الاصطلاحات بعد لقاء العديد من شيوخ العلم لما يراه من اختلاف طرقهم في البلاد المختلفة التي يرحل إليها[2] .

وعلى هذا الأساس أدرك " **أبو عبد الله المقّري**" أهمية الرحلة، فكان يقدّر قيمتها ويراها أهم من التآليف التي أخذت تنتشر في عصره وتصرف الناس عن الرحلة التي تستدعى تحمل مشّقة السّفر لبعد المسافة في غالب الأحيان، غير أنّها أنفع لصاحبها وهو في ذلك يتبع رأي شيخه "**الآبلي**" الذي أشاد بفضل الرّحلة واعتبرها أصل العلم[3].

ففي سبيل طلب العلم والتّعمق في البحث- وبعدما أستوعب "**المقّري**" ما عند شيوخ تلمسان من العلوم والمعارف[4]- شدّ الرّحال إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية، تدفعه الرّغبة في الاستزادة من العلم على كبار مشايخ وعلماء هذه الحواضر قصد إتمام معارفه كما يقول في ذلك تلميذه "**ابن خلدون**": « **فالرّحلة لا بدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال** »[5].

وما ينبغي التنويه إليه أنّ "**أبو عبد الله المقّري**" كان ممّن دوّن رحلته في مؤلف أسماه "**نظم الآلي في سلوك الأمالي**"[6]، فتحدث فيه عن رحلته في طلب العلم وشيوخه في مختلف المراكز العلمية التي زارها بالعالم الإسلامي.[7]

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص 478.

[2]- محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية، ص 30.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 216- 217؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج6، ص226.

[4]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص 160.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ص479.

[6]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص12؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص682.

[7]- لخص هذا الكتاب حفيده أحمد المقّري في كتابه أزهار الرياض، ج5، ص- ص 12 -75.

فما هي وجهة "**المقّري**" الأولى في رحلته العلمية؟

2. رحلة المقّري إلى بجاية:

كانت بجاية في عهد "**أبو عبد الله المقّري**" إحدى ولايات الدولة الحفصية التي استقلت عن الدولة الموحدية [1]، إلاّ أنّها تميزت بشبه استقلال عنها.[2]

وقد بلغت الحركة العلمية بها خلال القرنين السابع والثامن الهجريين أوجّ العظمّة والازدهار[3]، حيث وصف "**الشّريف التلمساني**" بجاية في ذلك بقوله: «**دخلت بجاية في في القرن الثامن، فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها وصرت أكتب في كل مسجد سؤالا حتى وصل أمره إلى السلطان...** »[4].

كما سجّل "**العبدري**" في رحلته لها بعض ملامح الحركة العلمية بها فقال: « **إنّ مدينة بجاية مبدأ الإتقان والنهاية وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة، وهذا البلد بقية قواعد الإسلام ومحل جلّة العلماء الأعلام .....ولأهله حسن الخلق والأخلاق**»[5].

فقد شكّلت نتيجة هذا الازدهار أهم المراكز الثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، التي نبغ فيها أعلام كثيرون وقصدها العلماء والدارسون من كل أصقاع العالم، وخير شاهد على ذلك كتاب" **عنوان الدراية في ذكر من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** " الذي ترجّم فيه مؤلفه "**الغبرينى**" لخمسين ومائة عالم[6].

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص363؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 49؛ مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص ص199.

[2]- مختار حساني، المرجع نفسه، ص203.

[3]- مختار حساني، نفسه، ص215؛ حفيظة بلميهوب، الفقه المالكى في مدرسة بجاية، ص100.

[4]- حفيظة بلميهوب، نفسه، ص 146.

[5]- العبدري، المصدر السابق، ص

[6]- الغبريني ، المصدر السابق.

وبناء على هذا الازدهار والشهرة التي بلغتها بـــجاية، كانت وجهة **"الـــمقّري"** الأولى نـــحوها من أجل استكمال علومه ومعارفه[1]، فحرصّ على مـــجالسة أعلامها التي كانت تزخر وتفتخر بـــهم، إذ ذكر في كتاب رحلته السابق مـــمّن لقى بـــها وتتلمذ عليهم ستّة أعلام منهم:

- **أبو عبد الله محمد بن يـــحي الباهلي الـــمسفّر:** هو من العلماء المحققين، قاضى الجماعة ببجاية،كان يستعمل في السّفارة، فدخل فاس سفيرا، لقي **"أبا الـــحسن الصغير المغربي"** الذي ينسب له شرح "الـــمدونة" وتـــحدّث معه في الفقه وأخذ **"عن الناصر المشذالى"**، قام بالتدريس فأخذ عنه **"أبو عبد الله الزواوي"** و**"ابن مرزوق الخطيب"** و"**الـــمقّري**" الذي ذكر أنه باحثه واستفاد منه[2].

له إملاء عجيب على مـــختصر "ابن الحاجب الفرعي" وقصيدة ســـماها**"نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر"** وله شرح على أســـماء الله الحسنى، وكلام عجيب في التصوف وتقاييد في أنواع فنون العلم، توفي سنة(743هـــ/1342م) أو سنة 744هـــ/1343م)[3].

- **أبو عبد الله محمد ابن أبـــي يعقوب الزواوي:** هو بن أبي يوسف يعقوب أبو عبد الله الزواوي، نسبة لقبيلة زواوة وهي قبيلة كبيرة من البربر، كان فقيها معظما خيّرا فاضلا، قاضي بجاية وفقيهها، كان يقرئ المدونة مستعينا بـــمختصر ابن الحاجب[4].

---

[1]- أحمد الـــمقّري، أزهار الرياض، ج5، ص69.

[2]- أحمد الـــقري، المصدر نفسه، ج5، ص96.

[3]- ابن قنفذ، الوفيات، ص394؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص202؛ ابن مريـــم، المصدر السابق، ص227؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص ص187 – 188؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 401؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص119؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 426؛ محمد حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 639.

[4]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص 389.

- **أبو علي حسين بن حسين:** إمام المعقول ببجاية بعد **ناصر الدين الـــمشذالي**، نعتـــه "**ابن قنفذ** ":" **بالفقيه العالـــم الـــمحصل شارح الـــمعالـــم الدينية**"[1]، أخذ عن الإمام "**ناصر الدين المشذالي** "، و لـــما وردت فتوى الإمام "**ابن عبد الرفيع** " في مسألة ثبوت الشرف من جهة الأم أمره الإمام "**ناصر الدين الـــمشذالي**" بالـــجواب عنه فألّف رسالة ردّ فيها على "**ابن عبد الرفيع**"، أخذ عنه "**الـــمقّري**" فدعاه على أن يرحل إلى بلاد الـــمشرق ويأخذ عن أعلامها خاصة "**علاء الدين القونوي**"[2]، حيث قال له : « **إن قدرت أن ليفوتك شيء من كلام القونوي حتى تكتب فافعل، فإنه لا نظير له** »[3]، توفي سنة (754هـــ/1353م)[4].

- **أبو العباس أحمد بن عمران:** هو أحمد بن عمران البجائي اليانوي، الإمام العلامة المـــحقق، خطيب بـــجاية وفقيهها، أخذ عن "**ناصر الدين المشذالي**"، له شرح على ابن الحاجب في ثلاثة أسفار، وقد ذكر الإمام "**الشاطبي**" عن شيخه "**منصور الزواوي**" أنّه دخل تلمسان تاجرا وأتى مـــجلس أبـــي "**زيد ابن الإمام**" في زي التاجر[5].

---

[1]- ابن قنفذ، الوفيات، ص357؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص158؛ أحمد الـــمقّري، نفح الطيب، ج5، ص250؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص127 ؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص 214.

[2]- أبو الحسن على بن إسماعيل القونوي علاء الدين، فقيه شافعي(تـــ729هـــ)،.

[3]- أحمد الـــمقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 16.

[4] - ابن قنفذ، المصدر نفسه، ص 357.

[5]- التنبكتي، المصدر نفسه ، ص 94؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 33.

3. رحـــلتـــه إلـــى تـــونـــس:

شهدت تونس في ظل حكم الحفصيين حركة علمية نشيطة، فقد كان جامع الزيتونة بها منارة علم وإشعاع فكري وحضاري ينافس نظيره القرويين بفاس والأزهر[1] بـــمصر، حيث كانت تعقد في رحابه وفي المساجد والمدارس التي أسسها الأمراء الحفصيون حلقات العلم من قبل علمائها الـــمشهورين بالعلم والـــمعرفة[2].

الأمر الذي جعل "**أبو عبد الله الـــمقّري**" يـــحرص على لقاء هؤلاء الشيوخ الذين ذاع صيتهم وذلك من أجل طلب العلم، حيث جلس إلى علمائها واستفاد منهم من خلال رحلته إليها، فقد خصّها برحلة خاصة غير رحلته إلى بلاد المشرق على عادة علماء المغرب، فكان مـــمّن أخذ عنهم بتونس:

- **مـــحمد بن عبد السلام الهوا ري:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهوا ري التونسي، فقيه مالكي قاضي الجماعة بتونس[3]، كان فقيها متبحرا في العلوم العقلية والنقلية مـــحققا له أهلية الترجيح بين الأقوال، أخذ جماعة من الشيوخ منهم "**ابن عبد الله بن هارون**" و"**ابن جماعة**"، تولى التدريس بالـــمدرسة الشماعية وبالـــمدرسة العنقية[4]، فأخذ عنه جملة من الأعلام منهم القاضي "**ابن حيدرة**"[5] و"**ابن عرفة**" و"**خالد البلوى**"، وأثنى عليه كثيرا ابن

---

[1]- هو أول جامع أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الصقلي لـــما اختطها وكمل منه سنة 361هـــ ، كان الجامعة الأولى في العالم الإسلامي من حيث العلوم التي كانت تدرس به والعدد الكبير من الطلبة الذين كانوا يدرسون به، حيث كان يقيم به الملازمين حوالي 750 فردا من بين عجم وأهل ريف مصر ومغاربة وكان لكل طائفة رواق يعرف باسمهم، السيوطي ،حسن المحاضرة ،ج2، ص ص 251-252؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 114.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص 71.

[3]- ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص 133.

[4]- الـــمجاري، برنامج المجاري، ص 139.

[5]- هو محمد بن حيدرة أبو عبد الله التونسي إمام الـــمعارف الـــمعترف له في البلاغة و البراعة والفصاحة بالسبق والتبريز، برع في الأدب والتصوف ونبغ في المعقول والمنقول، تزاحم عليه الخلق طلبا للعلم، مولده سنة 682هـــ، أخذ عنه الشريف التلمساني وابن عرفة والولي ابن عرفة وابن خلدون، الوزير السراج، الحلل السندسية، ج ص 621؛ التمبكتي، نيل الابتهاج ، ص 416؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 211.

خلدون في رحلته ، وأخذ عنه" **أبو عبد الله المقّري**" فقال عنه في ذلك: « **حضرت دروسه وأكثرت مباحثاته** »[1]، تولى الفتوى بتونس والقضاء فيها سنة (734هـ/1334م)، وتوفي إثر الطاعون الجارف سنة 749هـ/1348م[2].

- **محمد الأجمي** : هو أبو عبد الله محمد الأجمي التونسي، أحد علماء تونس وصلحائها حافظ فقهائها في وقته، قاضي الأنكحة بها ثم قاضي الجماعة بعد "**ابن عبد السلام**"، أخذ عن جماعة وعنه أخذ" **ابن مرزوق الجدّ**" و"**ابن عرفة**" ونقل عنه في مختصره قصة في أجرة الشهادة، و أخذ عنه "**أبو عبد الله المقّري**" الذي قال عنه: «**إنّه حافظ فقهائها في وقته** »، توفي سنة (749هـ/1348م)[3] و جاء عن "**التنبكتي**" أنّه توفي سنة (748هـ/1347م)[4].

- **محمد بن هارون** : هو أبو عبد الله محمد بن هارون الكناني، إمام عالم حافظ، يعدّ من المجتهدين في المذهب المالكي، وصفه "**ابن عرفة**" ببلوغه درجة الاجتهاد المذهبي، أخذ عن جلّة من العلماء منهم "**أبو عبد الله بن هارون الأندلسي**"، وقع بينه وبين "**ابن عبد السلام**" نزاع في مسائل، تولى التدريس بجامع الزيتونة، فأخذ عنه الكثير منهم "**ابن عرفة**" و"**ابن مرزوق الجد**" و"**أحمد بن حيدرة**" و"**خالد البلوى**"، ثم تولى القضاء والفتية بغير تونس، له تآليف مهمّة منها "مختصر ابن الحاجب الأصلي" و"مختصره الفرعي"،

[1]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 70.

[2]- النباهي، المصدر السابق، ص ص 161-163؛ابن فرحون، الديباج، ص418؛ ابن خلدون، التعريف، ص 19؛ ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص ص 107-108؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 88؛ التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص 48؛ السراج، الحلل السندسية، ج 1، ص ص 594-598؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 210.

[3]- الزركشي، المصدر نفسه،ص 88؛ السراج، المصدر نفسه، ص ص 693-695؛ ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص 210.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص405.

و"شرح المعالم الفقهية" و"شرح التهذيب" في أسفار عديدة، وشرح "الحاصل" و"مختصر المتيطية"، كان مولده سنة (680هـ/1283م)، وتوفي سنة (750هـ/1349م)[1].

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الستّار**: أحد علماء تونس الأخيار، إمام من أئمة الفروع و التفسير، زاهد في الدنيا، يدرس العلوم من التفسير والحديث والفروع والأصول، إمام وخطيب بجامع الزيتونة، عرف بالورع والدّين المتين، كان متفننا في العلوم، محدّثا متسع الرواية، أخذ عن جلّة علماء وأخذ عنه **"ابن عبد السلام"** و**"المقّري"** و**"خالد البلوى"** الذي أثنى عليه في رحلته، توفي سنة(749هـ/1348م)، وعمره ينيف عن التسعين سنة[2].

- **أبو عبد الله محمد بن يحي بن الحباب**: هو أبو عبد الله محمد بن يحي بن عمر المعافري، المعروف بابن الحباب، إمام بارع محقق متفنن أصولي، أخذ عن **"ابن زيتون"** وغيره، وقع له مع **"ابن عبد السلام"** مناظرات وعنه أخذ **"ابن عرفة"** الجدل والمنطق والنحو ونقل عنه في مختصره فكان يثني عليه بالعلم وتحقيقه، و أخذ عنه أيضا **"خالد البلوي"** و**"المقّري"** الذي حلاه: **"بالعلامة الكاتب"**، له تقييد على مغرب **"ابن عصفور"** واختصار المعالم، توفي سنة (749هـ/1348م)[3].

- **أبو عبد الله محمد بن سلامة**: التونسي الأنصاري العالم الزاهد الصالح العابد، أخذ عن جماعة من العلماء، وعنه أخذ الإمام **"المقّري"** و**"ابن عرفة"**،كان خليفة في الإمامة بجامع الزيتونة، وتوفي سنة (746هـ/1346م)[4].

---

[1]- المجاري، المصدر السابق، ص 154؛ الزركشي، المصدر السابق، ص88؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص407؛ السراج، المصدر السابق، ص ص 598-600؛ ابن الشّماع، الأدلة البينية، ص 121؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 353.

[2]- الزركشي، المصدر نفسه، ص ص 67-88؛ التنبكتي، المصدر نفسه، ص 395.

[3]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 205؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص ص 115-116؛ التنبكتي، نفسه، ص399؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج12، ص 107؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص 630؛ محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسين**، ط1،ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، ص 84.

[4]- الزركشي، المصدر نفسه، ص71؛ السراج، المصدر نفسه، ج1، ص 600؛ التنبكتي، المصدر نفسه،ص 402 ؛ ابن مخلوف، المصدر نفسه،ص 209.

- **أبو الحسن علي الـــمنتصر** : الشيخ الصالـــح، كان زاهدا صوفيا مبرزا له كرامات، قال عنه "**خالد البلوى**": «**كان من الأولياء والعلماء الزهاد** »، وقال عنه" **ابن عرفة**" : «**لـــم أدرك في زماني مبرزا إلا هما، والآخر أحمد بن عاشر نفعنا الله بـــهم** » توفي ليلة الـــخميس الخامس من شهر جمادى الأولى سنة (742هـــ/1341م)[1].

- **أبـــو عبد الله مـــحمد الـــزبيـــدي**: هو محمد بن حسن بن عبد الله القرشي الزبيدي نسبة إلى قرية بساحل المهدية، الشهير بالفقيه، كان كبير تونس لعهده في العلم والفتيا وانتحال طرق الولاية التي ورثها عن أبيه "**حُسين**" وعمه "**حَسن**"، فكان عالم زاهد اشتهر بعلمه وخاصة علم الأنساب الذي أخذه عنه "**ابن مرزوق**"، وأخذ عنه "**الـــمقّري**" الذي تأثر بمنهجه الصوفي، توفي سنة (740هـــ/1339م)[2] .

فعن هؤلاء الشيوخ وغيرهم مـــمّن يطول ذكرهم على حد تعبير "**الـــمقّري**"، أخذ علوما كثيرة وروي وتفقّه وتأدّب واكتسب معارف جديدة[3]، غير أنّه لـــم يذكر كم استغرقت رحلته إلى بـــجاية وتونس ولا متى بدأت أو انتهت.

ومن تونس قفل راجعا إلى تلمسان، وفي طريق عودته رافقه رجل من أهل قسنطينة يدعى " **منصور الحلبي** " كان ظريفا واسع الـــحفظ للأخبار كما وصفه "**الـــمقّري**" بقوله: «**قفلت إلى الـــمغرب يسايرني رجل من أهل قسنطينة يعرف بالمنصور الحلبي، فما لقيت رجلا أكثر أخبارا و لا أظرف نوادر منه** » [4].

فما هي وجهة " **أبو عبد الله المـــقّري** " بعد رحلته إلى حواضر الـــمغرب الأدنـــى؟.

---

[1]- الزركشي، المصدر السابق، ص 76؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص 327؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص209.

[2]- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص16؛ابن خلدون، التعريف، ص ص 14-15؛الزركشي، المصدر نفسه، ص76؛ التنبكتي، المصدر نفسه،ص396.

[3]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص 161.

[4]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 72.

ثانياً: رحلته إلى الـــمغرب الأقـــصى والأنـــدلـــس:

حظـــي الـــمغرب الأقـــصى في العهد المريني بنشاط ثقافي كبير، حيث يعد هذا العهد عصرا ذهبيا لتطور كافة العلوم، ولا يـــمكن الحديث عن النشاط الثقافي بالمغرب الأقصى دون الإشارة إلى جامع القرويين كمركز ثقافي عريق بالمغرب الإسلامي الذي نشطت فيه حركة التعليم واحتضن الكثير من العلماء المشهورين، فأصبح طلبة العلم يتوافدون عليه من المشرق والمغرب والأندلس[1].

فكانت نتيجة لتطور الحركة العلمية بالمغرب الأقصى رحلة "**الـــمقّري**" بعد تونس وبـــجاية نـــحو فاس العاصمة، إذ دفعه طموحه العلمي إلى لقاء أعلام المنطقة وشيوخ الحضرة الفاسية قصد الاستفادة من علومهم ومعارفهم وربط الصلة معهم[2]، فمر في طريقه إلى فاس بـــمدينة تازة[3] واجتمع بعلمائها، ومنها اتـــجه إلى فاس ومتّن صلاته بشيوخها وعلمائها وأخذ عنهم ما كان يصبو إليه[4]، فكان مـــمّن تتلمذ عليهم" **أبو عبد الله الـــمقّري**" بفاس وذكرهم في رحلته:

- **الفقيه أبو إسحاق بن عبد الله اليزناسي:** هو إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو إسحاق اليزناسي، فقيه عالـــم صالـــح، له سبق كبير في شتّـــى العلوم الدينية رحل إلى المشرق ونال علما كبيرا، عاد إلى بـــجاية وعكف على التدريس في الفقه والأصول حتى بلغ درجة الاجتهاد، ومن بـــجاية اتـــجه نـــحو الـــمغرب واستوطن بـــمدينة فاس وهناك أخذ عنه الإمام" **أبو عبد الله الـــمقّري**"، كما أخذ عنه الإمام" **الرعيني**" فقال عنه في برنامـــجه:

---

[1]- علي الجز نائي، جنى زهرة الآس، ص ص 63-65؛ محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 51.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص 161.

[3]- مدينة في المغرب الأقصى، تبعد عن فاس بنحو بنحو 80ميلا، وعن البحر المحيط بـــ250ميلا و عن البحر المتوسط بـــ75ميلا، وهي إحدى المدن الحربية القديمة بالمغرب، أسست قبل الفتح الإسلامي بكثير ولمكانتها الحربية اتخذها "الحسن بن إدريس الثاني" مقرا حربيا، وعني بها "عبد المؤمن الموحدي" فجعلها حصنا مانعا، وفي أيام المرينين اتخذها "أبو يعقوب المريني" عاصمته وقاعدة لغزو تلمسان، ابن خلدون، التعريف، ص 134؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص 354-355.

[4]- أحمد الـــمقّري، أزهار الرياض، ج5،ص ص 73-74.

«**كان رجلا فاضلا متناصفا حافظا مفتيا قاضيا لحوائج المسلمين ساعيا في مصالحهم** »، له فتاوي في الـــمعيار للونشريسي، كان حيا سنة(740هـــ/1339م)[1].

- **الـــفقيه أبو مـــحمد عبد المؤمن الـــجاناتي** : كان أعلم الناس بالـــمدونة وأعرفهم بالتهذيب، حسن الإلقاء للمسائل، أخذ عن" **أبـــي الـــحسن الصغير**" وجلس مـــجلسه، كان مولده سنة (695هـــ/1296م) وتوفي سنة (746هـــ/1346م)[2].

- **الفقيه عبد العزيز بن مـــحمد القيرواني** : جاء عن "**التنبكتي** " أنّه عبد العزيز بن محمد القروي، وصفه ابن مخلوف بالعلامة الصالـــح الفاضل الفهامة، أخذ عن" **أبي الحسن الصغير**" وهو أكبر تلامذته علما ودينا، وعنه أخذ" **أبو عمران العبدوسي**"، له تقييد على الـــمدونة قال عنها" **ابن مرزوق الحفيد**": «**أحسن تقاييده**»، وقال عنه "**ابن الخطيب**" في رحلته : «**عبد العزيز هذا هو الذي قال له السلطان أبو الحسن المريني: «تخرج مع عامل الزكاة » فقال: «أما تستحي تأخذ لقبا من ألقاب الشريعة وتضع على مغرم من المغارم** »، توفي سنة(750هـــ/1349)[3].

- **الفقيه أبو ضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي**: هو أبو ضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي الفقيه المالكي، من أكابر أصحاب" **أبي الحسن الصغير**"، كان فقيها صالحا حافظا نوازليا، وهو أول من درّس بـــمدرسة أبي الحسن المريـــني فنسبت له "**الـــمدرسة الـــمصباحية**" بفاس، له فتاوي نقل بعضها في المعيار، توفي بها سنة (750هـــ/1351م)[4].

---

[1]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 252؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 40؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 218.

[2]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص 269، ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص 220.

[3]- التنبكتي، نفسه،ص269 ؛ ابن مخلوف، نفسه، ص 221.

[4]- ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص17؛ التنبكتي، نفسه، ص ص 608-609؛ محمد حجي، المرجع السابق، ص 654.

- **الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الـــجزولي:** شيخ المدونة وأعلم الناس بـــمذهب مالك، أخذ عن "**أبي الفضل راشد**" و"**أبي زيد الرجراجي**"، نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها ثـــم رحل إلى تونس فأخذ عن القاضي "**ابن عبد الرفيع** "و "**أبا عبد الله النفزاوي**"، ثـــم رجع إلى المغرب ولازم الأكابر والمشايخ إلى أن ولاه السلطان "**أبو الحسن**" قضاء فاس فبقي عليه إلى أن عزل بالفقيه "**الـــمقّري**"، ولـــم ينقطع عن التدريس حيث كان يـــحضر مـــجلسه أكثر من ألف فقيه مالكي معظمهم يستظهر الـــمدونة[1]، فأخذ عنه جماعة منهم"**أبو الحجاج**" و"**يوسف بن عمر**"، توفي سنة 741هـــ/1340م[2].
- **أبو العباس الـــمكناسي:** إمام فقيه وعالـــم فاضل ثقة، أخذ عن أخيه وعن" **ابن الزبير**" و"**ابن رشيد**"، توفي سنة 752هـــ/1351م[3].

كما لقي " **أبو عبد الله الـــمقّري**" بتازا الفقيه" **أبا عبد الله بن عطية**" و الأستاذ" **أبا عبد الله المجاصي**" والأستاذ " **أبا الحسن الجبار**" وغيرهم [4].

ثـــم توجّه من فاس إلى أغمات[5]، ثـــم وصل إلى سبتة[6]، حيث اتصل وتعرّف هناك بالعلماء المشهورين فاستفاد منهم وهو ما عناه بقوله : « **فاستوعبت بلاد الـــمغرب ولقيت بكل بلد من لابد من لقائه من علمائه وصلحائه** »[7].

---

[1]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 94؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص 323.

[2]- النباهي، المصدر السابق، ص 135؛ ابن قنفد، الوفيات، ص 351؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص79؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 419؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص ص218-219.

[3]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 252؛ ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص 218.

[4]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 253.

[5]- مدينة متحضرة تقع جنوب مراكش بنحو 24 ميلا، مبنية على منحدر من جبل الأطلس، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 135.

[6]- مدينة عظيمة، يعود تأسيسها إلى عهد الرومان، تقع أقصى شمال المغرب الأقصى على ضفة البحر المتوسط مقابل الأندلس، البكري، المصدر السابق، ص 103.

[7]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74.

وبعد هذه الـــجولة العلمية في مدن المغرب الأقصى، عاد مرة أخرى إلى تلمسان ومنها شدّ الرحلة نـــحو بلاد المشرق.

ثالثًا: رحـــلـــة أبـــو عبد الله الـــمقّـــري الـــمشرقيـــة:

1. رحلتـــه إلـــى الحـــج:

أجـــمع جلّ الباحثين على أنّ رحلة العلماء وطلاب العلم الـــمغاربة رحلتان، إحداهـــما مغربية وأخرى مشرقية[1]، فالـــحديث عن هذه الأخيرة يفرض على الباحث تحديد الغرض الأساسي منها، والذي يتمثل تحديدا في البحث عن التحصيل والتّفقه في الدّين من جهة، حيث كان المشرق بالنسبة للمغاربة في هذه الفترة[2] يـــمثل مـــحطات علم وتثقيف يتّجهون إليها مثل الإسكندرية[3] والقاهرة والقدس ومكة والمدينة وبغداد وبلاد الشام، ومن جهة أخرى تـــمثل الغرض من الرحلة في أداء فريضة الحـــج[4]، فلمّا كان هذا الأخير أحد أركان الإسلام حرص المغاربة كلّ الحرص على أداء مناسكه رغم مشاقته ومصاعبه، نظرا لبعد الـــمسافة بين المغرب والمشرق أين توجد البقاع المقدّسة بالحجاز مقصد المسلمين في العالـــم.

ذلك ما أكدّ عليه **"ابن عباد الرندي"** في إحدى رسائله حيث يقول : « **الـــمشي إلى الحج في هذه الأزمنة مـــما يعظم حرص الناس عليه وتـــميل نفوسهم إليه، ويؤثرون الـــمشقة والقلة والغربة اللازمة له على الراحة والـــجدة والإقامة** »[5].

---

[1]- عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(14/3هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 60.

[2]- عصر الـــمقّري وحتى العصور التي سبقته.

[3]- أسسها لاسكندر ذو القرنيين في موقع جميل على رأس داخل في البحر المتوسط، يبعد بأربعين ميلا عن النيل إلى جهة الغرب، وهي إحدى أهم الـــمراكز الثقافية بمصر، ضمت الكثير من المؤسسات الثقافية والتعليمية، حسن الوزان، ج2، ص 193.

[4]- عمار هلال، المرجع نفسه، ص 61.

[5]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 110.

والجدير بالإشارة أنّ ركب الحجيج إلى البقاع المقدسة كان يتكون من عدة فئات من المجتمع ممّن لهم القدرة على إقامة ركن الحج وخاصة من الطلبة والعلماء، الذي كان هدفهم من رحلة الحج أبعد من الحج نفسه، إذ أمكنهم بعد الفراغ من أداء مناسك الحج التجوال في بلاد الحجاز قصد لقاء العلماء والاختلاط بهم وتبادل المعارف معهم والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم في إطار تبادل ثقافي ميّزه وجود عدّة علماء وطلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد، الأمر الذي سهّل عملية الاتصال والأخذ والعطاء العلمي والثقافي، وإطلاع كل شخص على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الإسلامي[1].

وبذلك يمكن القول أنّ الرحلة إلى البقاع المقدسة كانت توفر فرصة ثمينة تمتزج فيها أفكار علماء المغرب والمشرق، فيتم من خلالها تعرف العلماء على بعضهم البعض شخصيا بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات والمصنّفات، فيعرف كل عالم قدره ومكانته عند الآخرين ومدى توافق أفكاره وأرائه مع أفكار وأراء أقرانه من علماء مكة والمدينة المنورة[2]، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال كتب التراجم لأعلام المغرب الإسلامي، إذ تكاد لا تخلو ترجمة لأحدهم من وجود شيوخ له أخذ عنهم بمكة والمدينة المنورة، مثلما هو الأمر بالنسبة للإمام "**عبد الله المقّري**" الذي لم تختلف دوافعه عن غيره من علماء المغرب في القيام برحلة نحو بلاد المشرق قصد البحث والتحصيل العلمي والحصول على الإجازة العلمية عن علماء المشرق عموما وزيارة البقاع المقدسة قصد أداء فريضة الحج بصفة خاصة.

فكانت رحلة "**المقّري**" الثالثة بعد رحلته إلى تونس وبجاية وفاس نحو بلاد المشرق، إلاّ أنّنا لا نعرف تاريخ رحلته ولا الطريق الذي سلكه و لا الوسيلة التي استعملها في سفره، فقد يكون أخذ الباخرة بحرا وقد يكون سافر مع بعض القوافل البرية، علما أنّ بعض المرتحلين من المغرب إلى المشرق سواء أكانوا حجاجا أو طلاب علم أو تجارا قد اتبعوا دروبا ومسالك بريّة كانت توصلهم إلى مصر ومدنها ومنها إلى الحجاز وبلاد الشام، إذ

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 111.

[2]- عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يمكن من خلال كتب الجغرافيين والرحلات تحديد أهم طريق برّي كان يربط المغرب الأوسط ببلاد المشرق .

فقد كان هذا الطريق يبدأ من تلمسان ويـــمر عبر أهم مدن المغرب الأوسط الداخلية أو الساحلية ومنها إلى بجاية وتونس ومدن المغرب الأدنى ثـــم طرابلس[1] وبرقة[2] وصولا إلى الإسكندرية، ثـــم يصل القاهرة ومنها يتجه عبر نـــهر النيل ومدن الصعيد[3] إلى ميناء عيذاب[4] الذي كان يبحر منه الحجاج إلى ميناء جدة بالحجاز.

أما الطريق البحري فكان يربط موانئ المغرب بـــمصر، وكانت السفن تصل ميناء الإسكندرية وتبحر عبر نـــهر النيل إلى القاهرة.

وإن كان "**الـــمقّري**" لا يـــخبرنا عن تاريخ رحلته إلى المشرق إلاّ أنّنا يـــمكن أن نستنتج أنّها كانت في عام 744هـــ/1343م وذلك بناءً على قول "**أبو عبد الله الـــمقّري**" نفسه الذي أخبرنا أنّه وصل إلى الحجاز وأدى مناسك الحج في هذه السنة فقال: « **شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين و سبعمائة وكانت جمعة** »[5]، ويرجح الأستاذ " أبو الأجفان" أن يكون "**الـــمقّري**" قد حج حجة سابقة لـــحجه سنة 744هـــ/1343م وذلك بناءً على قول **ابن خلدون** :« **سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس أبا عبد الله الـــمقّري، مقدمه من**

[1]- طرابلس الغرب مدينة على شاطئ البحر، قديمة البناء، كان بها مسجدا وأسواق ورباطات، البكري، المصدر السابق، ص ص 6-17؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 99.

[2]- برقة اسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس أي خمس مدن، وهي أول ما يتزل المسافر بها قادما من مصر إلى بلاد المغرب، البكري، نفسه، ص 3، الإدريسي، المصدر السابق، ص 211؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 182.

[3]- الصعيد هو ظاهر مصر وكانت به عدة مدن كقوص ومنفلوط وأسيوط واخميم، وكانت أرضا فلاحيه بها مساجد وكنائس وصناعات، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 70-75.

[4]- عيذاب مدينة على الساحل الغربي لبحر القلزم (الأحمر)،كانت مزدهرة بسبب كثرة من يقصدها من الحجيج كل عام وكان بها قوم يسمون البحاة من الزنوج، ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص 202-203.

[5]- ابن خلدون، التعريف، ص 247.

الـــحج سنة أربعين »[1]، كما يقدر الباحث "عبد القادر زمامة" أنّ رحلته هذه استغرقت ما يقرب ثلاث سنوات[2].

وقد وفّرت هذه الرحلة "**للمقّري**" لقاء كبار علماء مكة والمدينة المنورة، فكان مـــمّن لقي بـــمكة من العلماء وأخذ عنهم كثيرين، غير أنّه ذكر في رحلته اثنين فقط، سمي أحدهما مالكيا وهو الفقيه "**أبو عبد الله محمد المنوفي التو زري**" المعروف بخليل، مفتي مكة وعالمها وخطيبها بالحرم الشريف، كان من أئمة الدّين المعروفين بالزهد والورع والصلاح مع الدّين المتين، أخذ عن جماعة منهم: "**أبو الحسن بن فرحون**"، كما أخذ عنه جماعة منهم: "**خالد البلوى**" و"**أبو محمد عبد الله بن فرحون**" و "**الإمام أبو عبد الله الـــمقّري**" حيث أعجب بسعة إطلاعه على أحكام مناسك الحج فقال: « **ما رأيت أعلم بالمناسك منه** »[3]، توفي سنة 760هـــ/1360م[4].

أما العالـــم الثانـــي الذي أخذ عنه "**الـــمقّري**" وذكره في رحلته "**الإمام أبو العباس بن رضي الدين**"، وقد ســـماه بالشافعي، ومـــمّن لقـــي بالمدينة "**أبو محمد عبد الوهاب الـــجبرتي**" الذي وصفه في رحلته بـــ: « **أعجوبة الدنيا** »[5].

---

[1]- ابن خلدون، التعريف، ص 247؛ أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص 280.

[2]- عبد القادر زمامة، المقّري الجد، ص 99.

[3]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 75.

[4]- ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص 333؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص 358؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 222.

[5]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 75.

2. تنــقلاته بيــن أقــطار الــمشرق:

2. 1. رحلته إلى مصر:

كانت مصر الوجهة الأولى التي زارها الإمام **"أبو عبد الله الــمقّري"** من بلاد المشرق، أي قبل وصوله إلى البقاع الــمقدسة بالحجاز، وذلك أنّ طريق الرحلة إلى هذه الأخيرة عادة ما يأخذ مــحطة مصر -كما سبق الإشارة إلى ذلك – فقد كان توجه الــمغاربة إليها نابعا عن الرغبة في طلب العلم و الــمزيد من الاستفادة والــمناظرة أو التدريس بــمدارسها الــمشهورة[1]ومساجدها والــخانقاوات[2] والزوايا، أو لنسخ بعض الكتب والمؤلفات ذات الصيت الذائع في العالم الإسلامي[3].

ومــمّا حفّز العلماء والطلبة على التّوجه إليها ما أشتهر به سلاطينها من عنايتهم بالعلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف، إضافة إلى اهتمامهم الخاص بالطلبة والعلماء الوافدين عليهم، إذ أحسنوا استقبالهم وإكرامهم، فابتنوا لهم المرافق للإقامة بــها منها رواق المغاربة بالجامع الأزهر الذي أتاح للطلبة القادمين من المغرب فرصة الاحتكاك بأقرانهم القادمين من باقي الدول الإسلامية باعتباره مــجاور لأروقة الطوائف الأخرى[4].

إضافة إلى ذلك دار الــمغاربة بالإسكندرية التي كانت عبارة عن جامعة إسلامية على حد تعبير أحد الكتاب، فقد كانت شاملة لجميع المذاهب السنّية وجميع فروع العلم المختلفة، وفي ذلك يقول **ابن خلدون**: « **ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر، فهي أم العالــم وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع** »[5].

---

[1]- عن المدارس بــمصر ينظر: عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص ص63-70.

[2]- الخانقاوات أو الخوانق جمع خانقاه، هي لفظ فارسي الأصل معناه بيت الصوفية، وقد أحدث في العالــم الإسلامي خلال القرن 4-5هــ/10-11م، عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع نفسه، ص 71.

[3] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 329؛ رشيد الزواوي، المرجع السابق، ص 333.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص ص 126-128.

[5]- ابن خلدون، التعريف، ص 246.

وبناءً على ذلك زار" **أبو عبد الله الـــمقّري**" مصر، وكان ذلك سنة 745هـــ/1344م، حيث جاء عنه في هذا الصدد : « **وقد تركت سنة خمس وأربعين بـــمصر رجلا يسمى عثمان معه تسعون حديثا يزعم أنّه ســـمعها من الـــمعمّر وقد أخذت عنه وكتبت منه** »[1]، والواضح أنّه أعجب بالقاهرة أشدّ إعجاب واعتز بـــمظاهر التدين فيها حيث قال عنها لـــ "**ابن خلدون**" عندما سأله عنها : «**من لـــم يرها لـــم يعرف عزّ الإسلام** »[2]، وهناك اعتكف على الدراسة واتصل بعلمائها المشهورين ومن هؤلاء الذين ذكرهم في رحلته:

- **أثيـــر الـــدّين أبـــو حيـــان الـــغرناطي**: هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي النفزي، نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر، ولد بـــمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة 654هـــ[3]، وهو من الأندلسيين المهاجرين إلى المشرق، كان عالـــم عصره في اللغة والتفسير والحديث والتراجم، واشتهر اســـمه فأخذ عنه أكابر عصره، وقد رَغَّبَ الناس إلى قراءة كتب "**ابن مالك**" وشَرَحَ لهم غامضها، فكان يقول : « **إنّ مقدمة ابن الحاجب نَحْوُ الفقهاء** »، له مجموعة من التصانيف، استفاد منه "**الـــمقّري**" حيث قال عنه: «**رويت عنه واستفدت منه**»[4]، توفي بـــمصر شهر صفر من سنة 745هـــ/1345م[5].

- **شـــمس الـــدين محمود الأصبهاني**: إمام بارع في العقليات، عارف بالأصلين، ولد سنة 694هـــ، اشتغل ببلاده ثـــم قدم القاهرة فتولـــى التدريس بـــها، صنّف تفسيرا

---

[1]- أحمد الـــمقّري ، نفح الطيب، ج5 ،ص 240.

[2]- ابن خلدون، التعريف، ص 247.

[3]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 231؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص ص 122-124؛ محمد جابر الواد أشي، **برنامج الوادي آشي**، تحقيق محمد محفوظ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 74.

[4]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74.

[5]- ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، مج 10،ص 145؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 145؛ الشوكاني، **البدر الطالع بـــمحاسن من بعد القرن السابع**، مج 3، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، (ب ت)، ص ص 288-289؛ البغدادي، هدية العارفين، ص 152؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص ص155 -156؛ الزر كلي، الأعلام، ج 8، ص 26؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص 640.

كبيرا، شرح كافية ابن الحاجب ومـــختصر أصول ابن الحاجب، أخذ عنه "**الـــمقّري**" بـــخانقاه قوصون، توفي في شهر ذي القعدة سنة 749هـــ/1348م[1].

- **شـــمس الـــدين محمد بن أحمد بن عدلان** : هو محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم الكتاني شمس الدين المصري الشافعي، المعروف بابن عدلان ولد سنة 663هـــ/1264م، كان إمام يضرب به المثل في الفقه، عارف بالنحو والقراءات، أخذ الفقه عن "**الوجيه البهنيسي**"، والأصول عن "**شـــمس الأصفهانـــي**"، وأخذ النحو عن "**البهاء بن النحاس**"، له شرح على مختصر "الـــمزنـــي"، هذا الأخير أخذه عنه "**الـــمقّري**" فقال: « **قرأ عليّ بعض شرحه لكتاب الـــمزنـــي وناولنـــي إياه** »[2]، توفي في شهر ذي القعدة سنة 749هـــ/1349م[3].

- **شـــمس الـــدين محمد بن أحمد بن اللبان** : هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن المعروف بابن اللبان، شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي الشافعي، نزيل القاهرة، ولد بدمشق سنة 685هـــ/1286م، كان عارف بالفقه والعربية وتولـــى تدريس الشافعي من أثاره مختصر الروضة وشرح ألفية ابن مالك في النحو وكتاب في علوم الحديث وإزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المشتبهات وغيرها، توفي شهر شوال سنة 749هـــ/1348م [4].

- **أبو محمد عبد الله بن سليمان الـــمنوفي:** هو أبو عبد الله بن سليمان المنوفي، الفقيه الإمام، جمع بين العلم والعمل والصلاح والدّين المتين، أحد شيوخ مصر وأفاضلها علماً وحالاً،

---

[1]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص ص 282-283؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص 165؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج 2، ص 298.

[2]- أحمد المـــقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74.

[3]- السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل، ط1، ج1، المكتبة المصرية، بيروت، 2004، ص 329؛ ابن عماد، المصدر نفسه، ج6، ص 164؛ الشوكاني، المصدر نفسه، ج3، ص 109؛ البغدادي، المصدر السابق، ص 106؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص 266.

[4]- السيوطي، نفسه ،ج1، ص 329؛ ابن عماد، المصدر نفسه ،ج 6،ص 163؛ البغدادي، المصدر نفسه، ص 108؛ رضا كحالة، المرجع نفسه، ج7، ص 276.

تفقّه على مذهب "مالك" واعتزل وانقطع بالمدرسة الصالـــحية مقتصر على خويصة نفسه لا يكاد يـــخرج إلا إلى الصلاة، وله كرامات ظاهرة، أخذ عنه جماعة منهم "**أحمد بن هلال الربيعي**"و"**خليل بن إسحاق**"و"**أبو عبد الله الـــمقّري**" الذي حلاه بـــ:"**الشيخ الصالح...فقيه المالكية**"[1]، كان مولده سنة 686هـــ وتوفي سنة 749هـــ/1348م[2].

- **تاج الدّين علـــي التبـــريزي** : هو علي بن عبد الله بن أبي الحسن الأردبيلي التبريزي الشافعي، تاج الدّين أبو الحسن، ولد في أردبيل سنة 677 هـــ وسكن تبريز ورحل إلى بغداد فمكة حاجاً ثم إلى مصر أين درّس بها وأفتى وناظر، وهو أحد الأئمة الجامعين لأنواع العلوم ،كان عالما كبيرا مشهورا في الفقه والمعقول والعربية والحساب وغير ذلك، من تصانيفه حاشية على شرح الحاوي الصغير للقز ويني في فروع الفقه الشافعي، ومختصر علوم الحديث لابن صلاح، والتذكرة في الحساب ومبسوط الأحكام في تصحيح ما يتعلق بالكلم والكلام من شرح كافية ابن الحاجب، توفي في شهر رمضان سنة 746هـــ[3].

2.2. رحلته إلى بلاد الشام :

بعد مصر قصد الإمام "**أبو عبد الله الـــمقّري**" بلاد الحجاز -وقد سبقت الإشارة إلى ذلك-، ومن هناك أخذ طريقه إلى بلاد الشام، فاجتمع ببعض علمائها منهم:

- **شـــمس الدّين بن القيم الجوزية** : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حرير الزرعي، الإمام شـــمس الدّين أبو عبد الله الدّمشقي المعروف بـــ "ابن قيم الجوزية الحنبلي" العلامة كبير الـــمجتهد المطلق المفسر النحو الأصولي ولد سنة 691 هـــ[4]، لازم الشيخ "**تقي الدّين بن تيمية**" وغلب عليه حبّه "**لابن تيمية**"، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل

---

[1]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74.

[2]- السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 405؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 205.

[3]- السيوطي، بغية الوعاة،ج 2، ص 121؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص 264؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص 134.

[4]- الشوكاني، البدر الطالع، ج3، ص 142.

ينتصر له في جميع ذلك و برع في جميع العلوم، له مجموعة من المصنّفات منها "**تهذيب سنّن أبي داود**"، و"**صغر الـــمجرتين وباب السعادتين**"، "**شرح أســـماء الكتاب العزيز**"، و"**زاد المعاد في هدي خير العباد**" و"**أعلام الموقعين عن رب العالمـــين**" و"**فضل العلم**" وغيرها، توفي في سنة 751هـــ /1350م[1]، وقد حضر الإمام "**الـــمقّري**" مجالسه العلمية واستفاد منها عدة فوائد، منها فائدة تتعلق بتأويل الحديث كحديث: "**من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار**) وأصل هذا الحديث (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ" قَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: "وَ اثْنَانِ**"[2]، فقد سئل "**ابن قيم**" : « **كيف إن أتى بعد ذلك بكبيرة؟ فقال: موت الولد حجاب، والكبيرة خرق لذلك الحجاب، وإنّما يكون الحجاب حجابا ما لـــم يـــخرق فقد زال عن أن يكون حجابا، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: (الصوم جنة ما لـــم يخرقها)** »[3]، وقال "**الـــمقّري**" عن "**ابن القيم**" :"**هذا الرجل أكبر أصحاب تقي الدين ابن تيمية**"[4].

ومـــمّن اتصل بـــهم "**أبو عبد الله الـــمقّري**" أيضا بدمشق الشيخ "**صدر الدّين الغماري الـــمالكي**" والشيخ " **أبي القاسم محمد بن السلماني الشافعي**".

ومن دمشق قصد بيت المقدس بفلسطين، زار من خلالها مزارات الأنبياء والرسل والمسجد الأقصى، فالتقى هناك بالعالم " **أبي عبد الله بن مثبت**" والقاضي "**شـــمس الدّين بن سالم** "والفقيه "**أبا عبد الله بن عثمان**"[5].

---

[1]- ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص 249؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص 128؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج3، ص ص143-144؛ البغدادي، هدية العارفين، ص 158.

[2]- أبو عبد الله محمد البخاري، **صحيح البخاري**، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم أحمد محمد شاكر، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2004، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ص 144.

[3]- البخاري، المصدر نفسه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ص 214.

[4]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص281.

[5]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74.

ويظهر أنّ "**أبو عبد الله الـــمقّري**" قد لـــقي حظوة عند القاضي "**ابن سالم**"، فقد تكلم "**الـــمقّري**" بـــحضرته في مسألة فقهية مبّينا فيها الاتجاه المالكي، فوقع من نفوس أهل البلد بسبب ذلك، وقد نصح مغربي "**أبا عبد الله الـــمقّري** " بأن يظهر انتسابه **لـــ "ابني الإمام"** لأنّهما يتمتعان بسمعة طيبة عند أهل بيت المقدس، حيث قال له : « **لا تظهر العدول عنهما إلى غيرهما فتضع من قدرك، فإنّما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما، وأنّ لا أحد فوقها وليس لـــما تبني يد الله هادم** »[1].

يستنتج من خلال هذه الرحلة التي قام بـــها "**أبو عبد الله الـــمقّري**" إلى حواضر بلاد المشرق الإسلامي، أنّه استفاد من علوم مختلفة عن أعلام مذاهب متنوعة دون الاقتصار على من يشاركونه المذهب الفقهي، كما حرص من خلال هذه الرحلة على لقاء الصالحين وذوي النزعة الصوفية واحتك بألـــمع أصحاب ابن تيمية، فكانت هذه الرحلة مصدر تكوين علمي "**للمـــقّري**" مكنّته وأهّلته لتوّلـــي عدة مناصب سامية بـــحواضر الـــمغرب الإسلامي، وكذا الـــمساهمة في نشر الحركة العلمية بالـــمنطقة.

[1]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 218.

رابعًا: رحلته الثانية إلـــى المغرب الأقصى والأندلس:

1. رحلته الثانية إلـــى فاس:

بعد الرحلة الطويلة والـــمفيدة التي قام بـــها **"أبو عبد الله الـــمقّري"** إلى عواصم المشرق الإسلامي لأداء فريضة الـــحج والاجتماع بعلماء المشرق والاستفادة من علومهم المتعددة والمتنوعة كانت عودته إلى المغرب[1]، فدخل من هذه الأخيرة سجلماسة وواد درعة[2] ومنها كانت الرحلة إلـــى العدوة الأندلسية، فزار كل من جبل طارق[3] واصطبونه[4] ومربلة[5] ومالقة[6] وبلش[7] والحامة.

وانتهت به الرّحلة إلى غرب غرناطة في أوائل جمادى الثانية من سنة 756هـــ/1355م[8]، وفي هذه الفترة كانت غرناطة تعرف مناخا ثقافيا مزدهر نسبيا، إذا تواصل فيها سنّة الاهتمام العلمي، وأقبل فيه العلماء على إثراء رصيد المعرفة بـــمؤلفاتهم وأبـــحاثهم، واستمر سند

---

[1]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 75.

[2]- درعه بفتح الدال وسكون الراء، مدينة صغيرة تقع غرب سجلمامة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص53، الإدريسي، المصدر السابق، ص129.

[3]- يسمى أيضا جبل الفتح، كان له دور عظيم في تاريخ الأندلس، عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص ص 284-290.

[4]- تعرف بالإسبانية باسم (estepana) تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط غرب مالقة، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 23.

[5]- تعرف بالإسبانية (Marbella) تقع غرب مالقة على بعد 60كلم منها وهي ناحية من أعمال قَبْرَةَ بالأندلس، ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص 99؛ عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 256.

[6]- تعرف بالإسبانية (malaca) مدينة قديمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب شرق الأندلس منها نحو غرناطة بإتجاه الشمال الشرقي 80ميلا، ياقوت الحموي، المصدر نفسه ، ج5، ص43؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ص 297؛ عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص242

[7]- بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي، رجل من أهل الصلاح والعلم، ياقوت الحموي، نفسه،ج1، ص 484.

[8]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص196.

الحديث ورواية كتب العلم وتدوين برامج الشيوخ، ومن علمائها من ضرب بسهم وافر في علوم العربية ومنهم من اتـــجه إلى الـــمجال الفقهي[1] .

غير أنّ "**أبو عبد الله الـــمقّري**"- رغم هذا الازدهار الثقافي بغرناطة - إلاّ أنّه لـــم يلقي الأضواء على رحلته إليها ولـــم يتحدث عمّن اتصل بـــهم خلالـــها من العلماء.

وبعد هذه الرحلة التي قام بها "**أبو عبد الله الـــمقّري**" إلى مـــختلف ربوع المغرب والأندلس، كانت عودته إلى مسقط رأسه تلمسان، أين انقطع لخدمة العلم وملازمة شيخه "**محمد بن إبراهيم الآبلي**"[2].

وقد كانت تلمسان في هذه الفترة تحت إمارة السلطان الـــمريني "**أبي عنان**"، هذا الأخير الذي ولـــّي عليها و على المغرب الأوسط خلفًا لوالده "**أبي الحسن المريني**" الذي عزم على احتلال افريقية بغية إحياء الإمبراطورية الموحدية وقد تحقق له ذلك سنة 748هـــ/1347م[3].

غير أن الوضع لـــم يستقر له، إذ سرعان ما انفجرت ضدّه ثورة في كل من القيروان وتلمسان سنة 749م/ 1348م ، مُنِيّ فيها أبو الحسن المريني بهزيمة نكراء، قام على إثرها ابنه "**أبو عنان**" بنقض بيعته، فخلع والده واستولى على الحكم وأعلن عن نفسه سلطانا للمغرب ودعي لنفسه في نفس السنة[4].

وحتى تهوى قلوب أهل تلمسان إليه قام السلطان" **أبي عنان الـــمريني**" بتقريب العلماء وتجميل مـــجلسه بهم ومن هؤلاء " **أبو عبد الله الـــمقّري**"، الذي اصطفاه وخلطه لنفسه

---

[1]- الشاطي، الفتاوي، ص ص 29-30؛ الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص17.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص195؛ عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص 98.

[3]- عبد الرحمن الجلالي، المرجع السابق، ج2، ص164؛ ؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص431؛ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص129؛ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 141.

[4]-ابن خلدون، العبر، ج7، ص121؛ ابن الشماع، المصدر السابق، ص 98؛ الناصري، المصدر السابق، ج3، ص170-171؛ عطاء الله دهنية، المرجع السابق، ج3، ص399؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص30-32 .

ضمن علمائه المقربين، حيث ندبه لكتابة البيعة معتمدا في ذلك على مكانته في الدّعوة لنفسه، فكتبها "**الـــمقّري**" وقرأها على الناس في يوم مشهود[1].

وبعد ذلك خرج السلطان" **أبو عنان**" من تلمسان نحو فاس، فاصطحب معه "**أبو عبد الله الـــمقّري**" وهنا كانت رحلته الثانية إلى فاس[2]، ومـــما يلاحظ على دوافع رحلته هذه أنّ أسبابـــها تختلف عن أسباب رحلاته السابقة، إذ ارتحل هنا نتيجة اصطحاب السلطان المريني له إلى فاس.

وما تـــجدر الإشارة إليه أنّ وجود "**الـــمقّري** " بفاس تـــميز في المرحلة الأولى منه بنيله حظوة لدى السلطان المريني "**أبي عنان**"، هذا الأخير الذي قام ببناء له مدرسة من أعظم المدارس المرينية عرفت باسم "**المدرسة المتوكلية**" نسبة إلى مؤسسها "**أبي عنان المريني**" الملقب "**بالمتوكل على الله**" [3] وكان ذلك سنة754هـــ/1353م، وقد تصدى "**الـــمقّري**" للتدريس بها فتخرج على يديه العديد من طلبة العلم[4].

ومن جهة أخرى قام السلطان "**أبو عنان**" بتولية الشيخ "**أبو عبد الله الـــمقّري**" منصب قاضي الجماعة[5] بفاس لـــمّا ملكها خلفًا لقاضيها الشيخ "**المعمر أبا عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي**" الذي أقاله السلطان من عمله نظرا لكبر سنّه[6].

وبذلك أصبح **الـــمقّري** قاضي الجماعة بفاس[7] وهو منصب سامي يتولى صاحبه أعلى رتبة في مـــجال القضاء ويرجع إليه سائر القضاة بالنظر[8]، كما كان لقاضي الجماعة هذا تأثير

---

[1]- ابن خلدون، التعريف، ص60؛ التنكبتي، نيل الابتهاج، ص421؛ أحمد المـــقّري، نفح الطيب، ج5، ص208.

[2]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص60؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص155.

[3]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص05؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص27.

[4]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص 419.

[5]- قاضي الجماعة عند المغاربة يقابلها قاضي القضاة عند المشارقة، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 385.

[6]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص 419.

[7]- ابن فرحون، الديباج، ص 382؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 60؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص37؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 312.

[8]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص79.

مستمر على السلطان لاسيما في الظروف الاستثنائية، كما كان يعهد إليه السلطان أدوارا مرارا وتكرارا في سير شؤون الدولة، فقد كان يكلف بـــمهام توفيقية وبسفارات لدى الدول[1].

واستمر "**أبو عبد الله الـــمقّري**" في هذا الـــمنصب وهذه الوظيفة مدة سبع سنوات من سنة (749هـــ/1348م) إلى سنة (756هـــ/1355م)[2]، حيث استقل بالقضاء أعظم استقلال فأنفذ الحكم وأعلن كلمة الحق ولـــم تأخذه في الله لومة لائم[3]، إذ حمدت سيرته فيه وأحبّته الخاصة والعامة على حد تعبير تلميذه "**لسان الدين ابن الخطيب**"[4].

ما ينبغي التنويه إليه أنّ الحظوة التي تـــمتع بها "**أبو عبد الله الـــمقّري**" بداية تواجده بفاس لـــم تدم طويلا، حيث واجه مـــحنة كبرى من قبل السلطان "**أبي عنان**"، هذا الأخير الذي لـــم يطق صبرا أمام صرامة "**الـــمقّري**" وقوّته وتنفيذه للحق، فقام بعزله عن منصب القضاء بفاس، وولـــّى مكانه " **أبا عبد الله الفشتالي** "[5] وكان ذلك سنة 756هـــ/1355م، وقد عزا "**ابن خلدون**" هذا العزل إلى كون "**أبي عنان**" سخط عنه لبعض النـــزعة الملوكية والتدخل في شؤون القضاء أو الـــمساس بـــمبدأ الاستقلالية التي كان "**الـــمقّري**" حريصا عليها [6]، وفي ذلك يقول "**ابن خلدون**" : « **فلم يزل قاضيا بها – فاس- إلى أن سخطه لبعض لبعض النـــزعات الملوكية فعزله وأدال منه بالفقيه أبي عبد الله الفشتالي آخر سنة ست وخمسيـــن**»[7].

---

[1]- روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 136.

[2]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 80؛ نصر الدين بن داود ، المرجع السابق، ص 205.

[3]- ابن مريـــم، المصدر السابق، ص 155.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 195؛ ينظر الفصل الثالث، ص 129.

[5]-هو أبو عبد الله محمد أحمد الفشتالي الفاسي الإمام الفقيه الفردي الموثق، قاضي الجماعة بفاس، توفي سنة 777هـــ/1375م، النباهي، المصدر السابق، ص 128.

[6]- نصر الدين بن داود، المرجع نفسه، ص 206.

[7]- ابن خلدون، التعريف، ص60.

فقد كانت هذه أوّل محنة يتعرض لـــها **"أبو عبد الله الـــمقّري"**، غير أنّها لـــم تؤثر عليه لأنّه لـــم يكن طالب دنيا أو سلطة، وإنّما هي التي تأتي إليه، إذ السلاطين هم الذين كانوا يثقون به ويجلّونه فوّلوه هذه المناصب، وربـــما كان يجنح نحو التخلي عن هذه المناصب إعفاءاً لنفسه مـــما قد يتحمل تحت الإكراه[1]، حيث ذكر **"النباهي"** هذا الموقف فقال: « **وقام بوظائف القضاء أجمل قيام ثـــم إنّه كره الحكم بين الناس، وتبّرم من حمل أمانته ورام الفرار عنه لنفسه فتنشب في انتظامه وتوجه عليه الإنكار من سلطانه ثم إنّه ترك بعد عناء شديد لشأنه** »[2].

كما علّق الأستاذ "أبو الأجفان" على هذه المـــحنة بقوله : « **وبذلك يستهدف الـــمقّري إلى منحة ليخرج منها قويّ العزيـــمة سليـــم الصدر غير متأسفـــا على ما فرط من يديـــه، والدليل هو ما سيتضح لنا قريبا من عزوفه عن المناصب السلطانية ورغبة عنـــها**»[3]، إذ يستنتج من خلال هذا أنّه عرضت على **"الـــمقّري"** بعض المناصب غيرها بعد ذلك لكنّه رفضها، إذ يشير "أبو الأجفان" دائما إلى أنّه أسندت إليه سلطة القضاء ليس في فاس فقط، وإنّما في مرسى مدينة هنين[4]، معتمدا في ذلك على ظهير[5] يتضمن إسناد منصب القضاء القضاء إلى **"الـــمقّري"** في مرسى مدينة هنين ويعلن ما يستحقه بـــمقتضى ذلك من الرعاية الـــموجبة إقرارا للعدل وإرضاء الله سبحانه وتعالـــى، غير أنّه ليس هناك ما يثبت مباشرته لـــهذا المنصب بعد قضاء فاس لأنّ هذا الظهير خال من التاريخ، كما يشير أيضا إلى عدم وجود إثبات لتوّلـــي **"الـــمقّري"** هذا المـــنصب فعلا بـــهنين، إذ قد يكون اعتذر عن ذلك

---

[1]- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 206.

[2]- النباهي، المصدر السابق، ص 126.

[3]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 81.

[4]- هنين مدينة صغيرة بناها الأفارقة، لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منها في جهة وتحيط بها أسوار عالية متينة لاسيما من جهة البحر، يفصلها عن البندقية أربعة وثلاثين ميلا (55كلم)، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 15.

[5]- مخطوط بـــمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا، يحتفظ بوثيقة هذا الظهير للوحة 289 من المجموع رقم 1140، أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص81.

وطلب إعفاءه منـــه ربـــما لأنّه رآه إجراءا تأديبيا، فتوليّته القضاء بـــهنين بعد فاس توحي بالحطّ من مكانته وتدل على مدى سخط السلطان وغيظه[1].

2. سفـــارته إلـــى غرناطـــة :

بعد عزل "**أبو عبد الله المـــقّري**" عن قضاء الجماعة بفاس كلّفه السلطان "**أبو عنان فارس المريني**" بـــمهمة سياسية وهي الذهاب في سفارة إلـــى الأندلس لتسليم رسالة إلـــى سلطان غرناطة آنذاك "**الغـــني بالله النصري محمد بن يوسف بن الأحمر**"، فامتنع "**الـــمقّري**" في بادئ الأمر ولـــم يقبل إلا بعد لأي ، إذا وافق في الأخير على القيام بتلك المهمة[2].

وصل "**الـــمقّري**" إلّـــى الأندلس سفيرا في أوائل جمادي الثانية من عام 756هـــ/1355م كما ذكر "**ابن الخطيب**" حيث قال :« **ثم لـــما أخر عن القضاء أستعمل بعـــد لأي في الرسالة، فوصل الأندلس أوائل جمادي الثانية من عام ستة وخمسين وسبعمائة**»[3]، إلاّ أنّ "**أحمد الـــمقّري**" الحفيد يذكر في "نفح الطيب" نقلا عن "**ابن الخطيب**" أنّه وصل الأندلس في جمادي الثانية من عام 757هـــ/1356م[4]، وهذا التاريخ يوافق ما ذكره "**ابن خلدون**" من تاريخ عزل "**الـــمقّري**" عن القضاء الذي أفادنا أن تاريخ ذلك كان آخر سنة756هـــ/1356م[5]، مـــمّا يوحي بأنّ تاريخ الوصول إلـــى غرناطة كان سنة 757هـــ/1556م.

كما يفيدنا تلميذه "**الشاطبي**" أنّه وصل إلى غرناطة عام 757 هـــ/1356م، حيث كان يحضر مجلسه العلمي فقال : «**حضرت يوما مجلسا بالمسجد الجامع بغرناطة مقدم الأستاذ**

[1]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص82.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 196.

[3]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص 196.

[4]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 209.

[5]- ابن خلدون، التعريف، ص 60.

القاضي أبي عبد الله الـــمقّري في أواخر ربيع الأول عام سبعة وخمسين وسبعمائة »[1]، وبناء على ذلك يرجح الأستاذ "أبو الأجفان" التاريخ الذي ذكره "الشاطبـــي" لوصول "**الـــمقّري**" غرناطـــة، لأنه عايش الحدث من جهة ويوافق التاريخ الذي ذكره "**ابن خلدون**" من جهة ثانية[2].

هذا عن تاريخ وصول "**الـــمقّري**" إلى غرناطة، فعند وصوله إلى هذه الأخيرة سلّم الرسالة إلى سلطان غرناطة وقضى غرضها وأدّى المهمة التي أنيطت به[3].

غير أنّ المصادر التاريخية لـــم تشر إلى غرض الرسالة ومضمونـــها إلاّ أنّ الأستاذ "أحمد بن حميد" محقق كتاب "**القواعد**" "**لـــلمـــقّري**" يرى بأنّها تتعلّق بشأن التعاون الـــحربي بين بـــني مرين سلاطين الـــمغرب الأقصى وبـــني الأحمر سلاطين غرناطة، بهدف ردّ هجمات النصارى القشتاليين[4] على بني الأحمر في تلك الفترة[5]، حيث استولوا على كل مدن الأندلس كاشبيلية وقرطبة وطليطلية وبلنسية وغيرها، ولـــم يبق آنذاك إلاّ غرناطة في يد بـــني الأحمر[6].
الأحمر[6].

وبعد انتهاء "**الـــمقّري**" من مهمة السفارة لدى "**ابن الأحمر**" سلطان غرناطة وخلال عودته إلى المغرب وبالتحديد حينما وصل إلى مالقة، بدا له البقاء في الأندلس والعدول عن العودة إلى المغرب وترك خدمة أبي عنان[7]، فانفصل عن رفاقه في الرحلة. ومن مالقة عاد إلى غرناطة أين آثر أن ينقطع للعبادة وأن يتفرغ لـــخدمة العلم ويتخلـــى عن كل الوظائف الدينية والسياسيـــة، حيث يقول في ذلك تلميذه "**ابن الخطيب**" :« **إلى ملازمة الإمرة، فتقاعد**

---

[1]- الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص 22، و ص 126.

[2]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 83.

[3]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ص ص 162-163.

[4]- نسبة إلى قشتالة (CASTILE) من الأندلس، تقع جنوب مقاطعة مدريد، ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 43.

[5]- أبو عبد الله المقّري، القواعد، مقدمة التحقيق، ص 29.

[6]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2،ص

[7]- أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ج 2، ص29.

وشهر غرضه، وبت في الانتقال طمع من كان في صحبته لـــما قضى غرض الرسالة وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه، بدا له في نبذ الكلفة، واطرح وظيفة الخدمة، وحل التقييد، أقبول على شأنه فخلى بينه وبين همة وترك ما انتحله من الانقطاع إلى ربه »[1].

إذ استقر هناك بغرناطة بـــمدرستها الشهيرة وهي "المدرسة النصرية" أين أعتكف بـــها للزهد والتبتّل والعلم والعبادة[2]، كما حرص على لقاء العلماء واستجارتهم والاستفادة منهم وربط سنده بسلاسل رواياتهم[3]، إذ يفيدنا في ذلك حفيده "**أحمد الـــمقّري**" من خلال ما نقله عمّا كتبه "**أبو عبد الله الـــمقّري**" بـــخطه على كتابه القواعد ونصه: « **الحمد الله تعالـــى جدّه قرأت صدر كتاب (زهرة البساتين) للقاسم بن الطيلسان ثم ســـمعت ثلاثة أحاديث من أوّله بل حديثا وأثراً وإنشاداً من الشيخ الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عباس الأنصاري، ثم تناولت منه جميع الكتاب المذكور أجازينه بحق سماعه لبعضه، وتناوله لجميعه من جده محمد المذكور بحق أخذه له مؤلفه صهره القاسم المذكور، وذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة، قال ذلك وكتبه محمد بن أحمد الـــمقّري في متم عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة** »[4].

هذا وقد انقطع "**أبو عبد الله الـــمقّري**" عن الناس تـــماما فـــلا يكاد يـــخرج إلاّ للصلاة أو قضاء الحاجة[5]، حيث كان يساعده ويعطف عليه من الناحية العلمية الأمير النصري "**محمد بن يوسف بن الأحمر**" الذي أكرمه وأجرى عليه راتبا من ديوان الأعشار الشرعية وأمر

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص

[2]- ابن الخطيب،**كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2003، ص 202.

[3]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 84.

[4]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5،ص ص 263-264.

[5] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص196؛ أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص209؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص421؛ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص 163.

بالعنايـــة بأحواله على فراغ بـــاله لـــما بدا له من الإخلاص وتبلج صبح الزهاد والانقطاع إلـــى الله[1]، فبقي بغرناطة مدة سنتين وامتنع عن الرجوع إلى فاس.

فلـــما بلغ ذلك السلطان "**أبي عنان**" أثـــار حفيظته، وراح يرمـــي الإمام "**الـــمقّري**" بأوصـــاف شنيعة بقصد الـــحـــط من شأنه، ربـــما لـــما أظهره من زهد وانقطاع للعبـــادة، فقد كان يرى أنّ هذا التبتل وهذا الزهد ما هو إلاّ ضرب من التظاهر الخادع وسواس وحيرة صادفته، فاتبع هواه مدّعيا ما أظهره من الصلاح، فخان الأمانة وحاد عن الرشد[2].

فبعث إليه يتهدده ويتوعده وينكر على صاحب الأندلس الغني بالله "**محمد الخامس بن الأحمر**" تـــمسكه به واهمه بالتواصل مع "**الـــمقّري**" على الرجوع إلى فاس[3]، فأرسل إليه يستقدمه منه ولأنّه تلاحقت رسائله في طلب عودته، قام "**ابن الأحمر**" بتكليف كاتبه "**ابن الخطيب**" بأن يـــخط خطابا لـــ "**أبي عنان**" يستشفع فيه لـــ "**أبي عبد الله الـــمقّري**" ويبين فيه إخلاصه في إعلانه التصوف ورغبته الأكيدة في الزهد والانقطاع للعبادة[4] وأخيرا استطاع "**ابن الأحمر**" أن يشفع له، فحصل له على خطاب أمان من السلطان "**أبي عنان**"[5].

فعاد على إثر ذلك "**أبو عبد الله الـــمقّري**" إلى فاس مـــحفوفا بعالمين جليلين وهما قاضي الجماعة بغرناطة "**أبا القاسم الشريف السبتي**" (تـــ760هـــ/1359م)[6] والفقيه

---

[1] – ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص ص 201-202.

[2]– أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 86.

[3]– ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 196.

[4]– ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص ص 199-204؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص210؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص ص 473-474؛ ينظر الملحق رقم 5، ص ص 158-159.

[5]– ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص 196-197؛ أحمد عزاوي، المرجع نفسه، ص ص 275-278؛ ينظر الملحق رقم 6، ص ص160-162.

[6]– هو محمد بن أحمد بن عبد الله الحسني السبتي الشهير بالشريف الغرناطي أبو القاسم كان مولده سنة 697هـــ، له تآليف منها "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"و "شرح على مقصورة حازم القرطاجني، توفي سنة 760هـــ، النباهي، المرقبة العليا، ص 171.

الـــمحدث "**أبو البركات محمد بن الحاج البلفيقي**"(تـــ770هـــ/1369م) ، يـــحملان معهما رسالة لأبي عنان يتشفعان فيهما للإمام "**الـــمقّري**" ويذكران لـــ "**أبي عنان**" مـــزاياه ويشرحان فيها له حالة وظرف انقطاعه للعبادة بغرناطة، فقبل السلطان "**أبي عنان**" الشفاعة وعفا عنه و كان ذلك عام 757هـــ/1357م[1]، وقد حضـــر "**ابن خلدون**" هذه الحادثة إذ كان موجودا في مجلس "**أبي عنان**" يوم قدوم عالـــما الأندلس ومعهما "**أبو عبد الله الـــمقّري**" فقال يصف ذلك : « **حضرت بمجلس السلطان يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا** ... »[2].

3. عـــودته إلـــى فاس ووفاته بـــها :

3. 1. عـــودته إلـــى فـــاس:

بعد عودة "**أبو عبد الله الـــمقّري**" من الأندلس إلى فاس استقر في مكانه بباب السلطان، حيث يفيدنا "**ابن خلدون**" في ذلك بقوله : « **واستقر القاضي الـــمقّري في مكانه بباب السلطان، عطلا من الولاية الجراية** »[3].

فكانت هذه الـــمحنة الثانية التي يتعرض لـــها الإمام "**الـــمقّري**" بعد عزله عن القضاء من قبل السلطان "**أبي عنان**"، إذ يرجع حفيده "**أحمد الـــمقّري**" أسباب ذلك إلى ما يسميه آفة مخالطة الملوك وتحكمهم بأحوال الناس فيقول : « **هذه آفة مخالطة الملوك، فإن مولاي الـــجدّ المذكور، كان نزل عن القضاء وغيره، فلمّا أراد التخلي إلى ربه لـــم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت** »[4].

---

[1]- ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص 204؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص 197-200؛ ابن خلدون، التعريف، ص 61؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص 478.

[2]- ابن خلدون، التعريف، ص 61.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص 61.

[4]- أحمد الـــمقّري، نفح الطيب، ج5، ص 214.

هذا وقد تعرض "**أبو عبد الله المقّري**" إلى محنة أخرى عدّت محنة ثالثة في حقه وسببها خصومة عائلية بين "**المقّري**" وبين بعض أقاربه، أبَى فيها "**المقّري**" من الحضور إلى مجلس القاضي "**الفشتالي**" الذي عُين مكانه ، فأمر "**أبو عنان**" بحبسه أمام القاضي ليحطّ من شأنه فأجبر بذلك على الحضور وتم تنفيذ الحكم فيه، فعدّها الناس محنة أبتلي بها "**المقّري**"[1] .

فقد كان حال السلطان "**أبو عنان**" إزاء "**أبو عبد الله المقّري**" متقلبا، فما أن يرضى عنه حتى يسخط عنه مرة أخرى وحتى "**المقّري**" نفسه أدرك ذلك، حيث نلمس هذا من خلال ما جاء عن "**النباهي**" بقوله :"**وقد سألته يوما عن حالة فأجاب ببيتين لأبي عمران بن عبد الرحمن وهما** :

حَالِي معَ الدَّهرِ فِي تقلُّبِهِ كَطائرٍ ضَمَ رجلَه شركُ

هِمَّتُهُ فِي فِكَاكِ مُهجتِهِ يَروُمُ تَخليصَها فتُسبَكُ "[2].

إنّ هذه التقلبات من السلطان "**أبي عنان**" ليست جديدة وممارسة لا تخفى على أحد، فقد استفتح سلطانه بالانقلاب على والده وقتله وتشريد إخوته و نفيهم، وعند إستلائه على تلمسان قتل أحد كبار فقهائها وعلمائها وهو "**أبو عبد الله الناصري السلوي**"[3]، والسلطان "**أبو عنان**" هو السبب في تشريد "**ابن مرزوق الخطيب**" الذي اضطر إلى اللجوء إلى أمير الأندلس ليشفع له[4]، ونفس الأمر فعله مع "**أبي عبد الله الشريف التلمساني**" الذي أبدى شجاعة في مواجهة هذا السلطان[5]، و هذا السلطان أيضا هو الذي امتحن "**ابن خلدون**" وسجنه لمدة سنتين، وبالتالي لم يسلم "**المقّري**" هو الآخر من

---

[1]- ابن خلدون، التعريف، ص 61.

[2]- النباهي، المصدر السابق، 170.

[3]- قتل يوم فتح تلمسان، قتله بعض أشياع السلطان لذنب أسلفه في خدمة أخيه أبي علي بسجلماسة قبل إنتحاله العلم، كان السلطان توعده عليه، فقتل بباب المدرسة، ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 60.

[4]- ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص ص158-162.

[5]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص 66-68.

تقلبات السلطان **أبي عنان**، وقد كتب فيه "**الـــمقّري**" تأليفا بعنوان :" **الـــمحرك لدعاوي الشر من أبي عنان**"[1].

وإثر هذه الـــمحنة التي تعرض لـــها "**الـــمقّري**" من قبل السلطان "**أبي عنان**"، أراد هذا الأخير الارتـــحال لفتح قسنطينة فصحبه معه في هذه الـــحملة وكأنّما "**أبي عنان**" حاول التكفير عن إساءتـــه "**للمـــقّري**" إذ وّلاه خطة قضاء العسكر وذلك سنة 758هـــ/1358م[2]، غير أنّ هذا لـــم يدم طويلا حيث مرض "**الـــمقّري**" في طريق العودة إلى فاس وتوفي عند مقدمه هذه الأخيرة[3] كما سيأتي.

3. 2. وفـــاتـــه:

ذكرنا فيما سبق أن السلطان "**أبا عنان**" ارتـــحل لفتح قسنطينة وصحب معه "**أبو عبد الله الـــمقّري**" بعدما ولاه قضاء العسكر ليسترضيه وكان ذلك في أوائل سنة758هـــ/1356م، وهذا لأنّ مقدمة من الأندلس كما ذكر "**ابن الخطيب**" كان في21 جمادي الأخر من عام 757هـــ/1357م[4]، فبعد فتح قسنطينية والعودة إلـــى فاس في أخر سنة 758هـــ/1356م، اعتل "**الـــمقّري**" في طريقه العودة، وأثناء الوصول إلى فاس كانت وفاته بـــهذه الأخيرة [5] .

وما ينبغي التنويه إليه أنّ ضبط تاريخ وفاته وقع فيه اختلاف بين المؤرخين، وإن كان قد ضبط عند أغلب المترجمين له بسنة 759هـــ/1359م، في حين يرى البعض الآخر غير ذلك.

قال "**لسان الدين ابن الخطيب**":« **توفي في مدينة فاس في أخريات مـــحرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله**»[6]، وينقل عنه "**ابن فرحون**"

---

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص 165.

[2]- ابن خلدون، التعريف، ص 63؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 425.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 63.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 200.

[5]- يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ج2، ص 164.

[6]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص 226.

فرحون" الكلام نفسه فقال: « **اتصل بنا نعيه في شهر محرم تسعة وخمسين وسبعمائة وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله** »[1].

ونجد "**الونشريسي**" ضبط تاريخ وفاته باليوم والشهر فقال : « **توفي في رحمة الله يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادي الأولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة** »[2].

أما "**ابن خلدون**" فيذكر أنّه توفي آخر سنة 758هـ/1357م، بعد عودته من فتح قسنطينة إذ قال: « **وعاد إلى دار ملكه بفاس أخر ثمان وخمسين، اعتل القاضي المقّري في طريقة، وهلك عند قدومه بفاس** »[3].

أما بعض المؤرخين فقد ذكروا تواريخ ليس لها وجه من الصحة إذ لا تتوافق مع الأحداث التي مرت وتواريخها.

فهذا "**ابن عماد الحنبلي**" يرى أن وفاته كانت سنة 761هـ/1360م[4]، غير أنّ ذلك لا يصح لأن هذا التاريخ بعيد جدا عن الأحداث التي مرت، أمّا "**محمد مخلوف**" "صاحب شجرة النور الزكية" فقد جعل تاريخ وفاته عام 756هـ/1355م[5]، وهذا التاريخ هو الآخر لا لا يتوافق مع ما جرى من الأحداث، إذ رأينا أن سفارته إلى الأندلس كانت في هذه السنة، ثم عودته مع رسالة الشفاعة كانت سنة 757هـ/1356م، وخروجه مع "**أبي عنان**" إلى قسنطينة وعودته إلى فاس كانت أواخر سنة 758هـ/1357م.

ويذهب "**ابن مريم**" إلى أنّ وفاته كانت بفاس إثر قدومه من الأندلس في غرض الرسالة لـ "**أبي عنان** سنة 795هـ/139[6]، ولعل ذلك التباس منه وتحريف عن 759هـ،

---

[1]- ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 383.

[2]- الونشريسي، الوفيات، ص 122؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 280.

[3]- ابن خلدون، التعريف، ص 62.

[4]- ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 193.

[5]- مخلوف، شجرة النور، ص 232.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 155.

حيث استبدلت الخمسة مكان التسعة والعكس، إذ لـــم يذكر أحد من المؤرخين أنّه عاش بعد وفاة السلطان "**أبي عنان**" الذي توفي سنة 759هـــ/1358م.

فكلام "**ابن الخطيب**" سابق الذكر هو الذي نشأ عنه اختلاف بين المترجمين لـــ "**الـــمـــقّري**" في سنة وفاته والراجح أنّها كانت مع بداية عام 759هـــ/1358م كما ضبطت في الإحاطة : "**بأخريات محرم من هذه السنة** "[1]، لأنّ هذا التاريخ يستقيم مع الأحداث التي مرّ بـــها "**أبو عبد الله الـــمقّري**".

هذا وبعد سنة من وفاة "**أبو عبد الله الـــمقّري**" نقل رفاته إلـــى تلمسان حيت ولادته ومـــقر أسلافة [2]، و هناك دفن بإحـــدى مقبرتـــي الأسرة الـــمقّرية[3]، وهي المقبرة الموجودة بالبستان الملاصق لدار سكناهم من الـــجهة القبلية والكائنة بباب الصرف بتلمسان[4]، وقد ذكر ذكر "**الحفيد**" أنّ هذا الـــمنـــزل أصبح ملكاً لبعض ورثة الشيخ "**أبي يـــحي الشريف**"[5]، وقد ذكر "محمد ابن عبد الكريم" صاحب كتاب "الـــمقّري وكتابه نفح الطيب"أنّ رونـــق البستان ذهب فيما بعد واكتظ بالبنيان والمساكن، أمّا القبور فقد بقيت هناك حيث بـــنى السكان عليها بعض جدران منازلهم[6] .

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 226.

[2]- ابن الخطيب، نفسه، ج 2، ص 226؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 155؛ الكتاني، المصدر السابق،ج،ص 682؛ الزركلي، المصدر السابق،ج 7،ص 37؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص 363؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 312.

[3]- المقبرة الأولى موجودة بالبستان ،والثانية موجودة بالعباد قرب ضريح سيدي أبي مدين، حيث عثر أحد المعمرين خلال الفترة الاستعمارية أثناء الحفر على واحد وأربعين مشهدا من مشاهد القبور الموجودة هناك، من بينها ثلاثة مشاهد لقبور الأسرة المقّرية، محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 100.

.Ch.broseelard, « tombeaux des familles el makkari et el okbani, p407.

[4]- ابن مريم، المصدر نفسه، ص 155؛ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 164.

[5]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 280.

[6]- محمد بن عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 100.

الفصل الثالث

تـــمهيد:

مـــما لاشك فيه أنّ الرحلة العلمية التي قام بها " **أبو عبد الله الـــمقّري**" إلى مـــختلف الحواضر العلمية بالعالم الإسلامي، قد وفّرت له فرصة ثمينة في الحصول على الـــمزيد من العلم وذلك من خلال الاتصال والتتلمذ على يد شيوخ وعلماء أجلاء والإطلاع على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الإسلامي، فكانت بذلك مصدر تكوين ذهني له وصقل لـــملكاته العلمية في جميع صنوف العلم، حيث أكسبته زادا معرفيا مكّنه من المساهمة في ازدهار الحركة الفكرية ببلاد الـــمغرب الإسلامي، وتتضح هذه الـــمساهمة من خلال تولّيه لـــمناصب سامية في معظم البلاد التي حلّ بـــها، وتتضح أيضا من خلال أثاره العلمية العديدة والتي تتمثل في مؤلفاته الـــمدّونة وشعره وفتاويه وأرائه الإصلاحية، إضافة إلى مهمة التعليم التي قام بـــها، فكوّن تلاميذ أعلاما كان لهم الدور في إثراء الحركة العلمية بالـــمنطقة.

أولا: الـــدور الـــعلمي لأبي عبد الله الـــمـــقّري:

1. دوره في الـــتعليم:

1. 1. طـــريـــقتـــه في الـــتدريـــس:

كان التعليم أحد الـــمهام التي قام بها "**أبو عبد الله المقّري**" بـــحواضر الـــمغرب الإسلامي، فبعد تـــحصيله العلمي على مشايخ تلمسان ومـــجالسته للعلماء في رحلته العلمية انتصب للتدريس و تولى مهمة الإقراء والتبليغ مـــما أوتـــي من العلم، فدّرس بداية بتلمسان مسقط رأسه وكان ذلك بعد عودته من رحلة الحج[1] في حدود سنة (730هـــ/1329م)[2]، غير أنّ تدريسه بتلمسان كان عابرا، إذ لـــم يشر من ترجموا له إلاّ بكلمة مدّرس ومن ذلك "**ابن فرحون**" فقال: «**أقرأ بها وانقطع إلى خدمة العلم** »[3]، وأيضا جاء عن "**الونشريسي**" أنّه:

[1]- يحي بوعزيز، أعلام الجزائر المحروسة، ج2، ص 162.

[2]- نصر الدين بن داود ، بيوتات العلماء، ص 162.

[3]- ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 383.

«**نشأ بتلمسان وقرأ و أقرأ**»[1]، ثم تولـــى مهمة التدريس بالمناطق التي ارتـــحل إليها، منها حاضرة فاس التي رحل إليها صحبة السلطان المريني" **أبي عنان**"، هذا الأخير الذي قام ببناء له "المدرسة المتوكلية" فكان من ألـــمع مدرسيها وأشهرهم، حيث تصدر مجالس العلم والمناظرة التي كانت تقام في حضرة "**أبي عنان**" ويـــملي بها دروسه[2]، فقد كان من أوائل العلماء الذين تصدوا للتدريس بها على كرسي التفسير والحديث الموجود بداخل قاعة الصلاة عند القبلة بهذه المدرسة[3]، ثم رحل "**الـــمقّري**" إلى الأندلس واستقر بغرناطة في أوائل جمادى الثانية سنة(756هـــ/1355م)[4]، وهناك انتصب للتدريس بجامع غرناطة وألقى دروسا بمدرستها النصرية الشهيرة[5]، أين برز من بين أكبر المدرسين بها لغزارة علمه وحسن أسلوبه وطريقة حواره في إيصال المعلومات إلى الطلبة، فكان له الفضل في أن أخذ عليه كبار علمائها، حيث يقول في هذا حفيده " **أبو العباس المقّري**" : «**وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورين** »[6].

ومن خلال ما جاء عن بعض تلامذة "**أبو عبد الله المقري**"، يمكن أن نستنتج بعض المواد التي تمحورت حولها حلقات دروسه، فيظهر أنّه درّس العلوم الدينية بصفة عامة وخاصة العلوم التي برز فيها و منها:

- **الفقه:** فكان "**مختصر ابن الحاجب**" لعثمان بن عمر بن الحاجب (646هـــ/1248م)[7]، أهم كتاب درّسه "**الـــمقّري**" لطلبته، وهو عبارة عن مؤلف لخص فيه صاحبه طرق أهل المذهب المالكي في كل باب، وعدّد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب، وقد كان

[1]- ابن مريم، البستان، ص 155؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 420.

[2] - عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص99.

[3]- أبو الأجفان، الإمام أبو عبد الله المقّري، ص96.

[4] - نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 162.

[5]- ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص 202؛ الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص 22.

[6]- أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص340.

[7]- نصر الدين بن داود، المرجع نفسه، ص64؛ عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع السابق، ص64.

هذا الكتاب من أهم مصادر الفقه المالكي وأحد الكتب الأساسية في تدريس العلوم الدينية في بلاد المغرب الإسلامي[1].

- **النحو**: درّس "**المقّري**" كتاب "**الجُمل**" للزجاجي "**أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق**"(ت339هـ/941م) وعنوان هذا الكتاب بالكامل"**الجمل الكبرى في النحو**"، حيث أكثر فيه من الأمثلة، وقد وضعت عليه شروح كثيرة منها شرح "**أبي محمد السيد البطليوسي**" المتوفي سنة(521هـ/1123م)[2].

- **الحديث**: درّس "**المقّري**" كتاب" **جامع الترمذي**" لـ "**أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي**"(ت275هـ/877م)[3]ودرّس أيضا كتاب"**صحيح البخاري**" لـ"**محمد إسماعيل البخاري**"(ت256هـ/858م)[4].

إضافة إلى هذه الكتب درّس "**المقّري**" كتب أخرى في فنون مختلفة، منها كتاب" **الجمل للخونجي**" في علم المنطق وعنوان الكتاب بالكامل"**الجمل في مختصر نهاية الأمل**" لـ"**فضل الدين محمد الخونجي**"(ت646هـ/1247م)[5]، إضافة إلى المصنفات التي قام بتأليفها[6] وبعض القصائد الذائعة الصيت، وكل هذا يدل على غزارة علومه.

وما ينبغي التنويه إليه أن الشيخ "**أبو عبد الله المقّري**" قد تميز في طريقة تدريسه بحسن الأسلوب واستعماله طريقة الحوار والمناقشة في إيصال المعلومات إلى الطلبة، حيث اتبع

---

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 168.

[2]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2 ، ص77.

[3]- هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي نسبة إلى مدينة ترمذ الكائنة على طرف نهر بلخ، أحد أيمة الحديث المقتدى بهم في علم الحديث، المجاري، برنامج المجاري، ص 111.

[4]- هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي الإمام الشهير الحافظ للحديث ولد في بخاري سنة(194 هـ/810م)، وله رحلة طويلة في طلب الحديث، من مؤلفاته الأدب المفرد والتاريخ وخلق أفعال العباد والعوالي في الحديث والهيئة والوجدان والمبسوط، توفي سنة(256هـ/858م) بخزنتك من قرى سمرقند، المجاري، المصدر نفسه، ص 105؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2 ،ص 6؛ الزر كلي، الأعلام، ج6 ، ص258.

[5]- المجاري، المصدر نفسه، ص 132.

[6] - محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص 108.

أسلوب الشرح والإملاء في إلقاء درسه، نظرا لـــما تميز به من غزارة الحفظ وسعة الإطلاع، فقد كان جامعا لمختلف العلوم[1]، ويظهر أيضا من خلال إفادة تلميذه "**الشاطبي**" أنّه كان يطرح الأسئلة على طلبته في إلقاء دروسه عليهم، لاختبار معلوماتـــهم وإثارة التشوق فيهم إلى المعرفة، فإن لـــم يهتدي الطالب إلى الجواب الصحيح تدّخل لبيان وجه الصواب في المسألة، وذلك في مواضيع مختلفة[2].

فمن الواضح أنّ "**أبو عبد الله المقّري**" حاول التجديد في طريقة التعليم، متأسيا في ذلك بشيوخه الّذين أخذ عنهم في مختلف الحواضر العلمية بالعالم الإسلامي، لاسيما وأنّه أخذ العلم عن جهابذة العلماء بهذه الحواضر مشرقا ومغربا، فيظهر هنا أثر هؤلاء الشيوخ في تكوين الشخصية العلمية لـــ"**الـــمقري**" أمثال "**ابني الإمام**"و"**أبو علي ناصر الدين المشذالي**"وغيرهم.

1. 2. تـــلامـــيذه:

سبق وأسلفنا الحديث عن المكانة العلمية التي تميز بها "**أبو عبد الله الـــمقّري**"، فقد كان أستاذا مشهورا شُهد له بالعلم والصلاح، مـــما بوّأه مكانة التّصدي للتعليم، فكان طلبة العلم يقبلون عليه للاستفادة من غزارة علومه المتعددة ويـــلتّفون حول حلقات دروسه في المساجد والمدارس التي درّس فيها، سواء في تلمسان أو في غيرها من الحواضر التي زارها كفاس وغرناطة فتتلمذ على يده عدد وافر من العلماء الذين كان لهم دور كبير في خدمة العلم وإسهامات جليلة في العلوم الإسلامية، وكان من أبرزهم:

- **لسان الـــدين بن الـــخطيب**: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني الغرناطي، قرطبي الأصل، المعروف بابن الخطيب، المشهور بذي الوزارتين،

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص 194-195؛ النباهي، المصدر السابق، ص169؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 24.

[2]- الشاطبي، المصدر السابق، ص ص 130-131.

الوزير والمؤرخ والأديب، ولد بمدينة لوشة[1] في 25 من شهر رجب سنة(713هـ/1313م)، نشأ بغرناطة في بيت علم ودرس بها على يد "**ابن الفخار**" و"**ابن جابر الوادي أشي**" و "**أبو الحسن القيجاطي**" و"**أبو القاسم بن جزي**" و"**ابن الجياب**"، و"**ابن مرزوق الجد**" و"**أبو عبد الله المقّري**" الذي أفرد له ترجمة خاصة في مؤلفه"**الإحاطة**"[2]، وقد أخذ عنه بالمسجد الجامع بغرناطة في حدود سنة(757هـ/1356م)[3]، عيّنه السلطان "**أبو الحجاج**" في منصب كاتب، ثم ولاه الوزارة، وبقي مع السلطان **الغني بالله** على هذين المنصبين حتى لقب بذي الوزارتين الكتابة والوزارة، له مشاركة في العديد من العلوم كالأدب والتاريخ والتراجم وغيرها، أشهر مصنفاته "كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة"و"الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة"و"ريحانة الكتاب"و"كناسة الدكان"و غيرها، توفي مقتولا بفاس سنة(776هـ/1374م)[4]، و قد شاركه ابنه "**أبو الحسن علي** " في الأخذ عن "**المقّري**"[5].

- **أبو عبد الله بن زمرك:** هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي أبو عبد الله الغرناطي المعروف بابن الزمرك ولد سنة (733هـ/1332م) بغرناطة ونشأ بها، وهو من مفاخرها، طلب العلم عن مشايخها مثل "**ابن الفخار**" و"**لسان الدين ابن الخطيب**"و "**أبي عبد الله المقّري**" حيث قال التنبكتي فيه: «**وانتفع بالقاضي المقّري**»[6]، وأخذ أيضا عن "**الشريف**

---

[1]- لوشة(loja) مدينة أندلسية على نهر سنجل غرب غرناطة بنحو100كلم وجنوب غرناطة بنحو60كلم، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص26.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 136.

[3]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص 196؛ الشاطبي، المصدر السابق، ص126.

[4]-التنبكتي، المصدر السابق، ص ص445-446؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص340؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص 281؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص230؛ الزر كلي، الأعلام، ج7، ص 112.

[5] -أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص339.

[6]- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 375.

السبتي" و"**الشريف التلمساني**"، له نزعة صوفية، تولى الكتابة ثم الوزارة عن ابن الأحمر بعد ابن الخطيب، توفي بعد سنة(795هـ/1393م)[1].

- **إبراهيم بن موسى الشاطبي**: هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق، أصولي حافظ، علامة، محقق، مفسر، محدث، من أئمة المالكية بالأندلس، أخذ عن علماء غرناطة وعلماء المغرب ومنهم "**ابن الفخار**" و"**أبي عبد الله البلنسي**" و"**أبي القاسم الشريف السبتي**" و"**ابن لب**" و"**ابن مرزوق**" وغيرهم، وأخذ عن "**المقّري**" عند وفوده غرناطة، فكان يحضر دروسه بالجامع الأعظم وسمع عليه من مؤلفاته جميع كتاب "الحقائق والرقائق" و"تكميل التعقيب" وهو من تأليفه وبعض"لمحة العارض تكملة ألفية ابن الفارض" من نظمه وبعض "اختصاره لجمل الخونجي" و"تمهيد القواعد" له أيضا [2]، وأجازه بجميع " ثلاثيات البخاري"[3] وأيضا "صحيح البخاري" و"الترمذي" و "النسائي"[4] و"موطأ الإمام مالك" و"الأحكام الصغرى" لـ"**عبد الحق**"[5] في الحديث و"الشفا" لـ"**عياض**" [6]

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص300؛ ابن خلدون، التعريف، ص274؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص478؛ أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج2، ص7؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 230؛ الزر كلي، الأعلام، ج7، ص154.

[2]- المجاري، المصدر السابق، ص 120.

[3]- هي الأحاديث التي تكون متصلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاثة رواة، وتنحصر الثلاثيات في صحيح البخاري، في اثني وعشرين حديثا، ابن مخلوف، المصدر نفسه، ج2، ص 489.

[4]- هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر، ينسب إلى نسأ، إحدى مدن خرسان، توفي بالرملة سنة303هـ، ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2 ، ص 239.

[5]- هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن خراط الأزدي الأشبيلي، كان حافظا محدثا فقيها، ألف" الجمع بين الصحيحين" و"الحاوي" و"اللغة"و"المعتل"وغير ذلك، استقر ببجاية وتوفي بها سنة582هـ، الغبريني، عنوان الدراية، ص73-75؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص92.

[6]- كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" ومؤلفه القاضي الشهير أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي الأصل السبتي، فقيه، محدث، مؤرخ، له مصنفات هامة، النباهي، المرقبة العليا، ص101؛ المجاري، المصدر نفسه، ص112.

و"شهاب القضاعي"[1] و"تيسير أبي عمروا الداني" و"الشاطبية"[2]و "علوم الحديث" لـــ"**ابن صلاح**"[3]، و"ابن الحاجب الأصلي" و"تسهيل ابن مالك"[4]، و"الجز ولية" و"جمل الزجاجي"، وله وله تآليف عدة منها "الموافقات"في الأصول و"الاعتصام"و"الإفادات والإنشادات"وله شرح جليل على "ألفية ابن مالك" وكتاب عنوانه "الإتقان في علم الاشتقاق"وغيرها، توفي بغرناطة عام790هـــ/1388م[5].

- **أبـــو عبد الله محمد بن علي بن علاق:** هو أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم بن علي بن علاق الغرناطي الأندلسي من حفاظ غرناطة ومفتيها ومحدثيها وإمامها وقاضي الجماعة بها، أخذ عن" **ابن لب**" و"**ابن مرزوق**"، وأخذ عنه" **المنتوري**" و"**ابن سراج**" و"**أبو بكر بن عاصم**"، واستفاد من الشيخ "**الـــمقّري**" بغرناطة، له شرح على "مختصر ابن الفرعي"، وشرح

[1]-كتاب" الشهاب في المواعظ والآداب" وصاحبه أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، مؤرخ، مفسر، شافعي، تولى القضاء بمصر، وتوفي بها سنة545 هـــ، من تأليفه "تفسير القرآن" و"الأنباء عن الأنبياء" و"تواريخ الخلفاء" وغيرها، المجاري، المصدر السابق، ص120؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1 ، ص403-555.

[2]- قصيدة الشاطبية الكبرى تسمى"حرز الأماني ووجه التهاني"وهي في القراءات السبع، وتعد عمدة في فن القراءات، بلغت أبياتها ألفا ومائة وثلاثة وسبعين، أبدع فيها صاحبها أبو محمد قاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف الرعيني الشاطبي، غاية الإبداع وضمنها رموزا وإشارات وهي لامية، ولد الشاطبي سنة 538هـــ وتوفي سنة 590هـــ، وقبره بالقرافة، المجاري، نفسه، ص95-96؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج2 ، ص260.

[3] - ابن صلاح هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمان الشهر زوري، ولد سنة 577هـــ، سمع من علماء الموصل وبغداد ونيسابور ودمشق، صنف وأفتى ونشر العلم وتخرج به كثيرون، و من مؤلفاته "طبقات الشافعية" و"الأمالي" وغيرها، توفي سنة643هـــ، المجاري، المصدر نفسه، ص113؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج5، ص221؛ الزر كلي، الأعلام، ج4، ص 369.

[4]- "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لابن مالك، وهو عبارة عن كتاب جامع لمسائل النحو، اعتنى به العلماء وصنفوا له شروحا، عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص171.

[5]- المجاري، المصدر نفسه، ص116؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص48؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، 199، ابن مخلوف، نفسه، ص231؛ الزر كلي، نفسه، ج1، ص71.

على "فرائط ابن الشاط"[1]، وله فتاوى نقل بعضها "**الونشرسي**" في كتاب" **المعيـــار**"، توفي سنة 806هـــ/1403م[2] .

● **أبـــو عبد الله محمد بن سعيد بن لب بن بقي:** من علماء غرناطة، كان خطيبا أستاذا متخلقا ورواية، روى عن "**الـــمقّري**" كل مؤلفاته، وقد ساق سندها بهذه الرواية بعض العلماء الأندلسيين والمغاربة في إثباتهم، أخذ عنه أعلام من أهل الأندلس ومنهم "**المنتوري**" صهره و"**أبو عبد الله المجاري**"، كان مولده عام(722هـــ/1322م)، توفي في سنة(791هـــ/1388م)[3].

● **أبـــو عبد الله محمد بن إبراهيم النفزي الرندي:** الـــمعروف بابن العباد، شيخ العلماء والزهاد و إمام الصلحاء، الفقيه المتفنن العارف بالله، أخذ عن والده "**أبي الحسن الرندي**" و"**أبي عمران العبدوسي**" و"**الشريف التلمساني**" والإمام "**الـــمقّري**" الذي أخذ عنه كثيرا من "مختصر ابن الحاجب الفرعي" و"فصيح ثعلب" وبعض "صحيح مسلم" على وجه التفقه، غير أنّ المصادر لم تشر إن كان قد أخذ عنه بغرناطة أم بعد ارتـــحاله إلى فاس بعد سنة 756هـــ/1355م، كان خطيب وإمام جامع القرويين بفاس، ألّف "الرسائل الكبرى والصغرى" و"شرح الحكم" في نظم طويل، كان مولده عام(733هـــ/1332م)، توفي سنة(792هـــ/1390م)[4]، قال فيه "**أحمد الـــمقّري**" الحفيد: « **إنّه ممن يفتخر مولاي الجدّ رحمه الله تعالـــى بكون مثله تلميذاً له** »[5].

---

[1]- ابن الشاط أبو القاسم قاسم عبد الله بن محمدا لأنصاري السبتي، له تأليف منها "تحفة الرائض في علم الفرائض"،ولد سنة 643هـــ/1245م وتوفي سنة 723هـــ/1226م، ابن فرحون،الديباج، ص342؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص217.

[2]- المجاري، المصدر السابق، ص122؛ ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص247.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 460؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص683.

[4]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص403؛ أحمد الـــمقّري، نفح الطيب، ج5، ص341-342؛ابن مخلوف، المصدر نفسه، ص ص238-239.

[5]- أحمد المـــقّري، المصدر نفسه، ج5، ص 341.

- **أبـــو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي:** البرنسي، الزموري الدار شهر بأنقشابو، الفقيه، القاضي المحدث المفتي المدرس، الرحلة، أخذ عن "أبي حيان" والقاضي "**ابن عبد الرزاق الجزولي**" و"**المجاصي**" والإمام "**الـــمقّري**" وغيرهم، له تآليف كشرح "ابن الحاجب الفرعي" ســـماه "معتمد الناجب في إيضاح منهمات ابن الحاجب" وله "كتر الأزار ولاقح الأبكار"[1].

- **أبـــو عبد الله الـــقيجاطي:** هو محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الكتاني القيجاطي الغرناطي، الأستاذ، المحقق، أحد مشاهير علماء غرناطة، أخذ عن علمائها منهم "**ابن الفخار**" و"**أبي سعيد فرج بن لب**" و"**ابن مرزوق**" والإمام "**الـــمقّري**"، وكان له التحصيل الكبير في مختلف العلوم وقد برز في علم القراءات حتى قال عنه "**الـــمقّري الحفيد**": « **الأستاذ العلاّمة أبو عبد الله القيجاطي الآية في علم القراءات**»[2]، ومن تلامذتـــه "**المنتوري**" و"**أبو بكـــر بن عاصم**"، توفي سنة 811هـــ/1408م[3].

- **ولـــي الدين أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون الـــحضرمي:**

اشبيلي الأصل، تونسي المولد، حافظ ، متبحر في سائر العلوم، مؤرخ، رحالة، رحل إلى المغرب والأندلس، والتقى بالقاضي "**الـــمقّري**" فأخذ عنه ونوّه به فقال: «**كبير علماء المغرب**»[4]، تولـــى القضاء بالقاهرة وحلب وتولـــى كتابة العلامة عن السلطان "**أبي عنان**"، ترجم لنفسه ولسلفه في كتابه "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"، لخص محصل

[1]-التنكتي، نيل الابتهاج، ص 457.

[2]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 340.

[3]- المجاري، برنامج المجاري، ص92؛ التنكتي، المصدر نفسه، ص 282 ؛ ابن القاضي، درة الحجال، ص478.

[4]-ابن خلدون، التعريف، ص61.

الرازي وألف في الحساب والفقه وأشهر مؤلفاته "العبر" و"المقدمة"، ولد بتونس سنة 732هـ/1331م، وتوفي بالقاهرة سنة 808هـ/1405م[1].

مـــؤلـــفـــاتـــه:

سبق الحديث عن تطور الحركة العلمية في الفترة التي ولد ونشأ فيها "**أبو عبد الله الـــمقّري**"، والتي كان من مظاهرها الاهتمام بمختلف العلوم، لاسيما منها الدينية التي بقيت تحتل الصدارة، إلى جانب ذلك عناية العلماء بكثير من العلوم الأخرى من لغة ونحو وبلاغة ومنطق وتاريخ وطب وحساب وغيرها، فأقبل بذلك علماء المغرب الإسلامي عامة على التأليف في ميادين مختلفة[2] فكان من الطبيعي أن يشارك "**أبو عبد الله الـــمقّري**" علماء عصره في إثراء المكتبة الإسلامية من خلال تآليفه المتنوعة والتي لا تنحصر في تخصص معين[3]، حيث وصفها حفيده بقوله: «**التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام** »[4]، فقد ألّف في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله والنحو والأدب والمنطق وغيرها، وقد تـــم تحقيق بعض هذه المؤلفات، غير أنّ أغلبها يبقى في عداد التراث الضائع، وسوف نصنّفها كما يلي:

2. 1. الـــفقـــــه: لقد نبغ "**أبو عبد الله محمد الـــمقّري**" في علم الفقه، حيث يعدّ من أبرز العلماء الذين أنجبتهم المدرسة المالكية بتلمسان والمغرب خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، فكانت له تصانيف عديدة في هذا الميدان أهمها:

- **كتاب "الـــقواعـــد"**: كان الفراغ من تأليف هذا الكتاب سنة755هـ/1355م كما جاء في آخره عن "**الـــمقّري**" ما نصه: «**وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب في يوم**

[1]-المجاري، المصدر السابق، ص 150؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص145؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص462؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ص228؛ الزر كلي، الأعلام، ج4، ص106؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص188.

[2]- عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 493؛ محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، ص68.

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 203.

[4]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج1، ص5.

الخميس في شهر رمضان من عام خمسة وخمسين وسبعمائة، عرف الله خيره »[1]، و يندرج هذا الكتاب ضمن القواعد الفقهية التي يعرفها "**المقّري**" كما يلي: «**ونعني بالقاعدة كل كلّي هو أخص من الأصول وسائر المعاني العقلية العامة، وأعمّ من العقود، وجملة الضوابط الفقهية الخاصة...**"[2]، فهو يشتمل على 1200 قاعدة، وقد بيّن "**المقّري**" منهجه في كتابه هذا فقال: « **قصدت إلى تمهيد ألف قاعدة ومائتي قاعدة، هي الأصول القريبة لأمهات مسائل الخلاف المبتذلة والقريبة، رجوت أن يقتصر عليها من سمت به الهمّة إلى طلب المباني وقصرت به أسباب الأصول عن الوصول إلى مكامن النصوص من النصوص والمعاني، فلذلك شفعت كل قاعدة بما يشاكلها من المسائل وصفحت في جمهورها من الدلائل** »[3].

إذ يمكن من خلال ذلك تلخيص منهجه في هذا الكتاب في النقاط التالية:

– كان ترتيب الكتاب حسب أبواب الفقه (الطهارة، الصلاة، الصوم...) مثلما كان سائدا في عصره وكما جاء في "**مختصر ابن الحاجب الفقهي**".

– يبدأ في كتابه كل قاعدة مستقلة بلفظ "**قاعدة**" وقد يدمج قاعدتين في قاعدة واحدة، مع الإشارة إلى ذلك[4].

– أورد في كتابه " **القواعد الفقهية**" بنوعيها "**قواعد كلية**" مثل "لكل مقام مقال"[5]، و"**قواعد خلافية**" وهي التي أختلف فيها وقد نتج عن ذلك خلاف في

[1]– أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص 149.

[2]– أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ج1، ص 212.

[3]– نفسه، ج1، ص 212.

[4]– نفسه ج1، ص432، القاعدة رقم 186.

[5]– نفسه، ج2، ص424، القاعدة رقم 178.

المسائل الفرعية، سواء بين الأئمة الثلاثة (أبي حنيفة[1] والإمام مالك والشافعي[2]) أو داخل المذهب نفسه.

و مثال " **القواعد الخلافية**" بين الأئمة الثلاثة:

" **تبدل محل النجاسة إلى الطهارة باستعمال الماء شرعي عند مالك ومحمد، حسّي عند النعمان**"[3].

ومثال "**القواعد الخلافية**" داخل المذهب المالكي " اختلف المالكية في المقدم من الأصل والغالب عند التعارض"[4].

- اعتمد "**المقري**" في وضع القاعدة على الاستدلال من الكتاب والسنّة، إلاّ أنّه يقتصر في ذلك على محل الاستدلال دون تحديد وجهه، إذ يترك للقارئ المجال لإدراك وجه الاستدلال، فهو يفترض فيه أنّه مؤهل لاستخراج وجه الاستدلال بنفسه[5].

وما يلاحظ على أسلوب "**المقّري**" في كتابه "**القواعد**" أنّه تميز بالدّقة والاختصار مع محاولة أداء المعاني الكثيرة في عبارات مقتصرة، وكمثال على ذلك "قاعدة":" **كل ما تمخض للتعبد أو غلبت عليه شائبة فإنه يفتقر إلى نيّة، كالصلاة والتيمم، وما تمخض للمعقولية أو غلبت عليه شائبة فلا يفتقر، كقضاء الدّين وغسل النجاسة** "[6].

---

[1]- هو أبي النعمان بن ثابت رضي الله عنه، ولد سنة 80هـ، توفي ببغداد سنة 150هـ، عرف بالجدل والتبحر في الفقه واستعمال الرأي،

[2]- هو محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة 150هـ/768م بغزة في فلسطين، نشأ يتيما فقيرا، وفّق الشافعي بين مدرسة مالك في الحديث ومدرسة أبي حنيفة في استعمال الرأي، يعتبر مؤسس علم أصول الفقه، توفي بمصر سنة 204هـ/820م ودفن بمقابر قريش، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ط1،ج6، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص ص 2393-2418، ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 176؛ ابن فرحون، الديباج، ص 326؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج2، ص 9.

[3]- أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص 213، القاعدة رقم 1.

[4]- أبو عبد الله المقري، المصدر نفسه، ج1، ص225-227، القاعدة رقم 6.

[5]- نفسه، ج2، ص 414، القاعدة رقم 168.

[6]- نفسه ،ج1، ص 265، القاعدة رقم 39.

وما ينبغي التنويه إليه أنّ هذا الكتاب يعد من أكثر مؤلفات "**الـــمقّري**" قيمة في ميدان الفقه، إذ يظهر ذلك من خلال حرصه على التّحرر من التعصب المذهبي رغم تفقهه في مذهب مالك ونشأته في بيئة غلب عليها انتشار هذا المذهب، ولم يكتفي بذلك فحسب بل وضع قواعد في ذم التعصب والتحذير منه، كما أنّه عمد إلى المقارنة بين فروع المذهب الأربعة، ومناقشة من سبقه في مقاصد الشريعة الإسلامية و قواعدها الفقهية وفروق أحكامها، وربط الفروع بقواعدها الشرعية وعمل على بيان ما نشأ من الخلاف المذهبي في أصل هذه القواعد[1]، إضافة إلى تأسيسه بعض القواعد، فلم يكن ناقلا فقط بل عمد إلى إدخال قواعد جديدة بالاعتماد على الكتاب والسنة في الاستدلال.

ومما زاد هذا الكتاب قيمة أنّه زوّده ببعض النصائح القيّمة الموجّه للعلماء وطلاب العلم خاصة والمسلمين عامة[2]، فابتكر بذلك طريقة جديدة في خدمة الفقه، وهي خلاصة عمله النقدي لأقوال الفقهاء ونظرهم إلى بعض المسائل، إذ كانت لـــ "**الـــمقّري**" الكثير من المواقف الاجتهادية[3].

وبذلك يكون "**الـــمقّري**" قد ترك موسوعة فقهية جامعة لعلم الفقه، فقد قال "**الونشريسي**" عن هذا الكتاب: «**إنّه كتاب غزير العلم، كثير الفوائد، لـــم يسبق إلى مثله، بيد أنّه يفتقر إلى عالم فتاح** »[4]، وقال عنه "**الـــمقّري الحفيد**": « **وقد أشار فيه إلى مأخذ الأربعة وهو قليل بهذه الديار المشرقية ولـــم أرى منه بـــمصر إلاّ نسخة عند بعض**

---

[1]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص103؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 379.

[2]- الونشريسي، المعيار المعرب، ج2، ص480.

[3] - تحدث الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد عن المقري المجتهد ذاكرا أنه بلغ درجة الاجتهاد في حدود المذهب مستشهدا على ذلك بثلاث قواعد له فيها اختيارات وهي التي تحمل أرقام 82-85-393، كما تحدث عن تميزه بعقلية فقهية فريدة تجعله ينقد الكثير من أقوال الفقهاء مستشهدا على ذلك بالقواعد التي تحمل أرقام 35-11-275 .

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص427؛ أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص284؛ محمد بوزيان بنعلي ، **من نوادر المخطوطات التعريف بالمقري لأبي العباس الونشريسي**، مجلة دعوة الحق، ع 331، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية ،1997،ص 125.

Ch.broseelard , op.cit, p404

الأصحاب » وذكر أنّها من أوقاف رواق المغاربة بالأزهر[1]، وقال عنه "محمد الفاضل ابن عاشور": «**كتاب عجيب الاختراع، بعيد المترع قصد فيه استخلاص المبادئ الكلية التي أقيمت على النظريات الفقهية في كل باب من أبواب الفقه، وأثبت ما في تطبيق تلك المبادئ على جزئياتها من اختلاف الأنظار، فقارن مقارنة حكيمة في نطاق القواعد بين فروع المذاهب الأربعة، وكان بذلك مبتكرا طريقة جديدة في خدمة الفقه**»[2]. وقد حظي هذا الكتاب باهتمام كبير من قبل العلماء، كما تم تحقيقه لنيل درجة الدكتوراه[3].

- **كتاب "عمل من طب لمن حب"**: فرغ "**الـــمقّري**" من تأليفه سنة 753هـــ/1352م[4]، وأصل تسمية هذا الكتاب مثل عربي قديم[5]، يقصد به عمل الطبيب الحاذق لشخص يحبّه ويجلّه، فالطبيب إذا عمل الدواء لشخص يحبه قد يفعل قصارى جهده في صناعته وإتقانه[6]، وقد ذكر "**الـــمقّري**" سبب تأليفه هذا الكتاب فقال: « **وكان الذي أثار عزمي إليه، وحمل همّي عليه أنّي رأيت محل ولدي بل خلاصتي وبقيّة من يعز على كبدي من قرابتي، الصغير سنا، الكبير إن شاء الله سناء المرجو من رب العزّة أن يجعل منه السلف ذكرا جديدا وثناء، علي بن خالـــي ومحل والدي الشيخ الصالح، ذي النفس الزّكية والعقل الراجح أبي عبد الله محمد بن عمر المقّري ولع بكتاب (الشهاب)، وشرع يتكلم ببعض ألفاضه بين صبيان الكتاب، فخشيت أن لا يرجع عليه العناء بكبير فائدة** »[7].

---

[1]- أحمد المقّري،نفح الطيب،ج5،ص 284.

[2]- رشيد زواوي ، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب، ص 328.

[3]- أحمد بن عبد الله بن حميد، حقق قسم العبادات لنيل درجة دكتوراه في الفقه المقارن، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 1404هـــ/1983م ومحمد الدردابي، دكتوراه في الدراسات العليا الإسلامية من دار الحديث الحسنية بالرباط، المغرب.

[4]- أبوعبد الله المقري، **عمل من طب لمن حب** ، تحقيق أبي الفضل العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص13؛ أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 114.

[5]-أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ص11.

[6]- أبو عبد الله المقري، القواعد، ص 83.

[7]- أبو عبد الله المقّري، عمل من طب لمن حب، ص 35.

فيتضح من خلال قول "**المقّري**" أنّه أراد أن يقوم بدور الطبيب الحاذق من أجل مداواة ومعالجة ابن خاله[1] مما ألـمّ به، فكان هذا الكتاب من صنف التأليف للمبتدئين الذي تم فيه مراعاة تفاوت مستوى الطلبة الذين لم يتعمقوا في الدراسة والذين لم تسبق لهم دراية واسعة، وقد كان موضوعه فقهي أصولي محض جاءت مواضيعه متنوعة[2]، وقد قسّمه إلى عدة أقسام :

- **القسم الأول**: يشتمل على الأحاديث النبوية وهي نحو 500 حديث استنبط منها الأحكام المتعلقة بالأبواب والمسائل الفقهية المختلفة.

- **القسم الثاني** : وهو قسم الكليات الفقهية جاء في غاية الإفادة، إذ يشتمل على500 كلية ضابطة لمسائل الفقه في المذهب المالكي تتخللها مختلف الأبواب من العبادات والمعاملات والأقضية والشهادات والفرائض[3]، فقد عمد "**المقّري**" من خلال هذه الكليات إلى تلخيص أهم الأحكام وأصلحها في المذهب على المشهور والصحيح لتيسير تناول أهم مسائله، فهي تعين الطلبة على استيعاب الفروع وحفظ المسائل وتمهيد الطريق لمن أراد أن يتوسع[4].

- **القسم الثالث**: وهو قسم القواعد الحكمية، حيث يشتمل على قواعد فقهية وأخرى أصولية وعددها مائتين وهي أكثر شمولا من الكليات السابقة.

- **القسم الرابع**: وهو قسم في الألفاظ الحكمية المستعملة في الأحكام الشرعية، أورد "**المقّري**" فيها بعض الأقوال المشهورة لأئمة المذاهب مثل قول "**مالك**":« **لكل شيء وجه**» وقول "**أبو حنيفة**": « **إذا ضاق الأمر اتسع**» وقول "**الشافعي**": « **لكل مقام مقال**»[5]،

---

[1]- ينظر الملحق رقم 9، ص 165.

[2]- نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص 219.

[3]- محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص 108.

[4]- نصر الدين بن داود، المرجع نفسه، ص 219.

مقال»[1]، فهو عبارة عن مدخل للاصطلاحات الفقهية من الأقوال والحكم المأثورة عن طائفة من الأعلام.

ويكتسي هذا الكتاب أهمية بالغة، إذ لا يمكن للمتخصص في الفقه أن يستغني عنه، ويظهر ذلك من خلال منهج "**المقّري**" في كتابته، فهو قد أبرز السبب الدافع لوضع هذا الكتاب، وانتقى الأحاديث من مختلف أبواب الشريعة التي شملت أبواب العبادات (الوضوء، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج)، ثم أبواب المعاملات(الجهاد، النكاح، البيوع، الجنايات والحدود)، وكانت هذه الأحاديث التي انتقاها أغلبها صحاح مروية في الكتب المعتمدة كالصّحاح والسنّن، كما أنّه ذكر هذه الأحاديث مقرونة بمن أخرجها من الأئمة، وقد أشار أحيانا فيه إلى اختلاف الروايات والطرق، مـــما زاده قيمة، أثنى عليه "**المقّري الحفيد**" بقوله: « **إنّه بديع في بابه... فوق ما يوصف**»[2]، وقال عنه "**أبو عبد الله المقّري**" في أبيات شعرية :

هَذَا كِتابٌ بَدِيـــعٌ فِي مَحَـــاسِنِـــه ضَمـــنتُـــهُ كُلُّ شيء خِـــلتُـــهُ حَسنـــا

فَكُلُّ مَـــا فِـــيهِ إنْ مَرَّ اللَّبِـــيبُ بِهِ وَلَـــمْ يَشُمْ عَبِيـــرًا شَـــامَ مِنْـــهُ سنـــا

فَخُذْهُ و اشْدُدْ بِهِ كَفَّ الضَّنِينِ وذُدْ حَتَى تُحَصِّلُهُ عَنْ جَـــفْنِـــكَ الـــوَسَنَا[3].

وألّف "**المقّري**" في الفقه أيضا مقالة "**الطلقة المملكة**" و "**النظائر الفقهية**" وحاشية بديعة على "**مختصر ابن الحاجب الفقهي**" قال عنها "**المقّري الحفيد**" : «**فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد في غيرها، وقد وقفت عليها بالمغرب** »[4]، وألف أيضا "**تكميل التعقيب على صاحب التهذيب**"[5] وكتاب فقهي يشتمل على أكثر من مائة مسألة، قال عنها "**ابن**

[1]- أبو عبد الله المقّري، عمل من طب لمن حب، ص 158.

[2]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 285.

[3]- أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ص 33؛ ينظر الملحق رقم07، ص163.

[4]- أحمد المقري، المصدر نفسه، ج5، ص 310.

[5]- المجاري، المصدر السابق، ص 120؛ أحمد المقري، المصدر نفسه، ج5، ص 276.

الخطيب": «**ضمنّها كل أصيل من الرأي والمباحثة** »[1]، وأكدّ "**الـــمقّري الحفيد**" أنّه غير القواعد سالف الذكـــر قائلا: « **هو غير القواعد بلا مرية** »[2].

2. 1. الـــتصـــوف :

كتاب "الـــحقائق و الـــرقائـــق": كان لـــ"**الـــمقّري**" حظ وافر في التـــصوف، وقد أسهّم في هذا الميدان بكتابه " **الحقائق و الرقائق** " الذي ظهرت فيه النزعة الصوفية الخالصة[3]، لكنه أيضا توجيهي ورائع[4]، قال عنه "**أبو عبد الله المقّري**" في مقدمته: « **هذا الكتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق، ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق، فهو زبدة التذكير و خلاصة المعرفة، وصفوة العلم ونقاوة العمل، فاحتفظ بما يوحيه إليك فهو الدليل، وعلى الله قصد السبيل**»[5] وقال عنه "**الونشريسي**": « **لطيف الإشارة بديع المترع وهو كثير بين أيدي الناس الناس في تلمسان وفاس**»[6].

وقال "**ابن عاشور**" أيضا عن هذا الكتاب: « **هو يتناول الجزيئات السلوكية ويرجع بها إلى النظر في سير التكوين، وذلك هو ما عنونه بالحقائق، و يأخذ المعاني التنبيهية ويسبكها في قوالب حكيمة رائعة التفسير ويـــمزج التوجيه الوعظي بالأسرار التكوينية ولذلك رتب الكتاب حقيقة ورقيقة على التعاقب** »[7] .

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 203.

[2]- أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص 284.

[3]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 48؛ محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص 197.

[4]- رشيد زواوي، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب، ص 337.

[5]- أبو عبد الله المقّري، **الحقائق والرقائق**، اعتنى به عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، لبنان، (ب ت)، ص151؛ عبد القادر زمامة، الحقائق والرقائق، ص 95.

[6]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 203؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 427؛ أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص ص 284-328؛ بوزيان بنعلي ، المرجع السابق، ص 127.

[7]- أبو الأجفان، الإمام أبو عبد الله المقّري، ص 109.

ويذكر بعض المؤرخين أن فترة تدوين هذا الكتاب و ترتيبه كانت أثناء انعزال "**الـــمقّري**" وخلوته بالأندلس[1]، ومهما كان من أمر فان هذا التأليف الأخير قد لقي محل اهتمام واسع من طرف الجمهور بالمغرب الإسلامي والأندلس ومن عامة الفقهاء المتصوفة الذين عمدوا إلى شرحه والتعليق عليه خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين[2]، منهم الشيخ "**أحمد زروق**"[3].

وألّف "**الـــمقّري**" في التصوف أيضا "**رحلة المتبتل**"و"**إقامة المريد**"[4]و"**لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض**"وهي منظومة شعرية تشتمل على مائة وسبعة وسبعين بيتا[5].

3.3. في مـــواضع مـــختلفة :

- **كتاب "المـــحـــاضرات"** : وهو كتاب يشتمل على فوائد وحكايات وكلمات لبعض العلماء[6]، إذ ضمنّه آداب المحاضرة ومجالس المناظرة، وتناول عقيدة التوحيد وهو يرّد على المتصوفة الذين يعتقدون أنّهم هم العارفون الواصلون القريبون من الله[7]، قال عنه "**الـــمقّري الحفيد**":« **وفيه من الفوائد والحكايات والإشارات كثير، وقد ملكت منه بالمغرب نسختين**»[8]، وقد أورد نماذج مما جاء فيه عند ترجمته لجدّه منها: "**دع ما يسبق للقلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره**"، ومنه أيضا :"**قيل لأديب: بم عرفت ربك ؟، قال: بنحلة**

---

[1]-أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 118.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 413؛ محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص 197.
Ch.broseelard, op.cit, p404 .

[3]- هو أحمد بن محمد زروق، من كبار شيوخ الفقه والحديث والتصوف،كان وليا صالحا قطبا من أقطاب التصوف ذاع صيته في بلاد المغرب والمشرق، توفي بمسراته شرق طرابلس الغرب سنة(899هـ/1493م)، ابن مريم، البستان، ص ص 45-47.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص203؛ أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص 310؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 160؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 313.

[5]-المجاري، المصدر السابق، ص 120؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص 404.

[6]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 427.

[7]- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 219؛ بنعلي بوزيان، المرجع السابق، ص 127.

[8]-أحمد المقري، المصدر نفسه،ج5، ص 285.

في أحد طرفيها عسل وفي الآخر لسع، والعسل مقلوب اللّسع"[1]، وأيضا مما جاء فيه :أنّ مالك كان ينشد كثيرا:

وخيـــر أمور الدّين ما كان سنّة وشر الأمـــور المـــحدثات البدائع".

وختم "**أبو عبد الله الـــمقّري**" هذا الكتاب بقوله: « **فهذه جملة تراجم، وفيها مقنع لـــمن أراد المحاضرة، أو تنميق مجالس المناظرة، وكان الفراغ من جمعها في آخر يوم من شعبان المكرم من عام سبعة وخمسين و سبعمائة** »[2]، ومنه نستنتج أنّ تأليف هذا الكتاب كان سنة (757هـــ/1357م).

وبناء على هذا رجّح الأستاذ "**أبو الأجفان**" أن يكون تأليف هذا الكتاب قد تم في الأندلس، بعد أن جمع الكثير من المواد العلمية خلال حياته العلمية وأعانته الذاكرة أو التقييد على تدوينه عندما اتـــجه إلى الأندلس سفيرا فقام فيها بعد أداء الوظيفة بالتأليف والتدريس[3].

- **كتاب "التـــحـــف و الـــطـــرف":**

قال عنه "**الـــمقّري الحفيد**": « **قد وقفت على بعضه، فرأيت العجب العجاب** »، وقال عنه "**الونشريسي**": « **غاية في الحسن والطرف** »[4].

إضافة إلى ذلك كتاب "**نظم الآلي في سلوك الأمالي**" وهو كتاب في أدب الرحلة، فهو عبارة عن برنامج لـــ"**الـــمقّري**" ترجم فيه لشيوخه ودوّن فيه رحلته، وقد لخّصه حفيده "**أحمد الـــمقّري**" في كتابيه "نفخ الطيب " و"أزهار الرياض"[5] وللشيخ "**عبد الحي الكتاني**" في كتابه"فهرس الفهارس" ملخص لـــ "**الـــمقّري**" عن كتابه يرويه عنه[6].

---

[1]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص 285-310.

[2]- أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص ص 309-310.

[3]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 116.

[4]- التنبكتي ،نيل الابتهاج، ص 427؛ أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص 285.

[5]- أحمد المقّري،أزهار الرياض،ج5، ص- ص 12-74.

[6]- الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص 682.

وألّف "**الـــمقّري**" أيضا كتاب"**المحرك لدعاوي الشر من أبي عنان**"، وله كتاب"**اختصار المحصل** "في الأصول وله "**شرح لغة قصائد المغربي الخطيب** "و"**شرح التسهيل** " في اللغة و النحو وله"**الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من معاني السنة وآي القرآن** "في التفسير[1].

ويرى الأستاذ "**ابن عاشور**" أنّ تصنيف "**الـــمقّري**" لهذه الكتب كان في المرحلة الأخيرة من حياته حيث يقول: « **في هذه الحقبة التي بين خروج المقّري من تلمسان حيا سنة (749هـــ/1349م) ورجوعه إليها ميتا سنة(759هـــ/1359 م)، كان إنتاج الـــمقّري وأثاره النافعة الذائعة التي كانت للعقل الإسلامي تراثا زكيا متنقلا في القرون، فقد تخرج عليه في تلك الفترة الأعلام الذين تفرعت اختصاصاتهم عن مشاركته وتفننه ...وكانت تآليفه العظيمة قد صدرت كذلك في تلك العشر السنين التي بين خروجه من تلمسان ووفاته** »[2].

2. شعـــــره :

إلى جانب هذه المؤلفات، كانت للإمام "**الـــمقّري**" مشاركات شعرية طريفة في مختلف الموضوعات أغلبها يتضّمن حكما وينّم عن اتجاهه الصوفي[3].

وشعر **الـــمقّري** على قـــلّته إما تذييل وتكميل لأبيات شعراء آخرين، غير أنّه يدل على ذوق رفيع وحسن بـــلاغي متميز[4]، وقد نقل لنا قصائده الشعرية حفيده "**أحمد الـــمقّري**" في في كتابه "نفح الطيب" وتلميذه "**ابن الخطيب**" في كتابه "الإحاطة" وتلميذه "**الشاطبي**" في كتابه "الإفادات والانشادات" ونذكر من ذلك ما يلي :

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 203؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 160؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 313.

[2]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص118.

[3]- أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص 118.

[4]- أبو عبد الله المقّري، الـــقواعد، ص 86.

تذيـــل على قول القاضـــي "**أبي بكر بن العربي**" (تـــ543هـــ/1148م):

أمَّـــا والـــمسجـــــدِ الأقـــصَـــــى وَمَـــا يُـــتْـــلَـــى بِـــه نَـــصّـــاً

لَـــقـــدْ رَقَـــصَتْ بَـــنَـــاتُ الشَّـــوقِ بَيـــنَ جَوانِـــحِـــــي رَقصـــــا

فقال:

فَـــأَقـــلـــعَ بِـــي إِلـــيهِ هَـــوَى جَـــنَـــاحـــاً عَـــزمـــــه قُـــصَّـــا

أَقـــلّ الـــقـــلب، واستـــعـــدي عـــلى الـــجثمـــان، فـــاستـــعصى

فـــقـــمت أجـــول بـــيـنـــهمـــا فـــلا أدنـــــى، و لا أقـــصـــــى[1].

كمـــا قـــد يكـــون شعـــره أيـــضا تـــسجيلا لـــخاطرة كقولـــه:

خَالِف هَواكَ،وَكُنْ لِعقلِكَ طَـــائِـــعًا تَجِدْ الـــحَقِيقةَ عِندَ طَرفِ النَّاظِـــرِ[2].

ومـــن شعـــره مـــا كـــان في الـــدعـــاء لله سبحـــانه وتعـــالى، حيث نظم قـــائلا:

مُـــنكسِرَ الـــقلب بالـــخطايـــا يـــدعُـــوكُ يَـــا مَـــانِـــحَ الـــعَطَايـــَا

أَقعـــدتَ الـــذنبَ عَـــن رَفيـــقٍ حَـــشـــوًا لرضـــوانـــــك الـــمَطَايـــَا[3]

ومـــما قـــالـــه بـــشـــأن راوي"الـــمدونـــة الـــكبـــرى":

لاَ تَعـــجَبَنَّ لِظَبـــيٍ قَدْ دَهَـــا أَسَـــداً فقَدْ دَهَـــا أَسداً مِن قَبلُ سَحنُونُ[4] .

ومـــن منظوماته في التصوّف قوله:

أشيم الـــبرق مـــن بـــين الـــثنايـــا وأشْتَـــمُ العَبـــيـــرَ مِن الثنـــاءِ.

فـــأَبـــدُو تـــارةً وأغـــيـــبُ أُخرَى مُثـــارَ الشَّـــوقِ مَثنـــي الحَشَاءِ.

وكـــان أيضا يـــفكر فيمـــا بعد موتـــه، حيث وقـــف يومـــا بـــمقبرة يتســـاءل عن مكـــانـــه بـــها فقال:

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 214؛ أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص 338.

[2]-أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص 339.

[3]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 120.

[4]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص 214؛ أحمد المقري، المصدر نفسه، ج5، ص 339.

كل ميت رأتــه عيــني فإنــي ذلك الــميت، إذا نظــرت بقلــبي

وجميــع القبــور قبــري لولا جهــل نفسي بــما لــها عند ربــي[1] .

وقــد أنــشــد تــلميذه "**الــشاطــبي**" لــه أبــياتــا أوردهــا في إنشادا ته منها:

وجْدٌ تــُسعّــر الــضلــــو عُ و مــا تبــرّده المــدامِــــــع

فإذا تــحركــتِ الــصّبــَا بــــةُ فالمــهــابــةُ لا تــطــاوِع

أمــل إذا وصــل الرّجــــا أسبابَــــه فالخــــوف قاطــــــع

باللهِ يــا هــذا الــهــــوَى مــا أنــت بالــعشــاق صانــــع[2].

وأنــشد لــه "**الــشاطــبي**" أيضا هــذه الأبــيــات:

أَنْبتَّ عُوداً بــنَعْمَاءٍ بــدأْتَ بِهَــا فَضْلاً وَأَلْبسْتَهَا بَعْدَ اللَّحىَ الوَرَقَــا

فَظَلَّ مُسْتَشْعِــراً مُسْتَدْثِراً أَرَجًــا رَيَّان ذَا بهجَةٍ يــَسْتَوْقِــفُ الَحدقَا

فَلاَ تَشِنْهُ بمَكْرُوهِ الجَنــىَ فَلَكَــمْ عَوَّدْتَــهُ مِنْ جَميلٍ مِنْ لَدُنْ خُلِقَــا

وانْفِ القَذَى عَنْهُ، واثْرِ الدَّهْر مَنْبتَهُ وغذِّهِ بِرَجَاءٍ واسْــقِــهِ غَــدَقَــا[3].

ومــما كتبــه بخطه على نسخــة من "قواعده الفقهيــة" من شعره ما يلي :

ناديت والقلب بالأشواق محترقٌ والنفس من حيــرة الأبعــاد في دهــش

يا معطشي من وصال كنت أمله هل فيك لي فرج، إن صحت: واعطشي[4].

---

[1]-أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 120.

[2]- الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص148، إنشاده رقم82.

[3]- الشاطبي، المصدر نفسه، ص 90، إنشاده رقم 8.

[4]- أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 399.

ثانيا: دوره في الـــقضـــــاء و الفتـــوى:

1. دوره في الـــقضـــاء :

تعتبر خطة القضاء من أشرف الخطط بعد الخلافة، حيث يتولاها قضاة معينون مباشرة من قبل السلطان بعد البحث في كفاءتهم ومؤهلاتهم العلمية[1]، أو يعين شخصية كبيرة من الفقهاء والعلماء الأكفاء لمنصب كبير في القضاء ويـــجعل له توليّة غيره وإنابته عنه في جهات مختلفة من مـــملكته عندما يتوفر فيه ما يشترط عليه[2].

وكان كبير القضاة يسمى **"قاضي الجماعة "** وهو أعلى منصب قضائي، فكان يعيّن في حواضر المغرب الإسلامي من قبل السلاطين بعد توفر الكفاءة والقدرة والمؤهلات العلمية والإدارية فيه[3]، وتنحصر وظيفة **"قاضي الجماعة"** في النظر في الدعاوي والخصومات والفصل في المنازعات في جميع القضايا الشرعية في مركز الدولة وحاضرتها، لذلك كانت الأحكام التي تصدر عنه تكتسي أهمية بالغة، لأنّها تعتبر شبه ملزمة لجميع القضاة في المدن والقرى[4].

وقد أسلفنا الحديث عن توّلية **"الـــمقّري"** هذا الـــمنصب إذ كان ذلك بفاس لـــمدة سبع سنوات على عهد السلطان **"أبـــي عنان المريني"** من سنة(749هـــ/1348م) إلـــى سنة(756هـــ/ 1355م)[5]، حيث توفرت فيه جملة من الشروط والمؤهلات مكنّته من تولي هذا المنصب منها:

- إطلاعه الواسع في ميدان الفقه خاصة العلم بالأحكام الشرعية ويدّل على ذلك مؤلفاته في هذا الميدان.

---

[1]- خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـــ-633هـــ/675هـــ-1253م)**، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص 297.

[2]- شهرزاد رفاف، أبو عثمان سعيد العقباني، ص 42.

[3]- روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج2، ص 136.

[4]- خالد بلعربي، المرجع نفسه، ص 297.

[5]- أبو الأحفان، المرجع السابق، ص 80؛ نصر الدين بن داود ، المرجع السابق، ص205.

- التحلي بالآداب الشرعية مثل النزاهة والاستقامة والتزام الصدق والأمانة والشجاعة والجرأة ونلمس ذلك من خلال ما قام به السلطان "**أبو عنان**" من عزل "**المقّري**" عن منصب قاضي الجماعة بفاس، نظرا لصرامته وقوته وتنفيذه للحق.

- البعد عن التعصب والهوى والمطامع الشخصية، حيث يظهر ذلك من خلال مواقفه وأرائه الإصلاحية[1].

- تنقلاته بين حواضر المغرب الإسلامي كتونس وبجاية وفاس والأندلس، الأمر الذي مكّنه من حضور مجالس غيره من القضاة.

1. 1. طريقته في القضاء:

اشتهر "**أبو عبد الله المقّري**" في قضائه بالحزم والمهارة القضائية، حيث استقل بالقضاء أعظم استقلال فأنفذ الحكم وأعلن كلمة الحق[2]، وصارت الأحكام التي يصدرها يستشهد بها في مختلف القضايا والنوازل، فهي حجّة لصدورها عن عالم حافظ واسع الإطّلاع، له أهلّية الترجيح بين الأقوال.

وقد وصف لنا تلميذه "**ابن الخطيب**" سيرته في القضاء وعدله في إنفاذ الحكم وصبره في تدقيق التحقيق ورزانته في الاستماع إلى الخصوم بكلّ رفقة وحكمة في التحري والبحث عن الحقيقة، بعد أن حضر بعض مجالسه القضائية بفاس فقال: « **فاستقل بذلك أعظم استقلال وأنفذ الحكم وألان الكلمة وآثر التسديد، وحمل الكلّ وخفض الجناح، فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة، حضرت بعض مجالسه للحكم، فرأيت من صبره على اللّدد، وتأتيه للحجج، ورفقه بالخصوم، ما قضيت منه العجب** »[3].

---

[1]- ينظر المبحث الرابع من هذا الفصل، ص 139وما بعدها.

[2]- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 128؛ ابن خلدون، التعريف، ص 62.

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص195 .

وكذا ينقل لنا "**أحمد بابا**" في "نيل الابتهاج"عن "**الونشريسي**" قوله: « **لـــما تولى قضاء فاس قام بأعبائه علماً وعملاً وحمدت سيرته ولـــم تأخذه في الله لومة لائم.** »[1].

كما أبرز "**النباهي**" مكانة "**الـــمقّري**" وثبات شخصيته في أداء وظيفة القضاء وقدرته في تحمل مشقتها فقال: « **كان هذا الفقيه رحمه الله في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبر، قلّما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال ويرجح ويعلل، ويستدرك ويكمل قاضيًا ماضيًا عدلاً جذلاً**»[2].

1. 2. نمـــاذج من أقضـــيتـــه:

فصل القاضي "**أبو عبد الله الـــمقّري**" في مجموعة من القضايا اختلفت مواضيعها، ومن خلال مصادر النوازل والـــمازونية سوف نورد نموذجين من أقضيته:

- **النموذج الأول:** فصل القاضي "**أبو عبد الله الـــمقّري**" في مسألة "تـــحبيس حصة من عقار لا ينقسم" فحكم بما يلي:" بأن يباع جميعه ويبتّاع من ثـــمن نصيب الحبس عوضه حبسًا، وهذا الحكم هو الجاري على مذهب ابن القاسم، وأصله أنّ ما لا ينقسم لا ينقسم بل يباع "[3].

- **النموذج الثانـــي:** طرحت على القاضي "**الـــمقّري**" مسألة "رجل أشهد على نفسه أن طلّق زوجته طلقة صادفت آخر الثلاث، وأنّه حرّمها تحريـــما أبدا، تقديـــما لأصل التأسيس على التأكيد ولا يلزمه ذلك إلا بتقدير التعليق بالنكاح، فوجب تقديره على ذلك تقديرا لأجل الحمل على الفائدة دون العبث، لأنّ أمر النيّة لا يصدق في إرادة غير الظاهر ومن لبسَ على نفسه لبسًا جعلنا لبسه عليه"[4].

---

[1]- ابن مريم، البستان، ص 155؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 420.

[2]- النباهي، المصدر السابق، ص 128.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 446.

[4]- الونشريسي، المصدر نفسه، ج4، ص ص 116-117.

2. فـــتـــاويـــــــه:

تولى "**الـــمقّري**" منصب قاضي الجماعة بفاس، ولـــمع نجمه حتى أصبح كبير علماء المغرب كما أطلقه عليه "**ابن خلدون**"، فكان من الطبيعي أن يقصده الخاصة والعامة بالاستفتاء فيما يعرض لهم من نوازل، وقد حفظت لنا كتب النوازل "كالمعيار" **للونشريسي** و" الدرر المكنونة " **للمازوني** ببعض من فتاويه والتي يـــمكن من خلالها أن نستنتج طريقته في الفتوى ومنهجه في الإجابة.

2. 1. منهـــج الـــمقّـــري في الفـــتـــوى:

كان الإمام "**الـــمقّري**" ينبذ التّعصب لـــمذهب من الـــمذاهب أو لرأي من الآراء دون حجّة، كما كان يدعو إلى ترك المسائل الافتراضية التي لا تنفع الناس وتفتقر إلى دليل تستند إليه، وانطلاقا من ذلك كان منهج "**الـــمقّري**" في فتاويه يتجلى فيما يلي:

- الاعتماد على الدّليل والبرهان والتعليل والتوجيه، حيث كان يحرص على تدعيم أقواله بأدّلة سواء كانت عقلية أو نقليه، فكان بذلك ملتزما بآداب وضوابط المفتي النـــزيه[1].

- احترام أراء العلماء والسابقين له، فلم يتعرض في فتاويه لـــمن خالفه الرأي من المفتين في المسألة بالتخطئة ولا الاعتراض، واكتفى بذكر جوابه وأقصى ما يذكره قوله :"**فخالفته**"[2] .

- الالتزام بمذهب الإمام "**مالك**"، حيث التزم في الغالب من فتاويه بالمشهور و المعتمد في المذهب، ليس تعصّبا منه للمالكية وإنما تثبتا منه وتحقيقا للأقوال الراجحة والصحيحة وإتباعه للحق أينما كان، تطبيقا منه لمنهج الفتوى وعملا بقول العلماء :"**لا تجوز الفتوى بغير المشهور و المعتمد في المذهب**"[3].

---

[1]- سعاد رياح، **منهج الإمام الـــمقّري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ،2007،ص 256.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص 196، وج2، ص60.

[3]- سعاد رياح، المرجع نفسه، ص 257.

- اعتماده على المصادر الأصلية كمورد للفتوى، لاسيما تلك التي لها قيمة علمية كبيرة والتي هي لأئمة لهم مكانتهم العلمية، إضافة إلى اعتماده على مصادر عديدة ونقله منها أقوالا لكبار الفقهاء في معظم المسائل التي يذكرها.

- ومـــما يلاحظ وهو ينقل هذه الأقوال أنّه لـــم يكتف بالنقل فحسب بل كان كثيرا ما يدلي برأيه المستقل في المسألة ويعلّق عليها ويرجح ما يراه صوابا[1].

- اتصافه بالأمانة والعمق في البحث والتحقيق والتّحري[2]، حتى كانت كل هذه الصفات هي السّمة الغالبة على فتاويه وأرائه مـــما يضفي عليها قوة ومصداقية ولهذا قال عنه "**النباهي**": «**كان هذا الفقيه في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر...** »[3].

- التزامه بضوابط الفتوى وآداب المفتي في فتاويه، حيث لم يكن مائلا في الفتوى مع المستفتي أو متساهلا معه لإرادة الباطل، بل كان صريحا جاهرا بالحق جريئا مقدّما للجواب الذي يرى فيه إحقاقا للحق ولو فيه تغليظ للسائل إن اقتضى الأمر معه ذلك[4].

إضافة إلى ما تـــميز به منهج "**الـــمقّري**" في الفتوى، فقد كان يلجأ دائما في تقرير الأحكام إلى الاستدلال مستندا في ذلك على:

- **الـــقرآن الـــكريـــم والسنّـــة النبويـــة**: فكان أول ما يعتمد عليه **أبو عبد الله المقّري** في الاستدلال نصوص الوحي القرآني من كتاب الله ومن ذلك استدلاله بالآية الكريمة "**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**"[5]، كما كان يستدل بسنّة نبّيه صلى الله عليه وسلم، فقد استشهد بها في مواضع كثيرة من فتاويه وأرائه مـــمّا يدل على تمسكه بالسنّة وفهمه لـــمدلولها، ومن ذلك استدلاله بحديث ": "**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً**

---

[1]- في تعليقه على قول ابن الحاجب في مسألة الوصية بالثلث، الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 270.

[2]-بإحالته على التأمل فيما فيه نظر من استدلاله وتحقيقه لقول ابن الحاجب في التدبير، كما بيّن ذلك ابن مرزوق في الانتصار له عندما رد على الغبريني حول تعقيبه له في هذه الفتوى، الونشريسي، نفسه،ج3، ص 270.

[3]- النباهي، المصدر السابق، ص ص 169- 170.

[4]- سعاد رياح، المرجع السابق، ص 258.

[5]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 187.

وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ " قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ :"فَمَنْ؟"[1]، وذلك عند إنكاره عن أهل زمانه، تعيّنهم الذابح على الجزارين[2].

- **القياس** :كان يستعمل القياس في بعض الأحيان عندما ينعدم النص الذي يستند إليه في استنباط حكم النازلة مثل مسألة "الجلوس على الحرير"، فحكم بالجلوس على الحرير مثل لباسه، إذ اللّباس يراد به التغطية والافتراش فقال: « **كلا الأمرين سمي لباسًا** » واستدل بالآية الكريمة السابقة[3].

كما أنّه كان يرجع إلى مقاصد الشريعة المستفادة من نصوص الكتاب والسنّة مما شرع ليستدل بها على الحكم المستنبط، ومن ذلك قوله: « **بجواز بعض لأنّها تحقق مصلحة وينتفي فيها الضرر**».

- **العرف والعادات السائدة:** كان يستدل بالعرف والعادة السائدة التي لا تخالف نصًّا من كتاب الله وسنّة نبّيه أو أصلا من أصول الشريعة، فكان يتحرى الدّقة والحذر فيما ينتشر بين الناس من العادات، حتى أنّه كان لا يسلم بما ينتشر بينهم على أنّه من خوارق العادات لتضليل الناس ومن ذلك قصة المرأة التي وردت تلمسان في القرن الثامن الهجري وتدّعي أنّها لا تأكل ولا تشرب، فأنكر "**المقّري**" وطلب التّثبت من أمرها وشدة التحّري لأحوالها[4].

وما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ فتاويه كانت تنطلق من أسئلة موجّهة إليه ومسائل تعرض أمامه يكون نصّها قصيرا تارة وقد يطول أحيانا أخرى ويختلف أسلوبها بين البساطة في الطرح وبين الدّقة والرجحان، أما الجواب فيتميز هو الآخر بالطول تارة وبالقصر تارة أخرى

---

[1]-- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة، ص 850.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 126.

[3]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 187.

[4]- أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص 305.

حسب ما يقتضيه السؤال وحال السائل، والتزم بإيضاح الفتوى للسائل بما يفيد وزيادة موضحا له ذلك غاية التوضيح، ويعود ذلك إلى مستوى المستّفتى وهذا دليل على التزامه بآداب الفتوى.

2.2. نـــمـــاذج من فـــتـــاويـــه :

يظهر من خلال مصادر النوازل مثل "الـــمعيار" و"الدرر المكنونة"، أنّ موضوعات فتاويه كانت عبارة عن مسائل شغلت الأوساط العامة من مجتمعه، الأمر الذي دفعهم إلى الاستفتاء في مواضع مختلفة، ومن المواضيع التي تضمنّتها فتاويه هي الموضوعات الفقهية من عبادات وطهارة وصلاة وزكاة ونكاح وطلاق، وكذلك أبواب المعاملات، وكان للعادات والبدع المنتشرة حظ في فتاويه، ومن بين فتاويه نذكر:

- فتوى "**الـــمقّري**" لـــ "**أبي عنان**" "**عمن لزّمته يمين على نفي العلم فحلف جهلا على البتّ، هل يعيد اليمين أم لا ؟**".

فكان نصّ فتوى "**الـــمقّري**": « أجبته بإعادتها، بعد أن أفتوه من حضره من الفقهاء بأن لا تعاد لأنّه أتى بأكثر مما أمر على وجه يتضّمنه، فقلت: اليمين على وجه الشك غموس، قال "**ابن يونس**": والغموس الحلف على تعمد الكذب أو على غير يقين، ولاشك أنّ الغموس محرّمة منهي عنها والنهي يدل على الفساد، ومعناه في العقود عدم ترتب أثاره عليه فلا أثر لهذه اليمين ويجب أن تعاد، وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن أدّتها السكوت فتكلمت:هل يـــختبر بذلك والأجزاء هنا أقرب لأنّه الأصل والصمات رخصة لغلبة الياء، فإن قلت: البت أصل ونفي العلم إنّما يعتبر عند تعذره »[1].

- فتوى "**الـــمقّـــري**" "**فيمن أوصى بثلث ماله واشترط أنّه لا يرجع في وصيته**".

فكان جواب "**الـــمقّري**": « بطلان الوصية التي أوصى بها رجل عند سفره لـــمن أسلفه مع اشتراط عدم الرجوع فيها، وذلك لأن السّلف إذا كان للوصية فقد جرّ نفعا، وإن

[1]- الونشريسي، المعيار المعرب، ج10، ص310؛ أبو زكرياء المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق حساني مختار، مج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004، ص335.

كان قبلها فهو هدية مديان، وكلاهـــما منهي عنه، والنهي يدل على الفساد إلا بدليل، والأصل عدمه، ومعنى الفساد في العقد عدم ترتب أثره عليه وهذا ما يوجب بطلان الوصية أصلا، فكيف بعد الرجوع فيها»[1].

- فتوى "**الـــمقّري**" "**بثبوت الشّرف من جهة الأمّ**" وهي مسألة وقع فيها خلاف بين فقهاء عصر"**المقّري**"، فكان له فيها موقف وسط بين الطرف المثبت للشرف والطرف النافي له.

ونص فتوى "**الـــمقّري**" في هذا هو كالتالي: « اختصاص اسم الشّرف بـــمن لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ولادة حادث بعد مضي ثلاثة من القرون المثنى عليها، والحكم على الشيء فرع عن تصوره وهذا لا يتحقق فإن كان اسما لسبب الولادة منه بالأم اعتبارا بأصله، إذ لا ولادة له على أحد إلاّ بذلك لقوله تعالى:"**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ**"[2]، وبذلك أفتى فقهاء بجاية الذين درجوا من أهل زماننا وإن كان اسما لرجوع النسب إليه لـــم يثبت بها، لأنّه في الأصل على خلاف الأصل فلا عليه، وبه أفتى فقهاء تونس ممن ذكر، وكان الأول أقرب لولا أنا نسمع فيما مضى بدخول أحد من ولد بنات علي وغيره في ذلك مع ولد بنيه، حتى وقعت المسألة بتلمسان فاختلف فيها فقهاؤها وكتبوا إلى غيرهم فوقع الأمر على ما ذكرت لكم و لم يتحقق مدلوله فتلحق به وقوله عليه السلام :" **ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ** "[3] أولى من قول الشاعر :

بنونـــا بنـــو أبنائـــنا وبناتـــنا بنوهنّ أبـــناء الرجـــال الأباعـــد»[4].

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص 268؛ الـــمازوني، المصدر السابق ،ج3،ص 261.

[2]- القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 40.

[3]- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الصلح، باب الصلح في الدّية، ص 315.

[4]- الونشريسي، المصدر نفسه، ج12، ص 226.

ثالثا : دوره في إصلاح أوضاع عصره من خلال أرائه الإصلاحية:

1. آراؤه الإصلاحيـــة:

تـــميز الإمام "**أبو عبد الله الـــمقّري**" بنظرة ثاقبة وأفق واسع، إذ كان ينظر إلى مشاكل عصره –لاسيما العلمية – منها باهتمام بالغ، معالـــجا لكثير من القضايا، متجها للعادات التي سادت عصره بالنّقد البنّاء الذي يدّل على عمق تفكيره وروحه الإصلاحية الغيورة على تعاليم دينها وقيّم مجتمعها بأسلوب بليغ مؤثر وعبارات في قمّة البيان.

وسنحاول عرض بعض أرائه الإصلاحية وكيف تناولـــها بالنقد، وكيف عالج بها أوضاع عصره؟.

- **رأي الـــمقّـــري في طـــرق تـــحصيل الـــعلم والـــدراســـة:**

مـــمّا لاشك فيه أن الرّحلة العلمية التي قام بها "**أبو عبد الله الـــمقّري**" قد تركت أثرها في شخصيته كغيره من أعلام عصره وذلك لاستفادته منها، فكان يرى أنّه ينبغي على طالب العلم القيام بها لأنّها تجعل الإنسان حرا في تحصيل العلم والاستزادة منه واكتمال فوائده بلقاء المشايخ ومباشرتهم وسماع العلم مشافهة من كبار العلماء، و بناءا على ذلك استنكر كثرة التأليف وبناء المدارس التي انتشرت في عصره، إذ كان يرى أنّـــهما قد شغلا طلاب العلم عن الرحلة في طلبه وأقعدهم عن تحصيله، وهو في ذلك يـــحنو منحى شيخه "**الآبلي**" الذي عارض اتخاذ المدارس التعليمية وكثرة التآليف[1]، حيث يقول "**الـــمقّري**" في ذلك على رأي شيخه : «ســـمعت الشيخ الآبلي يقول: إنّما أفسد العلم كثرة التواليف، وإنّما أذهبه بنيان المدارس... »[2]، ثم يضيف معلّلا موقفه: «...إنّ التآليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم إلا النـــزر اليسير لأنّ عنايته على

[1]– ابن مريم، البستان، ص 217؛ قدور وهراني، **الأبعاد الفكرية والسياسية لموقف الآبلي من اتخاذ المدارس بتلمسان**، مجلة الفكر الجزائري، ع 4، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية،تلمسان، ديسمبر 2009، ص 179.

[2]– الونشرسي، المصدر السابق، ج2، ص479؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 414؛ أحمد المـــقّري، نفح الطيب، ج5، ص275.

قدر مشقته في طلبه، ثم يشتري أكبر ديوان بأبـــخس الأثـــمان فلا يقع منه أكبر من موقع ما عوّض عنه فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر»[1].

ويقصد من ذلك أنّ على قدر المشّقة والجهد يأتي التحصيل، والمدرسة تسهيل لطالب العلم وتخـــفيف له فهي تقلّل من المشقة، فلا يحس الطالب فيها بقيمة ما يتلقاه[2].

كما بيّن "**الـــمقّري**" سبب إنكاره للمدارس بأنّها تجذب الطلبة بكثرة نتيجة الإغراءات والجرايات التي تقدم لهم من قبل الدولة والأوقاف و أنّهم لا يأخذون العلم إلاّ من العلماء الذين لهم علاقة بالسلاطين، إذ يعنيهم في هذه المدارس هؤلاء السلاطين وهو يرى أيضا بأن إشراف الدولة على هذه المدارس يجعل الدارسين يتقيدون بالاتجاه العام والرسمي لها ولا يمكنهم الحياد عن ذلك[3]، حيث يقول في ذلك: « أما البناء فإنّه يجذب الطلب إلى ما يترتب فيه من الجرايات فيقبل بهم على من يعينه أهل الرياسة للأُجَرَاءِ والأفراد منهم أو من يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك، وإن دعوا لم يجيبوا وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم»[4]، وقد أيده في ذلك "**أحمد بابا**" أيضا ملاحظا أنّ كراسي التدريس أسندت إلى غير أهلها فضعف المستوى العلمي[5].

فالواضح أنّ "**الـــمقّري**" كان يخشى تدارس العلم وذهاب إشعاعه بزوال الرحلة العلمية، بسبب انتشار التآليف وتعدد المدارس في ذلك على حساب الرحلة في طلب العلم، والسعي في طلبه للاستفادة من كبار العلماء في المشرق والمغرب، وفي هذا يسير "**ابن خلدون**" على نهج أستاذه "**الـــمقّري**"، حيث يرى هو الآخر أنّ كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل وأنّ الرّحلة ضرورية لذلك[6].

---

[1]- الونشرسي، المصدر السابق، ج2، ص479؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 414.

[2]- قدور وهراني، المرجع السابق، ص 221.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 382.

[4]- الونشرسي، المصدر نفسه، ج2، ص479؛ أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص275.

[5]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص 414

[6]- ابن خلدون، المقدمة، ص 478.

فيظهر أنّ نظرة "**الـــمقّري**" كانت تركز على الجانب السلبي لانتشار التأليف وتعدد المدارس، لكن في الواقع لا يمكن تجاهل الدور الذي أدته التأليف والمدارس في نشر العلم وازدهار الحركة العلمية.

- **النقـــل عن غيـــر المعتمد من المختصرات:**

من الأمور التي كان لها انتشار واسع في عصر "**الـــمقّري**" كثرة التآليف المختصرة والنقل من المختصرات التي لا يُعرف أصحابها، والجدير بالذكر أن ظاهرة انتشار المختصرات والموجز ظهرت في بلاد المشرق بكثرة المؤلفات الفقهية وغيرها، فالتزم الفقهاء بالاختصار وتوسعوا في تصنيف المتون والحواشي والمختصرات التي يحفظها الطالب عن ظهر قلب، فيها من الإيجاز ما يـــخل بالمعاني ويزيدها غموضا[1].

فاستنكر "**الـــمقّري**" ما كثر في عصره من النقل من الكتب المختصرة لمؤلفين غير معروفين، حيث يقول في ذلك مجليا عن رأيه: « ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها...، ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تنفذ من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها... »[2].

فقد كان لا يرى في كتب المختصرات بديلا عن كتب الأمّهات المعتمدة في المذهب، وذلك لأنّ المبالغة في اختصارها جعل منها رموزا وألغازا يصعب فكّها، ولذا حذّر طلبة العلم منها في عصره – الذين أنكبو على هذه المختصرات حفظا وفهما– من أن يستّمروا في ذلك حتى لا يفنّوا أعمارهم في حلّ ألغازها وفهم رموزها دون تحصيل علم نافع، وأن يرجعوا إلى أخذ العلم من أصوله المعتمدة وفي هذا الصدد يقول: «...اقتصروا على حفظ المختصرات ما قلّ لفظه، ونزر حظه، وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه، وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى ردّ ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلاً عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح، بل هو حل مقفل وفهم

[1]– عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص 381؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص 361.

[2]– الونشريسى، المصدر السابق، ج2، ص ص 479-480.

أمر مجمل، ومطالعة وتقييدات، زعموا أنّها تستنهض النفوس فبينما نحن نستكبر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ، أتيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ »[1].

ويتضح من خلال حديث "**الـــمقّري**" أنّه يستحيل فهم هذه المختصرات إلاّ إذا توفرت لها شروح وحواشي وهوامش، فقد توفرت هذه الكتب بكثرة وهي متفاوتة القيمة، وصارت تعد خطرا بالنسبة للفقه لابتعادها عن التعمق في البحث والاجتهاد من جهة، ولضعف الروح النقدية من جهة ثانية[2].

والجدير بالتنويه أنّ رأي "**الـــمقّري**" هذا حلّ محلّ الرضا والقبول عند مجموعة من العلماء، فكان أن أثبتوها في مؤلفاتهم وفي مواضع مختلفة[3]، كما كان لها أثر في تلامذته منهم "**ابن خلدون**" الذي يقول عن المختصرات ومؤلفيها: « قصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبا بقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها»[4]، وكذا تلميذه "**الشاطبي**" الذي ينصح باعتماد كتب المتقدمين دون غيرها من الكتب المتأخرة لأنّها كما يقول : « أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم على أي نوع كان وخصوصا علم الشريعة، الذي هو العروة الوثقى والوزر الأحمى »[5].

- **ذمّـــه للتعصـــب المذهبي :**

التعصب لمذهب من المذاهب ظاهرة برزت في بعض العصور واستفحل شأنها في عصر "**الـــمقّري**"، كما ظل بعض الفقهاء المحافظين على الفروع يعتمدوا على النقل الحرفي لآراء السابقين، الأمر الذي حمله على التحذير من هذه الظاهرة وبيان أخطارها[6].

---

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 480.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 381؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص 361.

[3]- الونشريسى، المصدر نفسه، ج2، ص 479؛ السراج، الحلل السندسية، ج3، ص 619.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص 472.

[5]- الشاطبي، الموافقات، ص 58.

[6]- أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص 82.

فقد كان رغم مالكيته بعيدا عن التعصب لمذهبه، متبعا الحق أينما وجد بالحجة والبرهان ويظهر ذلك من خلال قوله: « فترى الرجل يبذل جهده في استقصاء المسائل وسيتفرغ وسعه في تقدير الطرق وتحرير الدلائل، ثم لا يختار إلا مذهب من انتصر له وحده لمحض التعصب له مع ظهور الحجة الدامغة »[1].

فقد ندّد بالتقليد والتعصب كونه معصية لابتعاد العالم عن الحق معرضا عن الحجة تعصبا منه للمذهب الذي ينتمي إليه[2]، وتصدى لبعض المواقف التقليدية المتّزمتة التي سادت عصره كظاهرة الجنوح إلى الأقوال المنقولة والفتوى بما أفتى به السابقون، حيث يقول محذرا من ذلك في موضع آخر: « واعلم أن أصل التقليد هو المعصية التي هي كالطبع لهذا النوع لأنه غلب عليه حبّ الخيال والوهم وقلّ فيه طاعة العقل والفهم »[3].

وقد بيّن "**الـــمقّري**" ما يؤدي إليه التعصب المذهبي من نتائج غير مرضية وعواقب وخيمة والتي تتمثل في قدح بعض العلماء وغيبتهم وحتى إلى تكفير وتفسيق البعض الآخر، وفي هذا خطر الابتعاد عن صفوف المسلمين، وفي ذلك محاولة منه إلى تغيير هذا الفكر ووضع حد لهذه الظاهرة الخطيرة، إذ يقول: «حتى أفضى إلى اغتياب ميتٍ وإغضاب حيٍ، ثم إلى اختلال الدليل وتكليف التأويل، ثم إلى التفسيق والتكفير، والدخول في أمور التخليص منها عسير »[4].

ولم يكتفي بالتنديد به بل وضع له قاعدة في كتابه "**القواعد**"[5] تؤكد على خطورته ووضع حد له.

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 483.

[2]- سعاد رياح، المرجع السابق، ص 241.

[3]- الونشريسي، المصدر نفسه، ج2، ص 484.

[4]- الونشريسي، نفسه ،ج2، ص 484.

[5]- أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج2، ص ص 397- 399، القاعدة رقم 149.

- **رفضـــه الاحتجاج بعمل أهـــل قـــرطبـــة:**

لاحظ "**الـــمقّري**" في بيئته المغربية اعتماد بعض علماء الأندلس والمغرب عمل أهل قرطبة- أي أن يكون الحكم بقضاء قرطبة - وجعلوه مسلكا للاحتجاج به، حيث ورد في أحكام بعض القضاة قولهم: « **هذا ما جرى به عمل أهل قرطبة** »[1].

فقد رفض "**الـــمقّري**" هذا الرأي واستنكره، إذ اعتبره جمودا يقضي على تعاليم الإسلام بالتبديل والتغيير فيه حتى لا يبقى منه إلاّ القول دون العمل، فجاء عنه في ذلك قوله: « وعلى هذا الشرط ترتب إيجاب إتباع عمل القضاء بالأندلس ثم انتقل إلى المغرب، فيما نحن ننازع الناس في عمل المدينة، وتصيح بأهل الكوفة مع كثرة من نزلها من العلماء الأمة مثل "**علي**" و"**ابن مسعود**" ومن كان معهما :ليس التكحل في العينين كالكحل، سنح لها بعض الجمود ومعدن التقليد: **الله أخّـــر موتي فتأخـــرت حتى رأيت من الزمـــان عجائبـــا**».

فالـــواضح أنّ "**الـــمقّري**" كان يرى بأنّ هذا المسلك وما فيه من الجمود يجعل العادة تحل محلّ الشرع والدّين الصحيح، وفي هذا خطر على الإسلام وأهله[2]، فيقول في ذلك رغبة منه في تغيير الوضع: «يا لله ويا للمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها، و لم يبرح من الناس جهلها ...ألا ترى خصال الجاهلية ...مما نهي عنه وحذّر منه، كيف لم تزل من أهلها وانتقلت إلى غيرهم مع تيسر أمرها، حتى كأنّهم لا يرفعون بالدّين رأسا، ويجعلون العادات القديمة أسّا »[3].

وبناء على موقف "**الـــمقّري**" هذا، فقد استنتج بعض الباحثين أنّه كان يدعو من خلاله إلى إحداث عمل خاص يناسب الأوضاع الاجتماعية لبلاده مع التزام أسس المذهب المالكي، ولكن دعوته لم تؤت أكلها إلا بعد وقت طويل[4].

---

[1]-أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص 83؛ سعاد رياح، المرجع السابق، ص 244.

[2]- سعاد رياح، المرجع نفسه، ص 245.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 482-483.

[4]- أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 154.

- **رأيه في الانحراف السياسي وبعض البدع والعادات السائـــدة:**

ما يلاحظ على "**أبو عبد الله الـــمقّري**" أنّه كان ينظر إلى واقع عصره بحدب واهتمام محاولا إصلاحه مما أصابه من البلاء ومن ذلك الانحراف السياسي، حيث يظهر هذا من خلال ما أبداه من آراء إزاء الملوك والسلاطين الذين لم يسلكوا بالمسلمين طريقة الجادة، فقد كان بعضهم يجمع حوله العلماء ويجزل لهم العطاء ويقتنصهم بذلك اقتناصا للتباهي، وكان هؤلاء العلماء يتهافتون على أبواب السلاطين والحكام طمعا في عطاياهم، وهم شرّ العلماء كما وصفهم "**الـــمقّري**"، إذ تناسوا رسالتهم الحقيقة إزاء هؤلاء الملوك في تقديم لهم النصح والإرشاد، مقارنا بينهم وبين علماء السلف فقال في ذلك: « **واعلم أنّ شرّ العلماء علماء السلاطين، وللعلماء معهم أحوال** »[1].

فكان "**الـــمقّري**" ينظر إلى ما يجري في الأمة من مفاسد وانحرافات أنّها قد تكون مما قصّه القرآن والأخبار من أمر اليهود والنصارى و أنّه لولا انقطاع الوحي لنزل في هذه الأمة أكثر مما نزل فيهم، لكثرة التفرق والتنازع، فيقول: «**وقد قصّ علينا القرآن و الأخبار عن أمرهم ما شهدنا أكثر منه فينا ...يشير إلى افتراق هذه الأمة على أكثر مما افترقت عليه بنوا إسرائيل** »[2].

كما استنكر بعض البدع والعادات السيئة الجارية آنذاك لخروجها عن المنهج الإسلامي ومن هذه البدع:

- **عادة تعيين الذابح على الجزارين:** مقابل أجر ولا يسمح بذلك لغيره، فيقول: « من البدع المستحسنة عادة المستقبحة عبادة، تعيين الذابح على الجزارين واختياره من أهل الدّين والفضل وحملهم عليه حتى إنّ من تولى الذبح لنفسه منهم ولو كان من أهل الخير يخاف العقوبة...»[3].

---

[1]- الونشريسى، المصدر السابق، ج2، ص 480- 481.

[2]- الونشريسى، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]- الونشريسى، نفسه، ج11، ص 126- 127.

فقد اعتبر "**الـــمقّري**" ذلك تضييقا على الناس وشبّهه بفعل اليهود الذين يحصرون الذبح على كهنتهم، فشدّدوا على أنفسهم وعلى غيرهم، مستدلا بقوله صلّى الله عليه وسلّم: "**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ "قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى قَالَ :"فَمَنْ"**[1]، فهو في ذلك يحذر المسلمين من تقليد غيرهم من اليهود والنصارى التقليد الأعمى، دون نظر أو روية، ثم يدعوهم إلى التّحلي بروح الشريعة السمحة القائمة على اليسر ورفع الحرج عن الناس.

- ومن البدع التي ثار عليها "**الـــمقّري**" أيضا ورام تغيير منكرها **إجماع الطلبة في فاس في بعض المساجد على الرّقص وضرب المعازف والمبادرة بختم القرآن قبل الفجر** .

فقد استنكر استخفاف الأمة وعدم تعظيمها لشعائر الله خاصة الصلاة، التي تجرأ عليها هؤلاء بإدخال الإيقاع في التكبير عند التسميع، فخرجوا بها عن هيئتها وقد سُكتَ لهم قبل هذا عن اللعب في الآذان فتجرءوا و لعبوا في الصلاة[2] فيقول في هذا: « وقد بلغني عن بعض مساجد فاس، أنّ الطلبة يجتمعون في حصونها على الرّقص وضرب الصيران...استخفوا اللعب في الآذان، فجرأهم على اللعب بالصلاة والقرآن، وربّ فتنة فادت محنة... فترى المسمع يطوّل في تكبيرة الإحرام ثم ينوع صوته بالتكبير بحسب اختلاف هيئات الإمام، وقد يكبّرون من غير حاجة إما لقصد القربة أو لإظهار الأبهة، سكت لهم عن اللعب في الآذان فلعبوا في الصلاة » [3].

- واستنكر أبو عبد الله "**الـــمقّري**" استنكارا شديدا عادة نداء الملوك بـــ:"**يا مولاي**"، رغبة منه في تغيير منكرها .

فكان يرى أنّها عادة يتنافى لفظها مع ما يحب الله تعالى من نداء ولا يجد المرء معه ما ينادي به ربّه مستدلا بعدة أحاديث تنهى عن ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم:" **لا يقل**

[1] - أبو عبد الله البخاري، المصدر السابق، ص 850.

[2] - الونشريسي، المصدر السابق ، ج2، ص 266-267.

[3] - الونشريسي، المصدر نفسه ،ج 2، ص ص 266-267.

العبد لسيده مولاي فانّ مولاكم الله"[1]، فهو يرى أنّ تعليم بعض العلماء أبناءهم أنّ ينادوهم بسيدي ومولاي من قبيل تحسين الشيطان وفيه استكبار على الولد وتنزيل له منزلة العبد فيقولّ: « الواجب توقير أسماء الرّب بالتفرد حتى يرد الإذن البيّن، والوقوف عند موجب العلم والعمل »[2].

إضافة إلى هذا فقد أورد "**الشاطبي**" في إفاداته وكذا "**أحمد الـــمقّري**" في نفحه رأيا آخر من أراء "**الـــمقّري**" وهو عادة المشارقة في التسمية **بقاضي القضاة** [3]، حيث انتقد "**الـــمقّري**" ذلك مستدلا بقول النّبي صلّى الله عليه وسلّم :" **أَخْنَعُ الأَسْـمَاءِ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ**"[4] [5].

[1]- مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، مراجعة فؤاد عبد الباقي، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1954، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد، ص1765.

[2]- الونشريسى، المصدر السابق ،ج2، ص 506- 507.

[3]- قاضي القضاة أرفع وظيفة دينية ينفذ صاحبها القضايا ويشرف على القضاء وتعيين القضاة، وقد ظهر هذا المنصب لأول مرة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ببغداد سنة 170هـــ، خالد بلعربي ، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية، ص 297.

[4]- أبو عبد الله محمد البخاري، المصدر السابق، ص 729.

[5]- الشاطبي، الإفادات والإنشادات،ص 161-162، الإفادة رقم 87؛ أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص 270.

2. مـــواقـــفـــه:

قد أثر عن "**الإمام أبو عبد الله الـــمقّري**" بعض المواقف التي سجلّتها كتب التاريخ وتناقلها المؤلفون وأثّرت على غيره من الشخصيات العلمية، لما لها من فوائد، ففي الواقع كان شجاعا في الإعلان عمّا يراه صوابا، وهذه من بعض الصفات التي تميز بها[1].

وقد أورد "**الـــمـــقّري**" نفسه في مؤلفاته الكثير من مواقفه سواء مع شيوخه أو مع خاصة المجتمع، كما أورد مواقف شيوخه مع أقرانه وشيوخهم[2]، وسنحاول هنا عرض بعض مواقفه:

2. 1. مـــوقـــف "الـــمقّري" مع نـــقيب الأشـــراف بـــفـــاس:

سبق وأسلفنا الـــحديث عن دور "**أبي عبد الله الـــمقّري**" في نشر العلم بحواضر المغرب الإسلامي والتي كان منها حاضرة مدينة فاس التي كان يحضر بها مجلس السلطان "**أبي عنان**".

والجدير بالتنويه أنّه كان إذا دخل مزوار الشرفاء بفاس[3] هذا المجلس، قام له السلطان وجميع من في مجلسه إجلالاً له ما عدا "**الـــمقّري**"، الأمر الذي ترك أثرا في نفس المزوار، حيث قام بشكاية "**الـــمقّري**" إلى السلطان، هذا الأخير كان أن ردّ عليه قائلا: «إنّ هذا الفقيه وارد علينا، نتركه على حاله إلى أن ينصرف ». وكان أن عاد المزوار مرة أخرى ودخل الـــمجلس، فقام له السلطان ومن معه كالمعتاد، ما عاد "**الـــمقّري**"، فالتفت المزوار إليه قائلا: « أيّها الفقيه مالك لا تقوم لي إكراما لجدّي وشرفـــي، ومن أنت حتى لا تقوم لي»، فنظر إليه "**الـــمقّري**" وأجابه على عدم القيام له كما يفعل السلطان وجميع من في المجلس قائلا: « أما شرفـــي فمحقّق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد، وأمّا شرفك فمظنون، ومن لنا

---

[1]- ينظر الفصل الأول، ص64 وما بعدها.

[2]- أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص 12-86.

[3]- كبيرهم الذي يقصد بالزيارة، أبو عبد الله الـــمقّري، القواعد، ج1، ص 92.

بصحّته منذ أزيد من سبعمائة عام ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا- وأشار إلى السلطان أبي عنان- وأجلسناك مجلسه، فسكت المزوار»[1].

وهذا الموقف إن دلّ على شيء فإنـــما يدّل على اعتزازه بشرفه العلمي من جهة، وشجاعته وقدرته في الإبداء عن رأيه من جهة ثانية.

2. 2. الـــمقّري والسلطان أبو عنان أثناء شرح حديث "الأئمة من قريش":

كان من عادة السلطان "**أبو عنان الـــمريني**" قراءة بعض كتب الحديث منها "**صحيح مسلم**" بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم، ومن ثم يتولى "**الـــمقّري**" شرحها، وحدث أن وصل في شرحها إلى قراءة حديث "**الأئمـــة من قريش**"، فقال الناس: « إن أفصح بذلك استوغر قلب السلطان وإن وري وقع في محضور فجعلوا يتوقعون ذلك »، فلما وصل إلى شرح الحديث قال بحضرة السلطان والجمهور: « **إن الأئمة من قريش**» ثلاثا، وقال بعد كل كلمة: « **وغيرهم متغلب**»، ثم نظر إلى السلطان وقال: « **لا عليك فإنّ القرشي اليوم مضنون، أنت أهل للخلافة إذ توفرت فيك بعض الشروط والحمد لله** »، ولّما انصرف لمترله بعث له السلطان ألف دينار[2].

[1]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 426؛ أحمد الـــمقّري، نفح الطيب، ج5، ص 281.
.Ch.broseelard ,op.cit, p403.

[2]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص 426.

2. 3. الــمقّري مــع شيخــه ابــن الــحكم:

تذاكر "**الــمقّري**" يوما مع شيخه "**إبراهيم ابن حكم السلوى**" في تكملة "**محمد بن محمد بن مالك**"[1] لشرح التسهيل لأبيه، ففضّل "**أبو عبد الله الــمقري**" شرح الأب على تكملة الابن، وخالفه شيخه مفضلا تكملة الابن، فــقــال "**الــمقّري**" على الــبديــهة:

عــهــود مــن الآباء تــوارثــهــا الأبــنــا

فــردّ عــليــه شيخــه بــديهــة أيضــا:

بــنــوا مــجدهــا لــكن بنــوهــم لــها أبــنى[2].

من خلال هذه المواقف **لـ"الــمــقّري"**، يتضح جليّا تكامل شخصيته العلمية والتي تتوفر فيها الشجاعة والــجرأة، فقد اتصف بقوة الشخصية في إبداء الرأي سواء مع السلطان "**أبي عنان**" أو مع شيخه "**ابن الحكم**" وحتى مع "**نقيب الأشراف**".

[1]- هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك نحوي، ابن ناظم الألفية محمد بن مالك ، له شرح على ألفية والده و"المصباح " في علوم البلاغة وسواها توفي سنة 686هـ/1287م، ابن ثغري البردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 373؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص 96؛ أحمد الــمقرّي، نفح الطيب، ج2، ص ص 233-234.

[2]- أحمد الــمقّري، أزهار الرياض،ج5،ص 37.

خاتمة

خاتمـــــة:

أقدِّمُ في ختام هذا العمل الذي تناولت فيه موضوع " **أبو عبد الله المقّــري ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي** " أهم الاستنتاجات المتوصّل إليها متبوعة ببعض الملاحظات:

إنّ القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي هو العصر التاريخي لشخصية **أبو عبد الله محمد المقّري**، وقد شهد هذا العصر بتلمسان عاصمة الدولة الزيانية ومسقط رأس المقّري وبحواضر المغرب الإسلامي التي ارتحل إليها تحولات عميقة في مختلف الجوانب.

فقد كانت الحياة السياسية والاجتماعية للدولة الزيانية في أغلب الفترات التي عايشها المقّري متميزة بالاضطراب والفتن، حيث شهدت المنطقة فترات ضعف وهيمنة أجنبية بسبب ما أصابها من هجمات الدولة الحفصية من الشرق والدولة المرينية من الغرب، هذه الأخيرة التي سيطرت على المنطقة مدة تنيف عن 12سنة (737هـــ/1337م إلى 749هـــ/1349م)، إضافة إلى ذلك الفتن الداخلية بسبب التنافس على العرش مثلما حدث بين "**أبي حمو موسى الزياني**"(707-718هـــ/1308-1318م) وابنه "**أبو تاشفين عبد الرحمان**"(718-737هـــ/1318-1337م) .

الحالة العلمية بالمنطقة لم تأخذ نفس منحى الحياة السياسية، فعدم توفر الاستقرار السياسي لم يؤثر على الازدهار الثقافي، إذ تميزت الحياة الفكرية في القرن الثامن الهجري بنشاط ثقافي مستمر بتلمسان وحواضر المغرب الإسلامي كفاس وتونس وبجاية وغرناطة، ويعود ذلك إلى التنافس العلمي والثقافي الكبير بين ملوك المغرب الإسلامي وحرصهم على توفير شروط النمو الثقافي كتشجيعهم للعلماء وطلبة العلم. فضلا عن الرحلة في طلب العلم والاحتكاك بالعلماء الوافدين، فكان من نتائج ذلك انتشار المؤسسات التعليمية بتلمسان كمدرسة "**ابني الإمام**" التي كان "**أبو عبد الله المقّري** "من ألمع طلبتها واستفاد ممن درّس بها من الأعلام، كما تطورت مختلف العلوم العقلية والنقلية، وتبعا لهذا تزايد عدد العلماء والطلاب بالمنطقة، الذين كانوا

يتنقلون بكامل الحرية بين الحواضر الإسلامية، مما أتاح فرصة التلاقح والحوار والمناظرة والتعمق في البحث والإقبال على الدراسة مختلف المؤلفات لاسيما الفقهية منها.

كل ذلك كوّن المناخ العلمي الذي استفاد منه مترجمنا "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، زيادة على كونه ينحدر من أسرة تميزت بالعلم والمجد والثراء عندما احتضنته في طفولته وشبابه، مما ساهم في نشأته نشأة دينية وحريصا على طلب العلم.

إلى جانب الإرهاصات الأولى التي ساهمت في تكوين الشخصية العلمية **للمقّري**، فإنّ الرّحلة العلمية التي قام بها إلى حواضر المغرب الإسلامي خاصة والمشرق عامة، هي الأخرى قد وفرت له فرصة ثمينة في الاتصال المباشر بأشهر الشيوخ والإكثار منهم والاحتكاك بهم ومحاورتهم في بعض المسائل الفقهية التي نبغ فيها، ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن هذا التنقل بين حواضر العالم الإسلامي جاء لأسباب متعددة ففي المرحلة الأولى كان بهدف طلب العلم والاستزادة من ينابيعه، ثم بهدف أداء فريضة الحج ولقاء مشايخ المشرق، وفي مرحلة لاحقة كان لظروف سياسية منها نتيجة اصطحاب السلطان المريني له وتعيينه بمناصب داخل الدولة المرينية كالقضاء والسفارة .

شارك **أبو عبد الله محمد المقّري** في دفع الحركة العلمية بتلمسان وحواضر المغرب الإسلامي من خلال رحلته العلمية وتتضح هذه المشاركة فيما يلى :

- التدريس: فلم يبخل بنشر علمه وثقافته على طلاب العلم الذين ازدحمت بهم حلقات درسه في الفترة التي انتصب بها مدرسا، وخاصة بالمدرسة "**المتوكلية**" بفاس و"**الجامع الأعظم**" بغرناطة، نظرا لسعة إطلاعه و كثرة حفظه وعمق آراءه، فتخرج على يده العديد من العلماء الذين كان لهم الدور الكبير في خدمة الفكر والعلوم الإسلامية، أمثال "**لسان الدين ابن الخطيب**" و"**عبد الرحمن ابن خلدون**" و"**أبي إسحاق الشاطبي**" وغيرهم، وعمد هنا إلى توضيح أحسن طرق التعليم والتلقي منّوها بأهمية الرحلة العلمية التي تثري زاد الطالب.

- المؤلفات والكتب: حيث أثرى المكتبة الإسلامية بمصنفات هامة في شتى أنواع العلوم، من لغة وآداب ومنطق وتصوف وأصول وفقه، هذا الأخير كان تأليفه فيه من أهم ما ألّف، حيث ضرب فيه بسهم وافر متجاوزا حدود مذهبه المالكي ووصل بعلمه إلى مستوى تقعيد القواعد الفقهية والربط بالمقاصد الشرعية، فكان بذلك جديرا بأن يطلق عليه "**إمام فن القواعد**"، وبهذه الملكة الفقهية كانت له مواقف اجتهادية أظهر فيها ميله إلى الترجيح والاحتجاج وإبداء الرأي المدّعم ومخالفة غيره من الفقهاء أحيانا.

- الفتاوى: حيث أثرت عنه فتاوى في مختلف الأمور الشرعية، إذ كانت ترد إليه أسئلة من السطان ومن عامة الناس من جميع أنحاء المغرب للاستفتاء وبيان الحكم الشرعي في مختلف القضايا التي شغلت المجتمع المغربي والأندلس، ويتضح ذلك من خلال كتب النوازل خاصة منها كتاب "**المعيار المعرب**"للونشريسي.

- الوظائف: حيث تجلت مساهمته أيضا من تقلده لبعض الوظائف الحكومية والتي لم يكن يسعى إليها وإنما كانت تأتي إليه لتقدير الحكام والناس له منها "**قضاء الجماعة**" بفاس و"**قضاء العسكر**" لأبي عنان، وقد أثر عنه في قضائه عدله ونزاهته وصبره، كما أسندت إليه مهمة السفارة، هذه المهمة التي لا تسند عادة إلاّ إلى العلماء المقربين من السلاطين، أما عزله عن هذه الوظائف فلم يؤّثر ذلك عليه ولا في عطائه العلمي، واعتناقه للتصوف لم يكن بسبب عزله عن وظيفة القضاء كما أدعي عليه، بل لميله للزهد والتصوف الذي ميز عصره وتأثره بذلك منذ صغره، فكان تصوفه تصوفا رزينا معتدلا على ضوء الشريعة الإسلامية و لم يكن تصوفا منحرفا إلى الشعوذة والخرافات ونشر البدع.

- ساهم في حركة الإصلاح ضد بعض التيارات المنحرفة التي ظهرت في مجتمع المغرب الإسلامي فعمل على تجنيب المجتمع من الوقوع فيها.

كل ذلك يؤكد عظمة شخصية **أبو عبد الله الـــمقّري**، ويشهد له بأنّه من أبرز العلماء الذين أنجبهم المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص في القرن الثامن

الهجري، فقد كان مجتهدا أصيلا وفقيها متفننا ومفتيا بارعا وقاضيا عادلا، ووصل بعلمه إلى درجة التقعيد والتأصيل والتخيير بين الأقوال والترجيح بين الآراء، فكان له جليل الأثر في إرساء دعائم النهضة العلمية وإقرار المذهب المالكي بحواضر المغرب الإسلامي من خلال رحلته العلمية.

كانت هذه أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال هذا العمل، وفي الأخير نأمل أن يكون قد ساهم ولو بقليل في إماطة اللثام عن الجهود العلمية لشخصية **أبو عبد الله المقّري** بحواضر المغرب الإسلامي وأن يكون لبنة من لبنات تاريخ المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة؛ أمّا آفاق هذا الموضوع فهو يُمثّل إضاءة لبحوث لاحقة تتصدّى لبعض الجوانب الخفيّة منه؛ والتي لم تسمح طبيعته بالاستطراد فيها.

ملحق

الـــمـــلحـــق رقـــم 1:دول المغرب الإسلامي بعد الموحدين من ق 7هـ/13م إلى ق 10هـ/16م[1].

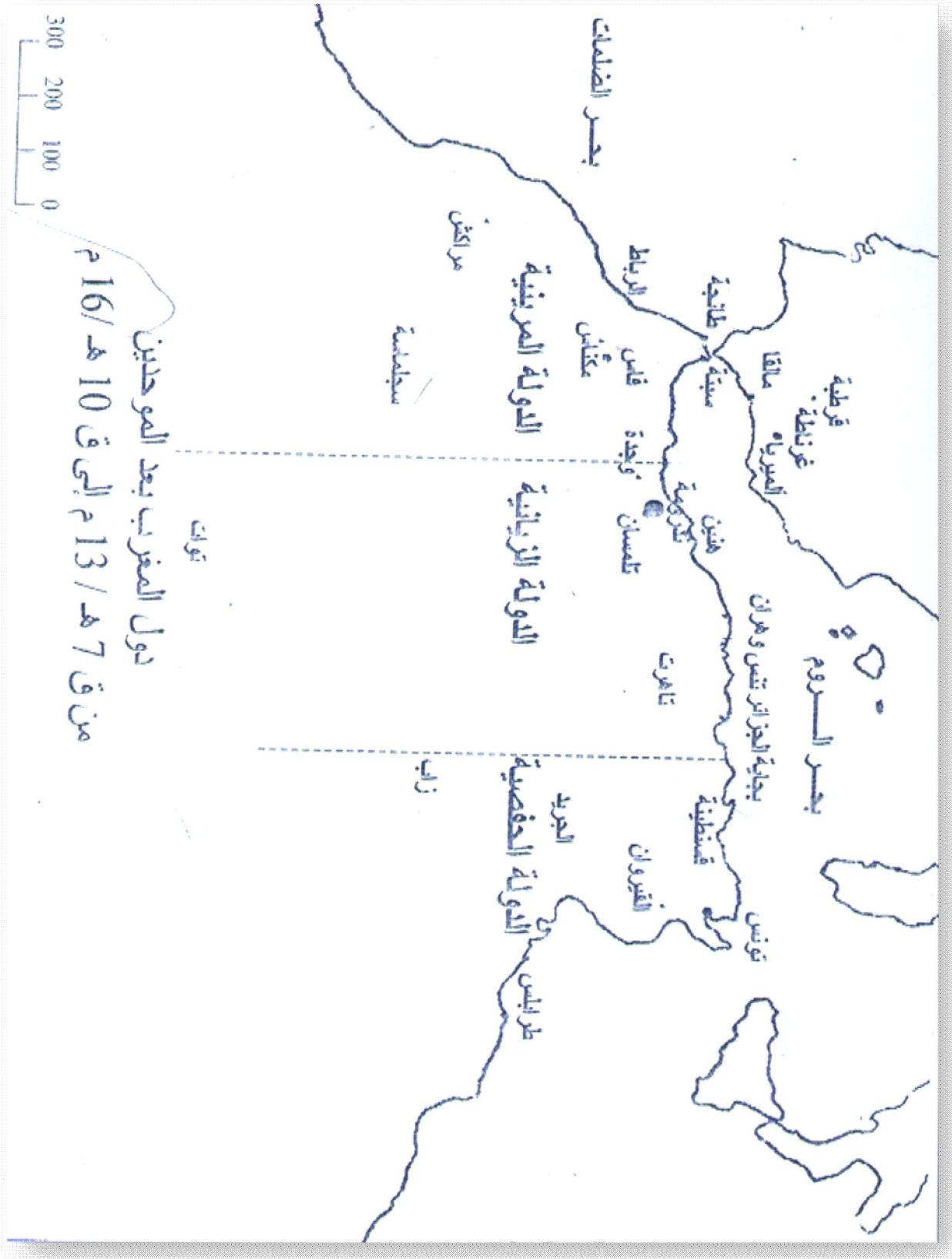

[1] نصر الدين بن داود ، علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من ق7هـ-13م إلى ق10هـ 16م ،ص150

الـــمـــلحـــق رقـــم 2: **شجرة نسب أسرة المقّري.**

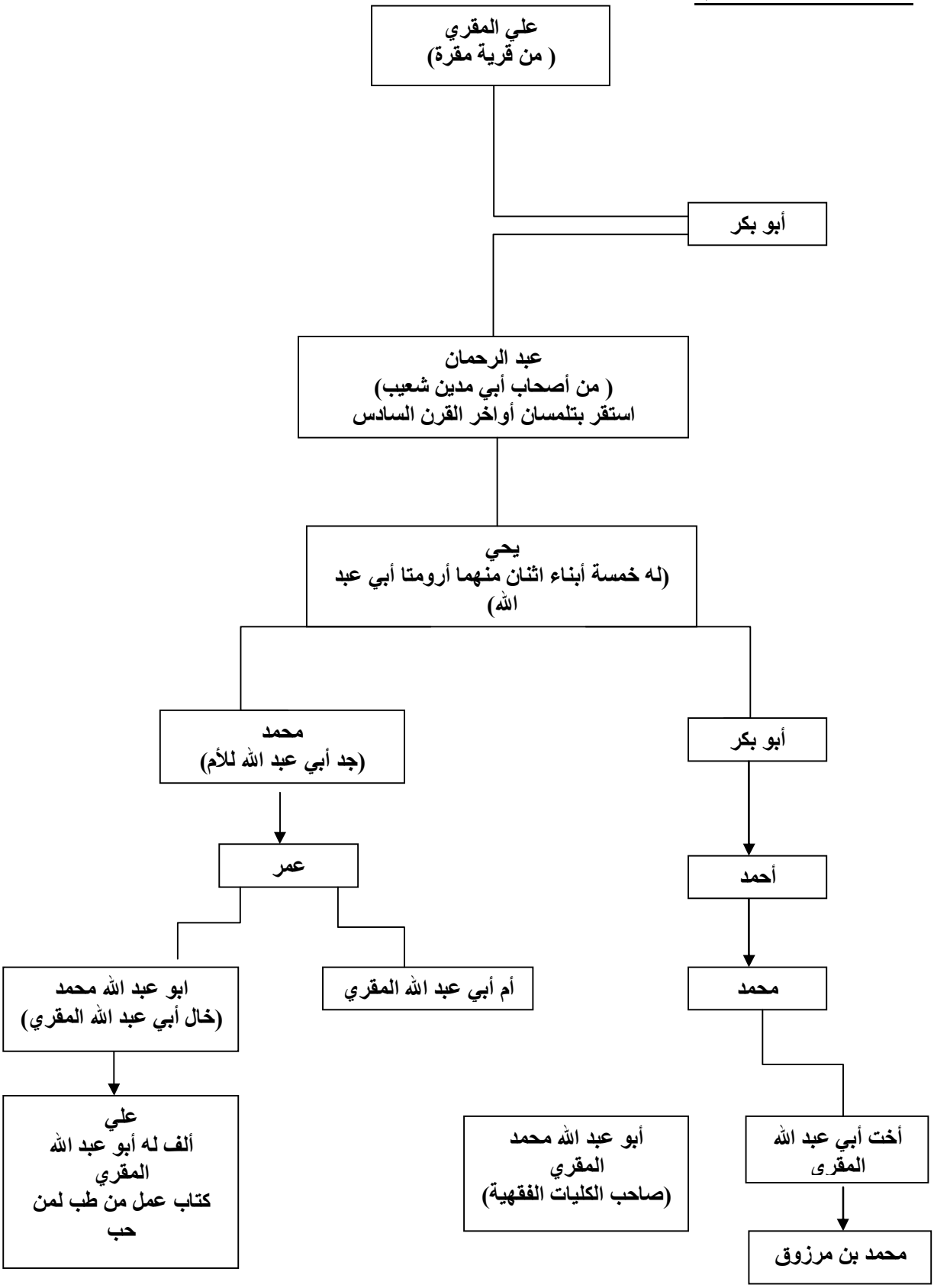

أحمد المقّري،نفح الطيب،ج5،ص203، أبو الأجفان، ص27 .

الـــمـــلحـــق رقـــم 3:**حركة رحلة المقّري من تلمسان نحو حواضر المغرب الأدنى.**

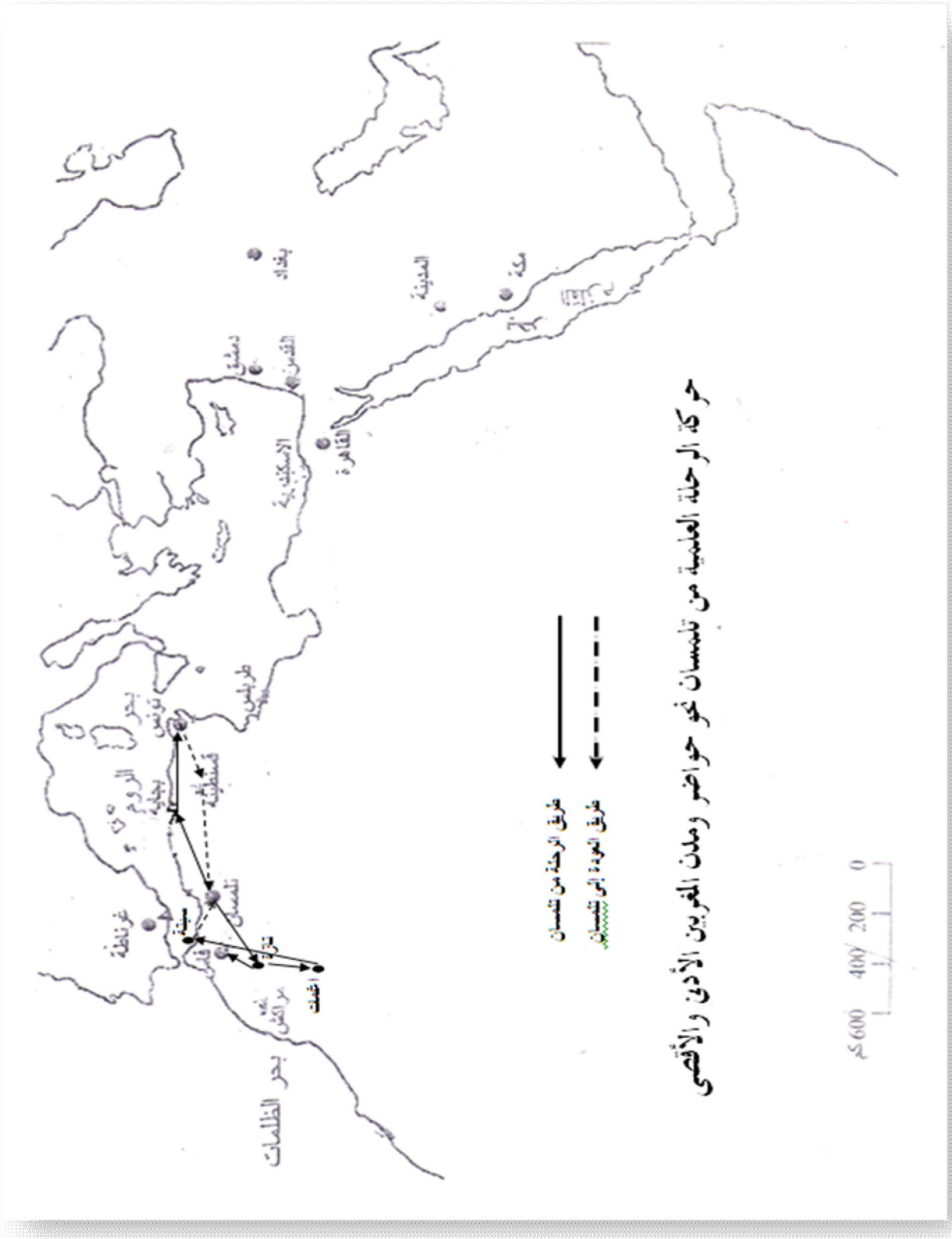

أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص69-72 ، أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص 249-251.

الـــمـــلحـــق رقـــم 4:**حركة رحلة المقّري من تلمسان نحو بلاد المشرق والمغرب الأقصى والأندلس.**

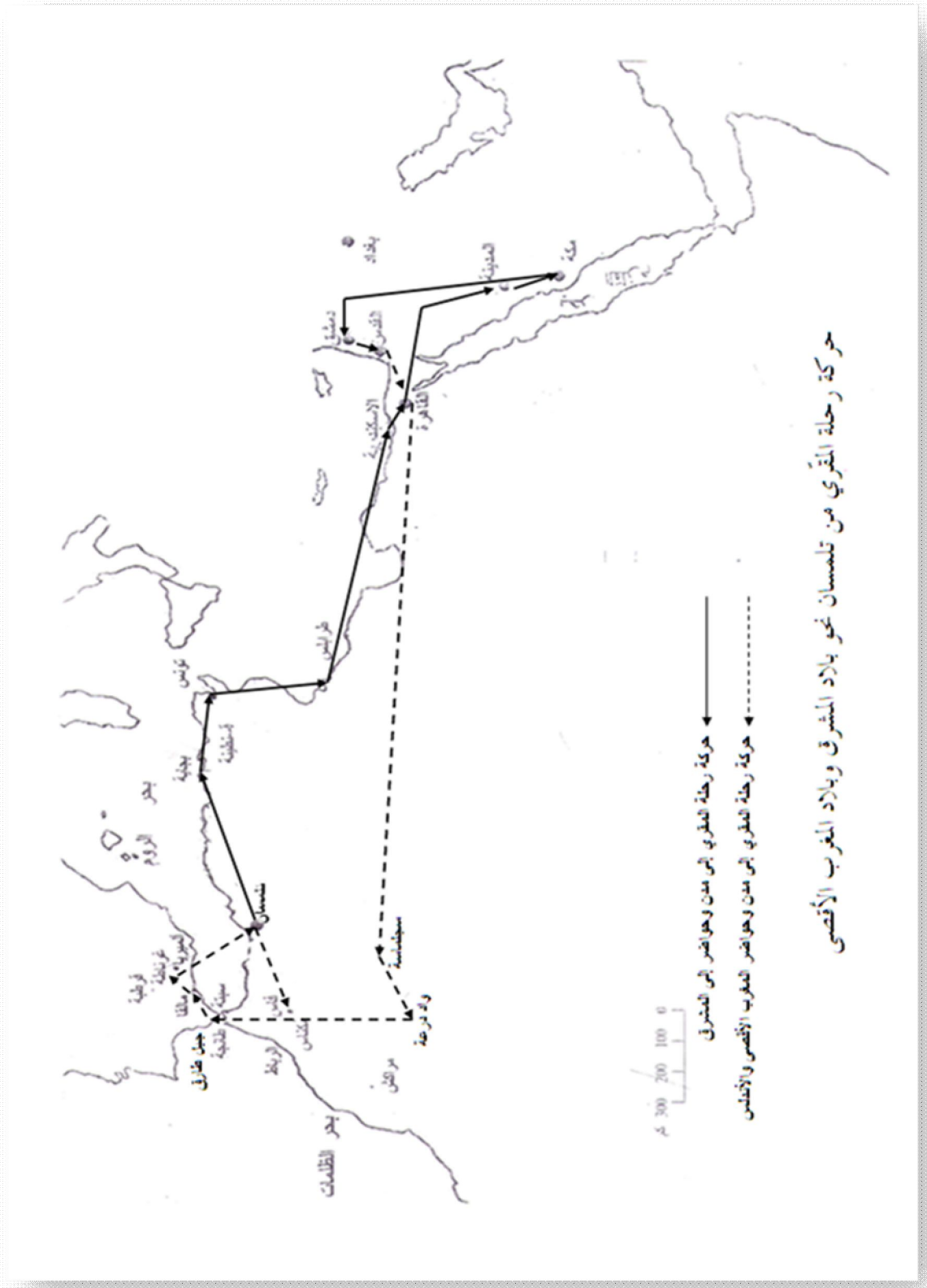

أحمد المقّري،أزهار الرياض،ج5، ص73-75 .

الـــمـــلحـــق رقـــم 5: شفاعة سلطان غرناطة لدى أبي عنان لفائدة العالم المقّري.

" وإلى هذا،- ((وصل الله سعدكم ،وحرس مجدكم،وضاعف نعمته لديكم))- ،فإنّنا وقفنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ الصّالح [الفقيه] الفاضل **أبي عبد الله المقّري**- وفّقنا الله وإيّاه لما يُزلف لديه،وهدانا لما يقّرب إليه-، وما بلغكم من تقاعده **بمالقة**، وما أشرتم ((به)) في أمره؛ فاستوفينا جميع ما قرّرتم،واستوعبْنا(جميع) ما أجملْتم في ذلك وفسّرتم.

واعلموا يا محلَّ والدنا- أمتعَنا الله ببقائكم الذي في ضمنه اتّصـــالُ السّعادة((المعادة))، وتعرُّف النّعم المعتادة-، أنّنا لّما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور وتكييفٍ جزلٍ بما تفضّلتم به وسرور، تعرّفنا أنّه تقاعدَ بمالقة عن صحبه ،وأظهر الاشتغالَ بما يخلّصه عند ربّه،وصرف الوجه إلى التّخلّي مشفقاً من ذنبه ،واحتجّ بأنّ قصْدَه ليس له سبب، ولا تَعيّن له في الّدنيا أرَب،وأنّه عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب إليه، وتُقرّوه عليه،فيعجّل البدار،ويمهّد تحت إيالتكم القرار؛ فلمّا بلغَنا هذا الخبر ،لم يخلق الله ((عندنا)) مبالاةً تُعبر، ولا أعددناه فيما يُذكر ،وقطعنا أنّ الأمر فيه هيّن، وأنّ/مثل/ذلك الغرض لا تَلتفت إليه عين، فإنّ بابكم غنيّ من طبقات أولي الكمال،مليٌّ بتوسيغ الآمال ،موفور الرّجال،معمورٌ بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال، والصلحاء أولي المَقامات والأحوال، والأدباء فرسان الرّواية والارتجال، ولا يَنقص بفقدان الحصى أعدادُ الرّمال،ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال،مع ما عُلم من إعانتكم على مثل هذه الأعمال،واستمساككم بإسعاف /غرض/ مَن صرف وجهه إلى الحلال ؛ ولو علمنا أنّ شيئاً يهجس في الخاطر ((من)) أمر مُقامه، لقابلناه بعلاج سقامه؛ثمّ لم ينشب أنْتَلاحقَ بحضرتنا بارزاً في طور التقّال والتّخفيف، خالطاً نفسه باللّفيف، قد صار نكرة بعد العَلميّة والتعريف،وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضاً عن النّاس، لا يظهر إلا لصلاة يشهد جماعتها،ودعوةٍ للعبادة يخاف إضاعتها.

ثم تلاحق أرسالكم الجلّة، الّذين تحق لمثلهم التّجلّة فحضروا لدينا، وأدَّوا المخاطبة الكريمة كما ذُكر إلينا ،وتكلّمنا معهم في القضيّة، وتنخلّنا في الوجوه المرضية، فلم نجد وجهاً ((أخلصَ)) في هذا الغرض، ولا علاجاً يتكفّل ببرء المرض ،من أن كلّفناهم الإقامة التي يُتبرَّك /بيُمن/جوارها،ويُعمَلُ على إيثارها، بخلال ما نخاطب مَقامكم بهذا الكتاب الّذي مضمنّه **شفاعة** يَضمن حياؤكم احتسابَها، ويرعى انتماءَها إلى الخلوص وانتسابها،ويعيدُها قد أَعملت الحُظوةُ أثوابَها؛ ونقصدُكم ومثلكم من يُقصَد في المهمّة، فأنتم المثلُ الذّائع في عموم الحِلم وعلوّ

الهمّة،بأن تصدروا له مكتوباً مكمَّل الفصول،مقرّرالأصول،يُذهب الوجل، ويرفع الخجل، ويسوّغ من مآربه لديكم الأمل، ويخلص النّيّة ويرتّب العمل،حتّى يَظهر ما لنا عند أبوّتكم من تكميل المقاصد،جرياً على ما بذلتم من جميل العوائد؛وإذا تحصّل ذلك كان بفضل الله إيابه، وأناخت بعقوة وعدكم الوفيّ ركابُه،ويحصل لَمقامكم عزُّه ومجده وثوابُه؛وأنتم ممّن يرعى أمور المجد حقّ الرّعاية، ويَجري في معاملة الله [تعالى]على ما أُسّـــس من فضل البداية،وتَحقّقِ الظّنون فيما لديه من المدافعة عن حوز الإسلام والحماية.

هذا ما عندنا أعجلْنا به الإعلام، وأعملْنا الأقلام، بعد أن أجهدْنا الاختيار وتنخلّنا الكلام؛وجوابكم بالخير كفيل،ونظركم لنا وللمسلمين جميل؛ والله تعالى يصل سعدكم، ويحرس مجدكم،ووالسلام ((الكريم عليكم ورحمة الله وبركـــاته)).

ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص199-204، أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي(خلا القرنين 7و8هـــ)، ص 473-474.

الـــمـــلحـــق رقـــم 6: حصول المقّري على وعد بالأمان من أبي عنان بعد شفاعة سلطان غرناطة.

" **المقام الّذي يحسب الشفاعة ويرعى الوسيلة**،وينجز العدة ويتمّم الفضيلة ،((ويضفي مجده المنن الجزيلة))،ويعني حمده الممادح العريضة الطّويلة ،مقام محلّ والدنا الذي كرم مجده،((ووضح سعده))،وصحّ في الله [تعالى]عقده ،وخلص في الأعمال الصّالحة قصده،وأعجز الألسنة حمده **السلطان الكذا** ،{ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا}،أبقاه الله لوسيلة ((يرعاها))،وشفاعة يكرم مسعاها ،وأخلاق جميلة تجيب دعوة طبعه الكريم إذا دعاها.

معظم سلطانه الكبير،وممجّد مقامه الشهير ،المتشيّع لأبوّته الرّفيعة قولا باللّسان واعتقادا بالضمير،المعتمد منه بعد الله على الملجإ الأحمى والوليّ النّصير،[[**الأمير**]] فلان،سلام كريم ،طيّب برّ عميم، يخصّ مقامكم الأعلى، و([وأبوّتكم الفضلى])،ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمد الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاّه حلاها،وميّز بها النّفوس [[النّفيسة]]التي بكرامته وتولاّها،حمدا يكون كفؤا للنعم التي أولاها ؛**والصلاة** على سيّدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقي في درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها،الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها ،مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها؛**والرضى** عن آله وصحبه الّذين خبر صدق ضمائرهم لمّا ابتلاها، وعسّل ذكرهم في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها؛**والدّعاء** لمقام أبوّتكم –حرس الله[تعالى] علاها- بالسعادة التي يقول {الفتح} " أنا طلاّع الثّنايا وابن جلاها "،والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشّرات فتفلي فلاها.

فإنا كتبناه إليكم-كتب الله [تعالى] ((لكم)) عزّة مشيدة البناء ، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثّناء،وقلّدكم من قلائد مكارم الأخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء- ، **من حمراء غرناطة** حرسها الله ،والودّ باهر السّناء (ظاهرة الثّناء)، مجدّدّ (على) الأناء، والتشيّع رحب الدّسيعة والفناء.

وإلى هذا،- وصل الله سعدكم،وحرس مجدكم-، فإنّنا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه((الحافظ)) **الصّالح أبي عبد اللّه المقّري** ،خار الله[تعالى] لنا وله ،وبلّغ الجميع من فضله العميم أمله، جوابا عمّا صدر عن مثابتكم فيه من الإشارة الممتثلة،والمآرب

المعملة،والقضايا((غير))المهملة، نصادركم {في ذلك} بالشّفاعة التي مثلها بأبوابكم لايرد وظمـــأها عن مناهل قبولكم ولا يحدّ ولايصدّ،حسبما سنّه الأب الكريم والجدّ، والقبيل الّذي وضح منه في مكارم الرّسم والحدّ، و لم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة، وتبلّج صبح الزّهادة و الفضيلة،وجود النّفس الشّحيحة بالعرض الأدنى البخيلة،وظهر تخيّله عن هذه الدّار،واختلاطه باللّفيف والغمار،وإقباله على ما يعني مثله صلة الأوراد ومداومة الاستغفار، وكنّا لمّا تعرّفنا إقامته بالمالقة لهذا الغرض الذي شهره، والقصد الذي أبرزه للعيان وأظهره، أمرنا أن يعتنى بأحواله، ويعان على فراغ باله، ويجرى عليه سيب من ديوان الأعشار الشّرعية وصريح ماله؛ وقلنا: ما أتاك من ((غير)) مسألة مستندٌ صحيح لاستدلاله؛ ففرّ من مالقة على ما تعرّفنا لهذا السبب، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسَب ،وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدّة لسكنى المتّسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطّلب، بحيث لم يُتعرَّف ورُودهُ ووصولُه الاّ منّن لا يُؤبَهُ بتعريفه،و لم تتحقق زوائدُه وأصوله لقلّة تصريفه.

ثم تلاحق أرسالُكم الجلّة فوجبت حينئذ **الشّفاعةُ**، وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعةُ ،وقرّرنا ما تحقّقنا من أمره، وانقباضه عن زيد الخَلقْ وعَمْره واستقبالِه الوجهةَ التي مَن ولّى وجهَه شطرَها فقد آثر أثيراً،ومن ابتاعها بمتاع الدّنيا فقد نال فضلاً كبيراً وخيراً كثيراً وسألْنا منكم أن تبيحوا ((له)) ذلك الغرض الذي رماه بعزمه ،وقصَر عليه أقصى همّه،فما أخلَقَ مَقامَكم أن يفوز منه طالبُ الدّنيا بسهمه ،ويحصلَ منه طالبُ الآخرة على حظّه الباقي وقِسمه ،ويتوسّلَ الزّاهد بزهده والعلم بعلمه ،ويعوّل الريئ على فضله ويثق المذنب بحمله.

فوصل الجواب الكريم بمجدَّد الأمان ،وهو أربٌ من آراب ،وفائدةٌ من جراب ،ووجهٌ من وجوه إعراب، فرأينا أنّ المَطْـــلَ بعد جفاء ،والإعادةَ ليس يثقلها إخفاء ،ولمجدكم بما ضمِنّا عنه وفاء ،وبادرنا {الآن} إلى العزم عليه في ارتحاله ،وأن يكون الانتقال {عن رضى منه} من صفة حاله ،وأن يقتضي {له} ثمرة المقصد، ويبلغ طيّه الإسعاف على الطّريق الأقصد ،اذ كان([الأمان]) لمثله ممّن بجانب الله تعلّق من مثلكم حاصلاً ،والدّين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلاً وطالب كيمياء السعادة بإعانتكم واصلاً ؛ ولمّا مدّت اليد في تسويغ حالةٍ هديُكم عليها أبداً يحرّض، وعِلمُكم يصرّح بمزيّتها فلا يعرّض،فكمّلوا- أبقاكم الله- ما لا يسعنا فيه مساحةُ الكتاب وأَلحِقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصحُّ حديث في الباب،((ووفّوا غرضَنا من

مجدكم [[وجميل عهدكم]]وخَــلُّوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب))،وقصدِ غافِرِ الذّنب وقابل التّوب بإخلاص المتاب ،والتّشميرِ ليوم العرْض وموقف الحساب،وأظهِروا عليه عناية الجناب الذي تعلّقَ به –أعلق اللهُ به يدكم–من جناب ،ومعاذَ الله أن تعود شفاعتُنا من لدنكم غير مكملة الآراب وقد بعثنا من ينوب عنّا في مشافهتكم فيها أحمدَ مناب ،ويقتضيَ خلاصها بالرغبة لا بالغلاب،وهما فلان وفلان؛ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمالُ الرّكاب،يسبق إعلام الكتاب؛وأنتم((تُولُون))هذا القصد من مكارمكم ما يوفّر الثّناء الجميل ،ويُربي على التأميل، ويكتب على الودّ الصريحِ ((العقدِ)) وثيقةَ التسجيل ،([وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الأثيل])،وإنالة الرّفد الجزيل،والسلام الكريم [يخصّ مقامكم الأعلى /ومثابتكم الفضلى/ورحمة الله [تعالى] وبركاته.

{في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام [سبعة] وخمسين وسبعمائة}.

ابن الخطيب، المصدر السابق، ص205-208، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص 475-478.

الـــمـــلحـــق رقـــم 7: الصفحة الأولى من كتاب **عمل من طبَّ لمن حبَّ**.

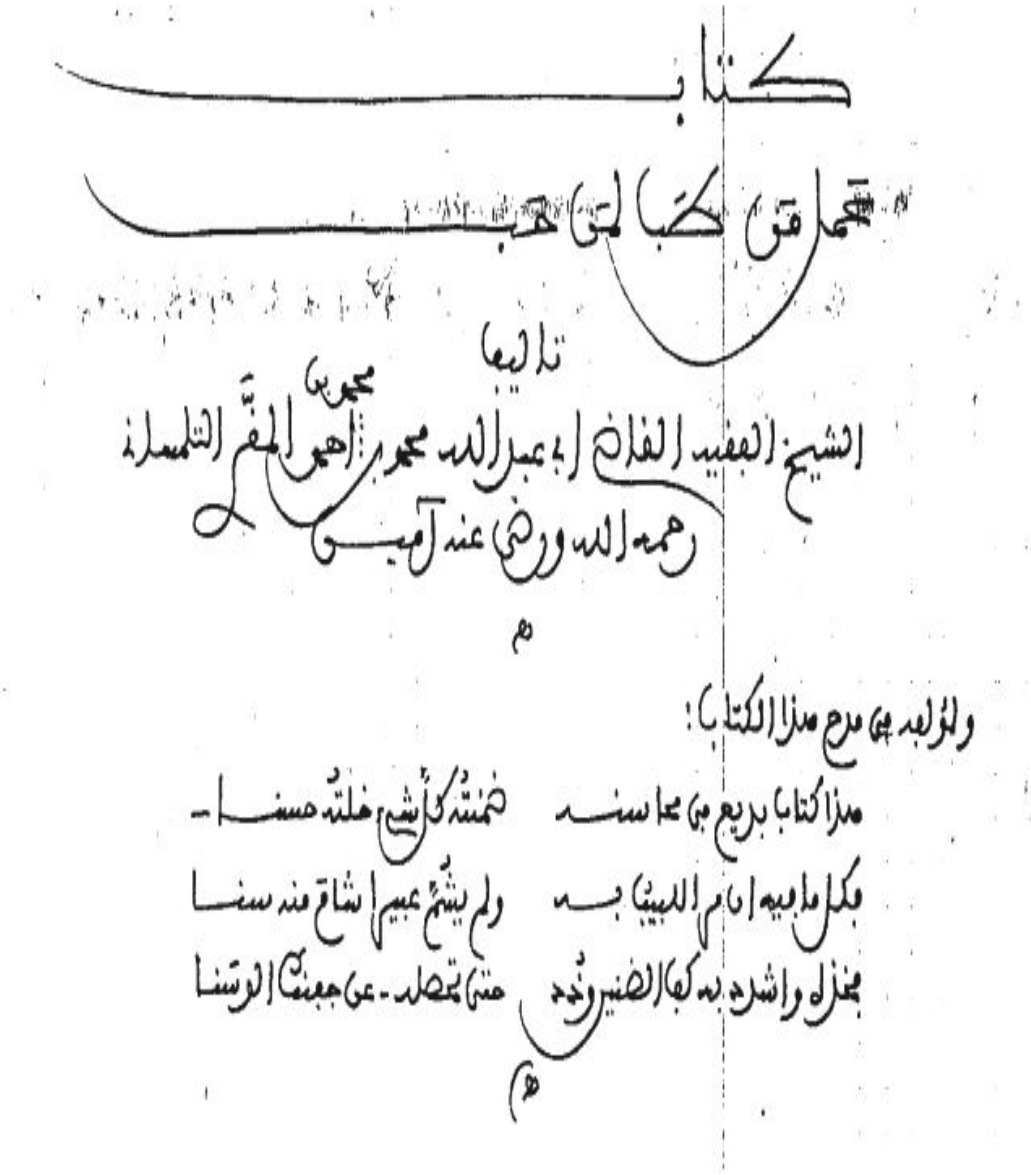
كتاب
عمل من طب لمن حب
تأليف
الشيخ الفقيه الفلاح أبي عبد الله محمد بن أحمد المقّري التلمساني
رحمه الله ورضي عنه آمين

وللمؤلف في مدح هذا الكتاب:

هذا كتاب بديع في محاسنه ... ضمنته كل شيء غلته حسنا
فكل ما فيه إتمام الديانة به ... ولم يشح بخير إن شاق فيه سنا
فمن تأمله كالضيغم اتئدا ... حتى تحصل على جنات الرضا

أبو عبد الله المقّري، **عمل من طبَّ لمن حبَّ**، تحقيق أبي الفضل بدر بن عبد الإلـــه العمـــراني الطنجي، المصدر السابق، ص 07.

الـــمـــلحـــق رقـــم 8: الصفحة الأخيرة من مخطوط عمل من طبَّ لمن حبَّ.

أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، ص 08.

الـــمـــلحـــق رقـــم 9: الورقة عمل من طب لمن حب.

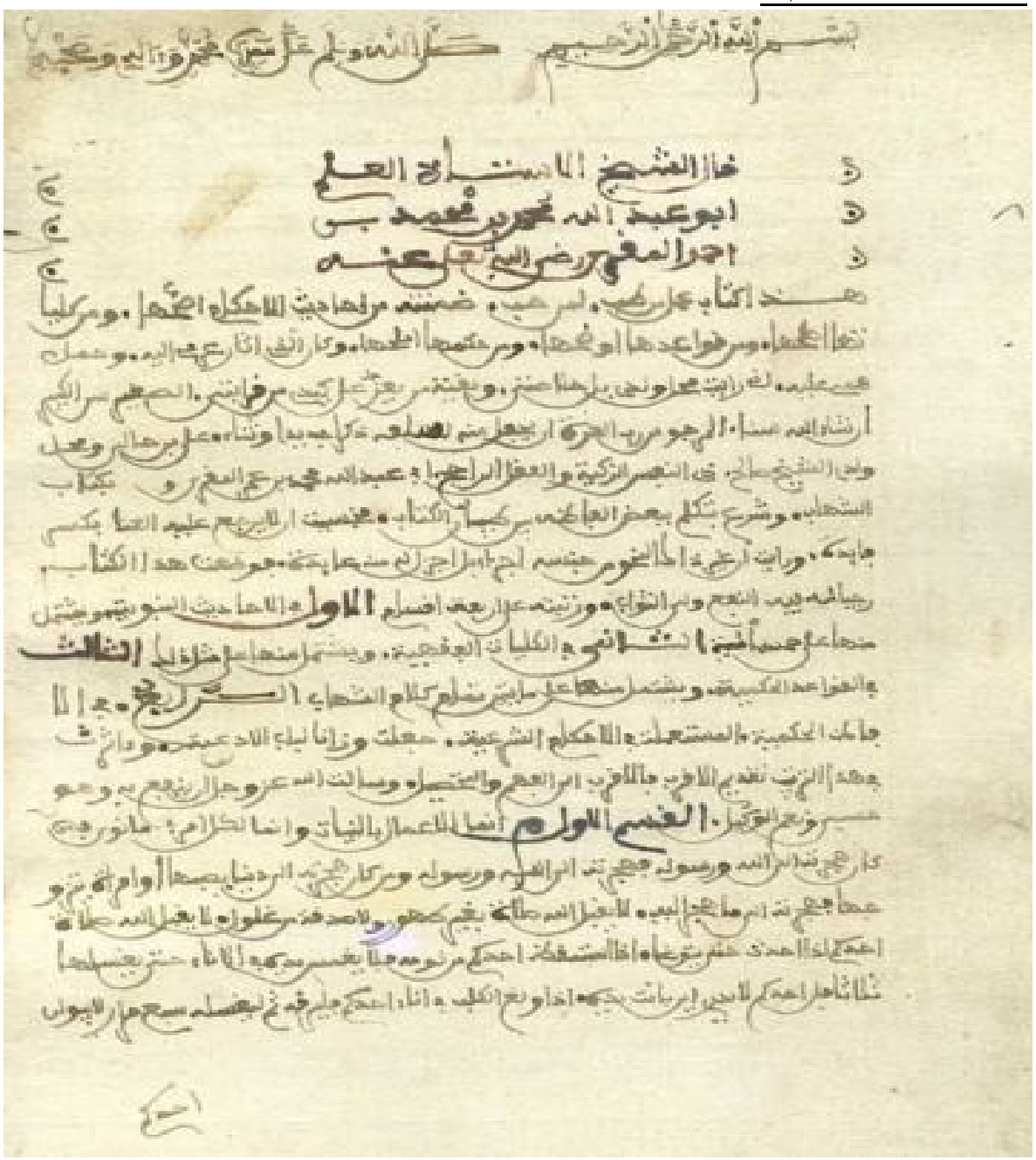

عنوان المخطوط : **عمل من طب لمن حب،** لأبي عبد الله محمد بن محمد المقري.

رقم المخطوط / 92 .

عدد الأوراق 52.

المصدر: مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء.

ملاحظة: طبع منه قسم الكليات في تونس تحقيق محمد أبو الأجفان وطبع كاملا في دار الكتب العلمية بيروت تحقيق بدر العمراني

الـــمـــلحـــق رقـــم 10: القسم الرابع من كتاب "**عمل من طب لمن حب**".

القسم الرابع من كتاب "**عمل من طب لمن حب**"، المصدر السابق.

الـــمـــلحـــق رقـــم 11: الصفحة الأخيرة من مخطوط عمل من طبّ لمن حبَّ.

القسم الرابع من كتاب "**عمل من طب لمن حب**"، المصدر السابق.

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس أسماء الأعلام والقبائل

أسماء الأعلام	الصفحة
أ	
الآبلي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدري التلمساني	92-70-60-38
ابن بطوطة	38
ابن زيتون	76-22
ابن حيدرة	75-74
أحمد بن هلال الربيعي	88
ابن مرزوق الجد	77-64
ابن مرزوق الخطيب	104-72-59
ابن مريـــم	103 -53-51-49-45
ابن عباد الرندي	113 -81-66-63
ابن عبد الله بن هارون	75
ابن عبد السلام الهواري التونسي	76 -75 -74 -38 -22
ابن عبد الرفيع	80 -73
ابن عماد الحنبلي	103
ابن عرفة	77-76 -75 -74-39
ابن فرحون	106 - 102-84 -51
ابن صلاح	112
ابن قنفذ أبو العباس أحمد	73 -67

إبراهيم بن مـــوسى الشاطـــبي	40-65- 66- 96- 97- 111- 125- 127-139- 144
الإدريسي	43-45
أبو إسحاق إبراهيم بن حكم الكناني السلوى	56-61-147
أبو إسحاق بن عبد الله اليزناسي	49- 78
أبو بكر الحفصي	19-32- 33
أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن الفخار	55-11- 114
أبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي	14-15
أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي السلمي	55- 100
أبو الوليد إســـماعيل بن يوسف الثاني	16
أبو زيد الرجراجي	80
أبو زيد عبد الرحمان بن الإمام	25- 36- 73
أبو زيد القيرواني	24
أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي	58
أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الـــجزولي	38- 80
أبو زكرياء يـــحي الأول الحفصي	19
أبو الحسن بن فرحون	84
أبو الحسن علي الـــمنتصر	77
أبو الحجاج يوسف بن إســـماعيل	16- 21
أبو الحسن الجبار	80
أبو الحسن الرندي	113
أبو الـــحسن الصغير المغربي	72- 79

أبو الحسن القيجاطي	114
أبو الحسن الـــمريني	-34 -33 -31 - 26 -25 - 20-15 41 -38 -37
أبو الحسن النباهي الـــمالقي	132 -101 - 95-65
أبو الحسن علي بن مزاحم المكناسي	62 - 38
أبو حمو موسى الأول	56-55 -54-41-36-32-31-30-20
أبو حمو موسى الثاني	20
أبو يحي أبو بكر	33-32-19
أبو يـــحي الشريف	104
أبو يـــحي المطغري	66
أبو مالك عبد الواحد	16
أبو مدين بن شعيب بن الحسين الأندلسي	46-41-40
أبو موسى عمران المشذالي البجائي	60-36-23
أبو محمد السيد البطليوسي	108
أبو محمد عبد الوهاب الـــجبرتي	84
أبو محمد عبد الله بن سليمان المـــنوفي	87-84
أبو مـــحمد عبد المؤمن الـــجاناتي	79-41
أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي	63-15
أبو محمد عبد الله بن الناصر المحاصي	114-80-62
أبو محمد عبد العزيز القروي الفاسي	79
أبو سعيد الثاني	34
أبو العباس أحمد بن عمران	73

أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق	63 - 42 -41
أبو العباس القباب	42 -40
أبو العباس الـــمقّري	-100 -66-59 -52-51-50-45 -118 - 115-114-113-107-104 144-125-124 -123 -122 -121
أبو العباس بن رضى الدين	84
أبو عبد الله المجاري	113
أبو عبد الله الزواوي	72
أبو عبد الله الشريف التلمساني	101-39-38-26-23
أبو عبد الله الشوذي الملقب بسيدي الحلوي	38-20
أبو عبد الله الفشتالي	101-94
أبـــو عبد الله الـــقيجاطي	114
أبو عبد الله المحاصي	114-80-62
أبو عبد الله النفزاوي	80
أبـــو عبد الله بن زمـــرك	110
أبو عبد الله بن سليمان السطي	63-38
أبو عبد الله بن هارون الأندلسي	75
أبـــو عبد الله بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي	114
أبو عبد الله محمد التميمي	61
أبو عبد الله محمد ابن أبو يعقوب الزواوي	72
أبو عبد الله مـــحمد الـــزبيـــدي	77-62
أبو عبد الله محمد الصباغ المكناسي	38

أبـــو عبد الله محمد بن سعيد بن لب بن بقي	114-113-112-111
أبو عبد الله محمد بن سلامة	76
أبو عبد الله محمد بن شاطر الجمحي المراكشي	66 -61 -60-42
أبو عبد الله مـــحمد بن عبد الستّـــار	76
أبو عبد الله محمد بن عبد النور	61
أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي	114-93-63
أبـــو عبد الله محمد بن علي بن علاق	112
أبو عبد الله محمد بن محمد القرموني	58
أبو عبد الله محمد بن هدية القرشي	61
أبـــو عبد الله مـــحمد بن يـــحي بن الحباب	76
أبو عبد الله محمد بن يحي بن النجار	62
أبو عبد الله محمد بن يـــحي الباهلي الـــمسفّر	72
أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي	111
أبو علي ناصر الدين المشذالي	109 -73-72-22
أبو علي حسين بن حسين	73
أبو عمران العبدوسي	113-79
أبو عمران موسى المصمودي	62
أبو عنان فارس بن أبو الحسن علي	-42-38-35-34-31-26-21-20 -100 -99 -96-94 -93 -92-66 -114-107-104-103-102-101 147-146-129
أبو الفضل راشد	80
أبو القاسم بن الجلاب البصري	24

أبو القاسم بن جزي	110
أبو القاسم بن رضوان المالقي	15
أبو القاسم محمد بن السلماني الشافعي	89
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول	64-60-56-41-16
أبو ضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي	79
أحمد بن القاضي	53-49
أحمد بن إدريس البجائي	42
أحمد بن حيدرة	75 -74
أحمد الونشريسي	113 -65 -53 -45
أحمد زروق البرنسي	123 -53
أحمد التمبكتي	130-79-75 -65 -51 -50-45
أحـــمد القباب	40
أثيـــر الـــدّين أبـــو حيـــان الـــغرناطي	86
ب	
بنو توجين	32
البلفيقي السلمي أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم	100 -55
البجائي أبو موسى عمران المشذالي	60-36-23
البطليوسي أبو محمد	108
بن لب بن بقي أبـــو عبد الله محمد بن سعيد	114-113-112-111
الباهلي الـــمسفّر أبو عبد الله محمد بن يـــحي	72
البصري أبو القاسم بن الجلاب	24

البجائي أحمد بن إدريس	42
البرنسي أحمد زروق	123 -53
البخاري محمد إسماعيل	111
البغدادي القاضي عبد الوهاب	24
ج	
الجد أبو عبد الله بن مرزوق	64
الـــجزولي أبو زيد عبد الرحمن بن عفان	.80 -38
الجبار أبو الحسن	80
الـــجبرتي أبو محمد عبد الوهاب	84
الـــجاناتي أبو مـــحمد عبد المؤمن	.79 -41
الجمحي أبو عبد الله محمد بن شاطر المراكشي	66 -61-60-42
الجزولي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق	.114 -93 -63
بن الجلاب أبو القاسم البصري	24
بن جزي أبو القاسم	110
الجوزية شـــمس الدّين بن القيم	88
ابن جماعة	.74
د	
الداني عمرو	112
هـــ	
ابن هارون الأندلسي أبو عبد الله	75
ابن هدية القرشي أبو عبد الله محمد	61

الهواري ابن عبد السلام التونسي	22- 38-74 -75-76.
و	
عبد الواحد الونشريسي	49
الونشريسي	79-103-113-118-124-130- 131.
الوادي آشي ابن جابر	110
الوزان حسن	20-21- 43
ز	
ابن زيتون	22
الـــزبيـــدي أبو عبد الله مـــحمد	62-77
الزواوي أبو عبد الله محمد ابن أبو يعقوب	74
ح	
الحنبلي ابن عماد	103
الحفصي أبو بكر	19-33-34
حسن الوزان	20- 21 -43
الحضرمي أبو محمد عبد المهيمن	15- 62
الحلوي أبو عبد الله الشوذي	20-38
الحلبي منصور	77
الحموي ياقوت	44
الحميري	43
حاجي الوهراني	49
ي	

اليزناسي أبو إسحاق بن عبد الله	78-49
يوسف أبو الحجاج بن إســـماعيل	21-16
يحي بن عبد الرحمن المقري	52 -51 -48 -46
اليالصوتي أبو ضياء مصباح بن عبد الله	79 -20
ياقوت الحموي	44
يـــحي السلكسيني	49
يغمراسن	14
ك	
الكناني أبو إسحاق إبراهيم بن حكم	147 -6 1-56
الكتاني عبد الحي	124
ل	
اللخمي	24
ابن اللبان شـــمس الـــدين محمد بن أحمد	87
م	
الـــمالقي أبو الحسن النباهي	132-101 -95 -65
المكناسي أبو الحسن علي بن مزاحم	62 -38
المشذالي أبو موسى عمران البجائي	60-36-23
المـــنوفي أبو محمد عبد الله بن سليمان	87 -84
المحاصي أبو محمد عبد الله بن الناصر	114–80–62
الـــمقّري أبو العباس	-100 -66 -52 -51 -50 -45 -115 -114 -113 -107 -104 144 -129 -125 -124 -123-122
المكناسي أبو عبد الله محمد الصباغ	38

المراكشي أبو عبد الله محمد بن شاطر الجمحي	66 -61 -60 -42
الـــمسفّر أبو عبد الله محمد بن يـــحي الباهلي	72
المشذالي أبو علي ناصر الدين	109 -73 -72 -22
المصمودي أبو عمران موسى	62
الـــمرينى أبو عنان	-42-38 -35-34 -31-26-21-20 -100 -99 -96 -94 -93 -92 -66 -107 -104 - 103 -102 -101 147-146 -129-114
المالقي أبو القاسم بن رضوان	15
الـــمقّري أبو عثمان سعيد	50 -49
الـــمالكي صدر الدّين الغماري	89
الـــمقّري عبد الرحمن	52 -51-48 -46
مخلوف محمد	103
محمد بن عبد السلام الهواري	76 -75 -74 -38 -22
مـــحمد بن مرزوق العجيسي	63
مـــحمد الأجـــمـــي	75
محمد الأنصاري الـــمالقي	41
محمد الفاضل بن عاشور	125 -122 -119 -56
محمد بن عبد الكريم	104 -45
المنتوري	114 -113 -112
المازوني	131
ن	
النباهي	132 -101 -95 -65
النفزي أبـــو عبد الله الرندي	113 -81 -66 -63

النفزاوي أبو عبد الله	80
ابن النجار أبو عبد الله	62
الندرومي ابن عبد النور	61
س	
السلوى أبو إسحاق إبراهيم بن حكم الكناني	147 -61 -56
السلمي أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي	100 -55
أبو سعيد الثاني الزياني	35
السطي أبو عبد الله محمد بن سليمان	63 -39 -38
ابن سلامة أبو عبد الله محمد	78
ابن السلماني الشافعي أبو القاسم محمد	89
السلماني ابن الخطيب	129 -110 -104 -102 -99 -97 -96 -79 -66 -64 -59 -55 -53 -51
السلمي أبو االبركات البلفيقي	100 -55
بن سناري عبد الله الأوسي	55
السلاسي علي بن عمر	50
السلكسيني يـــحي	49
أبو سعيد المريني	33 - 31 -20
سعيد العقباني	23
ع	
العبدري الآبلي التلمساني	92 -70 -60 -38
عبد العزيز أبو محمد القروي الفاسي	79 -26
عبد الحي الكتاني	124

عبد الواحد الونشريسي	49
عبد الرحمن بن أبو بكر الـــمقّري	46
عبد القادر الفاسي	51
عبد الوهاب الزقاق	49
عبد الوهاب بن منصور	50
عبد الوهاب البغدادي	24
عيسى الثعالبي	51
عثمان بن عمر بن الحاجب	107
علي بن عمر السلاسي	50
عمر الراشدي	49
علاء الدين القونوي	73
ف	
الفاسي أبو محمد عبد العزيز القروي	79 -26
الفاسي عبد القادر	51
فضل الدين محمد الخونجي	108
الفشتالي أبو عبد الله	101 -94
ص	
صدر الدين الغماري	89
الصنهاجي أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي	58
الصنهاجي أبـــو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان	114
ق	
القيجاطي أبو عبد الله	114
القروي أبو محمد عبد العزيز الفاسي	79-26

القباب أبو العباس	42 -40
القلقشندي	53
القونوي علاء الدين	73
القرموني أبو عبد الله محمد بن محمد	58
القرشي أبو عبد الله محمد بن هدية	61
القيرواني أبو زيد	24
ر	
الرجراجي أبو زيد	80
الرندي أبو الحسن	113
الرندي ابن عباد	113 -81 -66 -63
ش	
الشاطبي إبراهيم بن موسى	-125-111 -97 -96-66-65-40 144-139-127
الشوذي أبو عبد الله	38 -20
الشريف أبو عبد الله التلمساني	101 -39 -38 -26 -23
الشافعي أبو القاسم محمد بن السلماني	89
شمس الدّين بن القيم الجوزية	88
الشريف أبو يحي	104
شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان	87
شمس الدّين بن سالم	89
شمس الدين محمد بن أحمد بن اللبان	87
شمس الدين محمود الأصبهاني	86

شهاب الدّين أحمد الـــمقّري = أبو العباس المقري	45-50-51-52- 59 -66-100- 104- 107 -113-114-115-118- 121-122-123-124- 125 -147
ت	
تاج الدّين علـــي التبـــريزي	88
تقي الدين ابن تيمية	88-89
التوزري أبو عبد الله محمد المنوفي	84
التميمي أبو عبد الله محمد	61
الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى	108
التمبكتي أحمد	45-50-51-65-75-79-130
ث	
الثعالبي عبد الرحمن	45
الثعالبي عيسى	51
خ	
خالد البلوي	75-76-77- 79 -84
الخونجي فضل الدين محمد	108
الخطيب ابن مرزوق	59- 72 -104
غ	
الغماري الـــمالكي صدر الدّين	89
الغـــني بالله النصري محمد ابن يوسف بن الأحمر	96-97-98-99
الغبريني	21

فهرس الأماكن

أسماء الأماكن	الصفحـــــة
أ	
اصطبونه	91
أغمات	80
الأندلس	18-21-24-28-34-40-58-62-64-80-94-98-99-101- 102-103-104-105-111-115-117-118-128-132
الإسكندرية	81- 83-85
إشبلية	97
افريقية	34-37-92
ايولاتن	47
ب	
بجاية	17-21-23-24-28-33-35-41-49-64- 72- 73-74-75- 79-80-84-85-132
برقة	83
بريكة	44
بلش	91
بلنسية	97
بغداد	81-88
بلاد الشام	82-88
ج	
الجزائر	34

جامع الأزهر	119-85-74
الجامع الأعظم ببجاية	18
الجامع الأعظم بتلمسان	36-18
الجامع الأعظم بغرناطة	111 -110 -107
جامع الزيتونة	76 -75 -74 -18
جبل طارق	91
جامع القصبة	18
جامع القرويين	113-78-74-20-18
جدة	83
د	
دمشق	89-87
هـ	
هنين	96 -95
و	
واد درعة	91
ز	
الزاب	43
الدولة الزيانية	58 -35 -33 -31 -16-12
ح	
الحامة	91
حصن العقاب	12

الدولة الحفصية	12- 33 -71
الحجاز	27-51-82-83-85-88
ط	
طليطلية	97
طرابلس	83
طريف	34
ل	
لوشة	110
م	
مالقة	91- 97- 98
المدينة المنورة	81- 82- 84
مراكش	17-27- 50
مربلة	91
المسيلة	44
مـــغراوة	31
المغرب	12-13-17-19-21-25-26-41- 53 -57- 85-115-131
الـــمغرب الأوسط	13- 30- 32- 33-37-39- 40-41-48-64-83-92
المغرب الأقصى	13- 20 -21-34
المغرب الإسلامي	12-14-15-16-17-18-19-21-23-24-25-26-27-28-30- 35- 40- 41- 42- 57- 64- 108- 115- 129.
مقرة	43-45-46
المقدس	27-81- 89- 90
مكة	62-82-84-88

مصر	74- 82- 83- 85-86- 88
ميناء عيذاب	83
الدولة الموحدية	92-71-33-13-12
الدولة المرينية	15-13
مدرسة "ابنـــي الإمام"	20
مدرسة بقنطرة ابن الساكن	19
مدرسة الحلفائين	20
المدرسة اليعقوبية	20
المدرسة الكبرى	20
المدرسة المستنصرية	19
المدرسة المصباحية	79-21
المدرسة المتوكلية	107-93-21
المدرسة النصرية	107 -98 -21
مدرسة العباد	37-20
مدرسة العطارين	20
المدرسة العنانية	21
مدرسة عنق الجمل	74-19
مدرسة الصهريج	20
مدرسة الصفارين	20
المدرسة الشماعية	74-19
المدرسة التاشفينية	36-20

الـــمدرسة التوفيقية	19
ن	
المدرسة النصرية	107 -21
قبيلة نفزة	86
النيل	83
س	
سجلماسة	91-48 -47
سطيف	44
سبتة	80
السودان الغربي	48
ع	
عنابة	34
العباد	41 -37 -20
ف	
فاس	-96-95-84-82-81-80-68-52-51-39-35-28-24-21-18 -132-117-114-113-111-105-104-102-101-98-97 148-134
فلسطين	89
ص	
الصعيد	83
ق	
القاهرة	87 - 86-83 -51 -50

القيروان	92 -34
قسنطينة	103 -102 -77-35 -34-32
قرطبة	97
قنطرة ابن الساكن	19
ت	
تازة	80 -78
تونس	-78-77-76-64-40-39-38-36-35-33-28-24-23-22-17 132-118-84-83-82-80-79
تلمسان	-49-48-47-46-44-41-39-36-34-33-31-28-24-23-18 -93-85-79-75-72-68-64-63-62-60-58-57-55-51-50 129-119-113-111-110-106-103-95
التكرور	47
غ	
غرناطة	-115-113-111-101-100-99-98-94-93-88-68-64-40 118-117-116

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**، "رواية ورش عن نافع"، الطبعة الثالثة، بيت القرآن للطباعة والنشر، سوريا، 2008م.

❖ **قائمـــة المصـــادر والمراجـــــع:**

- **أوّلاً : الـــمـــصـــادر:**

1. ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني تـــ1110هـــ/1699م)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، لبنان، 1993.

2. ابن أبي زرع علي الفاسي(تـــ 726هـــ/1325م) ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م.

3. ابن الأحمر(أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي تـــ807هـــ/1404م)، **روضة النسرين في روضة دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1411هـــ/1991م.

4. (ـــــــــــــــ)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2001 .

5. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللّواتي الطنجي تـــ776هـــ/1373م)، **رحلة ابن بطوطة**، تحقيق وتعليق علي المنتصر الكناني، ط1،ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت،1985.

6. ابن بكار الزبير، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق محمود شاكر، مكتبة خياط ، بيروت، (ب ت).

7. ابن الحجاج مسلم، **الجامع الصحيح**، مراجعة فؤاد عبد الباقي، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1954.

8. ابن منظور محمد بن مكرم تـــ 711هـــ/1311م)، **لسان العرب**، ج11، دار صادر، بيروت، 1990.

9. ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمد النتلمساني تـــ 781هـــ/1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

10. ابن مريم(أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيا سنة 1014هـ/1605م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، اعتنى به عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

11. ابن العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد بن محمد تـ1089هـ/1678م ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط، ج8، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1408هـ/1988م.

12. ابن عذارى المراكشي(أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ/1312م) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،قسم الموحدين،ج4، نشر كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1963م.

13. ابن فرحون اليعمري (برهان الدّين إبراهيم بن علي بن محمد تـ799هـ/1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان،ط1،دار الكتب العلمية ، لبنان1417هـ/1996م.

14. ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي تـ1025هـ/1615م)، **ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج2، ط1، المكتبة العتيقة، دار التراث ، تونس –القاهرة، 1971.

15. ابن قنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني تـ 810هـ/1407م) ، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس(ب ت).

16. (ـــــــــــ)، **أنس الفقير وعز الحقير**، صححه محمد الفاسي، أودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط،1965م.

17. (ـــــــــــ)، **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1982.

18. ابن ثغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي تـ **774هـ/1470م**) ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج6، تحقيق إبراهيم على طرخان، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972.

19. ابن الخطيب(لسان الدين تـ 776هـ/1374م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، ط1، مكتبة خانجي، القاهرة، 1974.

20. (ـــــــــــــــ)، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2003.

21. (ـــــــــــــــ)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط3، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980.

22. ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن تـ808هـ/1406م)، **مقدمة ابن خلدون**، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005.

23. (ـــــــــــــــ)، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

24. (ـــــــــــــــ)، **ترجمان العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**:ج7، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.

25. ابن خلدون(أبو زكرياء يحي تـ 780هـ/1378م) ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، الجزائر، 2007.

26. الإدريسي أبو عبد الله الشريف تـ 548هـ/1154م)، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

27. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز تـ487هـ/1094م) ، **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، نشره البارون دوس لان، المكتبة الأمريكية والشرقية، باريس، 1965.

28. البخاري أبو عبد الله محمد، **صحيح البخاري**، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم أحمد محمد شاكر، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2004.

29. الجزنائي علي، **جنى زهرة ألآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

30. الواد أشي محمد جابر، **برنامج الوادي آشي**، تحقيق محمد محفوظ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

31. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي تـ 957هـ/1552م) ، **وصف إفريقيا**، تحقيق محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

32. الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسي تـ1149هـ/1736م)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1985.

33. الونشريسى(أبو العباس أحمد بن يحي تـ914هـ/1511م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

34. الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم كان حيا سنة 894هـ/1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور،المكتبة العتيقة، تونس، 1966. 1963.

35. الحموي ياقوت (شهاب الدين تـ 626هـ/1228م)، **معجم الأدباء** ،ج6، ط1،تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

36. (ـــــــــ)، **معجم البلدان**، ج2، دار صادر، بيروت، 1986، ص 432.

37. الحميري محمد عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط1-ط2، مكتبة لبنان ، بيروت، 1975-1984م.

38. الحفناوي (أبو القاسم محمد بن أبي القاسم تـ1936م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، تقديم محمد رءوف الفاسي الحسني، ج2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

39. اليعقوبي(أحمد بن واضح)، **البلـــدان**، وضع حواشيه محمد أمين ضناوى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

40. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، ج3، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

41. الـــمازوني أبو زكرياء ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق حساني مختار، مج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004.

42. الـــمجاري (أبي عبد الله محمد الأندلسي تـــ 862هـــ/)، **برنامج المـــجاري**، تحقيق محمد أبو الأجفان،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

43. مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

44. المقّري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني تـــ1041هـــ/1631م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق سعيد أحمد أعراب- عبد السلام الهراس،ج5، الجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة،مطبعة فضالة،المحمدية،1400هـــ/1980م.

45. (ـــــــــــــــ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968.

46. (ـــــــــــــــ)، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضريتين مراكش و فاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.

47. المقّري (أبي عبد الله محمد بن محمد تـــ 759هـــ/1358م)، **الحقائق والرقائق**، اعتنى به عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ت).

48. (ـــــــــــــــ)، **عمل من طب لمن حب**، تحقيق أبي الفضل العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

49. (ـــــــــــــــ)، **القـــواعـــــد**، تحقيق احمد بن عبد الله بن حميد، ج1، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (ب ت).

50. المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

51. مـــخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر للطباعة والنشر(ب ت).

52. الناصري السّلاوي (أبو العباس أحمد تـــ1315هـــ/1897م)، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، اعتنى به محمد عثمان، مج3، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1971.

53. النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن الـــمالقي كان حيا سنة 793هـــ/1390م)، **تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتابة المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948م.

54. السيوطي (جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر تـــ911هـــ/1505م)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت 2004.

55. (ـــــــــــــــ)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل، ط1، ج1، المكتبة المصرية، بيروت، 2004.

56. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن تـــ 902هـــ/1497م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج6، منشورات مكتبة دار الحياة، (ب ت).

57. القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق،ج1، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.

58. القلصادي، **رحلة القلصادي**، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1985.

59. القلقشندى(أبو العباس أحمد بن عبد الله تـــ 821هـــ/، **نهاية الأرب في معرفة انساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت، القاهرة،1991.

60. الشاطبي، **الإفادات والإنشادات**، تحقيق أبو الأجفان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.

61. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد تـــ1255هـــ/1834م)، **البدر الطالع بـــمحاسن من بعد القرن السابع**، مج 3، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، (ب ت).

62. (ـــــــــــ)، **الفتاوى**، تحقيق أبو الأجفان، تونس، 1981.

63. الشمّاع أبو عبد الله، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية الكتاب، تونس، 1984.

64. الشريف أبو عبد الله، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، ط1، مؤسسة الريان للطباعة و النشر، الجزائر، 1998م.

65. التادلي يوسف بن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق احمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1984.

66. التنبكتي (أبو العباس أحمد بن أحمد بابا تـ 1032هـ/1624م)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تراجم المالكية**، تعليق أبو يحي عبد الله الكندي، دار ابن حزم، لبنان، 2002.

67. (ـــــــــــــــ)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة،جزءان(1-2)، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، (ب ت).

68. التنسي(محمد بن عبد الجليل تـ 899هـ/1493م)، **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

69. الغبرينى(أبو العباس أحمد بن أحمد تـ704هـ/1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- **ثانيـــاً: المراجع:**

1. أبو الأجفان محمد، **الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988م.

2. أبو عمران وفريق من الأساتذة، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص ص 447-449.

3. بوداود عبيد، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(13-15م)**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2003.

4. بوعزيز يحي، **أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

5. بوعياد محمود، **جوانب من الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982.

6. بل ألفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، (ب ط)، دار الغرب الإسلامي، (ب ت).

7. بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمرا سن**، دراسة تاريخية وحضارية (633-681هـ/1235-1282م)،ط1، المكتبة الوطنية، تلمسان، 2005.

8. (ـــــــــــــــ)، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ-633هـ/675هـ-1253م)**، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

9. بن عبد الكريم محمد، **المقري وكتابه نفح الطيب**، دار مكتبة الحياة، بيروت،(ب ت).

10. بن الذيب عيسى وآخرون، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1984م.

11. برو نشفيك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م**، تعريب حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

12. الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.

13. دهينة عطاء الله، **التاريخ السياسي لدولة بني زيان**، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

14. هلال عمار، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3/14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

15. زمري محمد، **الأعلام المغاربة في مصنفات المشارقة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.

16. الزركلي خير الدين، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء عند العرب والمتعربين والمستشرقين، ط5، دار الملايين، بيروت، 1970م.

17. حاجيات عبد الحميد وآخرون، **الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

18. (ـــــــــــــــ)، **أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره**، ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

19. حاجيات عبد الحميد وآخرون، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر1954، وزارة المجاهدين، 2007.

20. حجي محمد، **موسوعة أعلام المغرب**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

21. الحنفي عبد المنعم ، **الموسوعة الصوفية**، ط5،مكتبة مديوني ،القاهرة، 2006.

22. حساني مـــختار، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

23. الحريري محمد عيسى، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

24. الطمار محمد، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

25. (ـــــــــــــــ)، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.

26. (ـــــــــــــــ)، **تلمسان عبر العصور**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007م.

27. كحالة رضا، **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**، دار إحياء التراث الإسلامي(ب ت)، لبنان، ج 10.

28. (ـــــــــــــــ)، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

29. محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982.

30. الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (ب ت).

31. المنوني محمد، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 1996.

32. منصور عبد الوهاب، **أعلام المغرب العربي**، ج3، المطبعة الملكية ، الرباط،1989.عبد العزيز محمد عادل ، **التربية الإسلامية في المغرب، أصولـــها المشرقية وتأثيراتـــها الأندلسية**، الهيئة المصرية الماسة للكتاب،1987م.

33. مرتاض محمد، **من أعلام تلمسان**، منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر 2004.

34. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.

35. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

36. عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية وهران، 2008.

37. عبد الغني محمد، **الـــمقّري صاحب نفح الطيب**، الدار القومية للطباعة والنشر (ب.ت.).

38. عزاوي أحمد، **الغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـــ)، دراسة تحليلية لرسائله**، مطبعة ربانيت، الرباط ، 2006، ص 26-27.

39. عنان عبد الله، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

40. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.

41. فيروز آبادي محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر ، بيروت، 2005.

42. الصعيدي عبد الحكم، **الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها**، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب (ب م)، 1996.

43. شاوش محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

- **ثالثـــاً: الدوريـــات:**

1. بومهرة عبد العزيز، **التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن من الهجرة**، مجلة التواصل العدد 11،جامعة باجي مختار، عنابة، ديسمبر 2003.

2. بوعبدلي المهدي، **أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ**، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر،1975م.

3. بوعزيز يحي، **الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد بن مرزوق الخطيب، وأحمد بن قنفذ الخطيب**، مجلة دراسات جزائرية ، العدد 01، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1997.

4. (ـــــــــــ)، **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية** (1236-1554م)، مجلة الأصالة، العدد 26 السنة1975،

5. بلميهوب حفيظة ، **الفقه المالكي في مدرسة بجاية خلال القرن السابع و الثامن الهجريين، (القسم الأول)**، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 09، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر، جوان 2006.

6. بنعلي محمد بوزيان، **من نوادر المخطوطات التعريف بالمقري لأبي العباس الونشريسي**، مجلة دعوة الحق، العدد 331، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 1997.

7. بختاوي قاسمي، **المدارس بتلمسان في عهد بني زيان**، مجلة الفكر الجزائري، العدد 4، مخبر المرجعيات الفلسفية، تلمسان، ديسمبر 2009م.

8. الزاوي رشيد، **التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي**، مجلة الحضارة، العدد1، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ/1993م.

9. زمامه عبد القادر، **المقري الجد**، مجلة دعوة الحق، العدد 2، السنة التاسعة، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ديسمبر 1965.

10. (ـــــــــــ)، **الحقائق والرقائق**، مجلة دعوة الحق، العدد 8، السنة التاسعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ديسمبر 1965.

11. حاجيات عبد الحميد، **تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة الحضارة، العدد1، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ/1993م.

12. مشنان محمد، **المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية**، مجلة رسالة المسجد، العدد 87، جويلية، 2003م.

13. سيدي موسى محمد شريف، **التربية والتعليم بالجزائر في العصر الوسيط**، حولية المؤرخ، العدد 02، 2002م.

14. قدور وهراني، **الأبعاد الفكرية والسياسية لموقف الآبلي من اتخاذ المدارس بتلمسان**، مجلة الفكر الجزائري، العدد 4، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية،تلمسان، ديسمبر 2009م.

- **رابعـــا المراجع باللغة الأجنبية:**

1. Barges (Ij), **complément de l'histoire de Beni Zeyan-rois de Tlemcen**, Ernest Lanoux librairie, Paris, 1887

2. Bourouiba Rachid, **l'art religieux musulman en algèrie**,send ,1973.

3. Ch.broseelard, « **tombeaux des familles el makkâri et el okbani** », revue africaine, tom volume 5 année, N°30,paris, 1961.

4. Dhina (A), le royaume abd elouadide à l'époque d'Abou hamou moussa 1er ET d'Abou tachfin 1er, o.p.u/ENAL, Alger.

5. Marçais (G) et William, les **monuments arabes de Tlemcen,** fonte oing, paris, 1905.

- **خامســـاً: الرسائل الجامعيـــة:**

1. بودواية مبخوث، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الزيانين**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، 2006.

2. بلعرج عبد الرحمن، **العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية ودولة المماليك**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان،2007.

3. بن داود نصر الدين ، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من ق7هـ–13م إلى ق10هـ 16م**، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2003.

4. (ـــــــــــ)، **بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن 7هـ/13م إلى القرن10هـ/16م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ،جامعة تلمسان،2011م.

5. سيدي موسى محمد الشريف ، **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13–16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2001.

6. عبدلي لخضر، **الحياة في الثقافة في المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط،قسم التاريخ،جامعة تلمسان 2005.

7. رياح سعاد، **منهج الإمام الـــمقّري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ،2007.

8. رفاف شهرزاد، **أبو عثمان سعيد العقباني حياته وأثاره (تـــ811هـــ/1408م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، المركز الجامعي بشار، 2007م.

الفهرس

الفهرس

دعـــاء .....
تشكـــرات .....
الإهداء .....
مقدمـــة ..... أ-ي
مدخـــل 12- 28

الفصل الأول : أبو عبد الله المقّري وحياته بتلمسان .

تـــمهيد 30

أولا: عـــصـــره 30

عصره السياسي 31

عـــصره الثقافـــي 35

ثانيًا: التـــعريف بشخصية أبـــي عبد الله الـــمقّري 44

أسرته واستـــقرارها بتلمسان 43

اســـمه ونـــسبه 51

مـــولـــده و نشـــأته 54

3. 1. مـــولـــده: 54

3. 2. نـــشـــأتـــه 56

ثالثا: حيـــاته العـــلمية بـــتلمسان 58

طلبه للعلم وشيوخه بتلمسان 58

صفاته ومنـــزلته العلـــمية 64

الفصل الثاني: رحلة المقّري العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي.

تمهيد 69

أولا: رحلته العلمية إلـــى حواضر الـــمغرب الأدنـــى 69

أسباب الـــرحلة 69

رحلـــة الـــمقّري إلى بـــجاية 71

رحـــلتـــه إلـــى تـــونـــس 74

ثانياً: رحلته إلى الـــمغرب الأقـــصى والأنـــدلـــس 78

ثالثًا: رحـــلـــة أبـــو عبد الله الـــمقّـــري الـــمشرقيـــة 81

رحلتـــه إلـــى الحـــج 81

تنـــقلاته بيـــن أقـــطار الـــمشرق 85

2. 1. رحلته إلى مصر 85

2.2. رحلته إلى بلاد الشام 88

رابعًا: رحلته الثانية إلـــى المغرب الأقصى والأندلس 91

رحلته الثانية إلـــى فاس 91

سفـــارته إلـــى غرناطة 96

3. عودته إلى فاس ووفـــاتـــه بها 100

3. 1 . عودته إلى فاس ووفـــاتـــه بها 100

3. 2. وفاته 102

الفصل الثالث: دور أبي عبد الله المقّري في الحركة الفكرية بحواضر المغرب الإسلامي.

تمهيد 106

أولا: الـــدور الـــعلمي لأبي عبد الله الـــمـــقّري 106

دوره في الـــتعليم: 106

طـــريـــقتـــه في الـــتدريـــس 106

1. 2. تـــلامـــيذه 109

2. مؤلفاتـــــه 115

2. 1. الـــفقـــــه 115

2. 2. الـــتصـــوف 122

3.2. مـــواضيع مـــختلفة 123

3. شعـــــره 125

ثانيا: دوره في الـــقضـــــاء و الفتـــوى 128

دوره في الـــقضـــاء 128

. طـــريـــقتـــه في الـــقضـــاء 128

. نماذج من أقضيته 128

فـــتـــاويـــــــه 131

1.2. منهـــج المقّـــري في الفـــتـــوى 131

2.2. نـــمـــاذج من فـــتـــاويـــه 134

ثالثا : دوره في إصلاح أوضاع عصره من خلال أرائه الإصلاحية 134

1.آراؤه الإصلاحيـــة 135

2. مـــواقـــفـــه 145

2. 1. مـــوقـــف الـــمقّري مع نـــقيب الأشـــراف بـــفـــاس 145

2. 2. الـــمقّري والسلطان أبو عنان أثناء شرح حديث "الأئمة من قريش" 146

2. 3. الـــمقّري مـــع شيخـــه ابـــن الـــحكم 147

خاتمة: 154

ملحق 157

فهرس الأعلام والأماكن..... 169

قائمة المصادر والمراجع..... 193

ملخص

الملخّـــص:

تهدف هذه الدّراسة إلى التّعريف بشخصيّة أبي عبد الله الـــمقّري(تـــ: 759 هـــ) ومكانته العلمية، حيث تسعى للكشف عن دور رحلته العلميّة في دفع الحركة الفكريّة بتلمسان وحواضر المغرب الإسلامي، ومساهمته في تجسيد التّواصل العلمي فيما بين هذه الحواضر من خلال تولّيه لمناصب سامية في مُعظم البلاد التي حلّ بها كالقضاء والسفارة والتّعليم، الذي كوّن بفضله تلامذةً أعلاماً كان لهم الدّور البارز في إتمام جهوده العلميّة.

كما أبرزت الدراسة أهم ما خلّفه من مؤلفاتٍ مُدوّنة في فنون مختلفة وشعرٍ وآراء فقهيّة إصلاحيّة. فكان له بذلك عظيم الأثر في إرساء دعائم النّهضة الفكرية وإقرار المذهب المالكي بحواضر المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن هجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي.

الكلمات المفتاحية:

الـــمقّري، الرّحلة العلميّة، مقّرة، تلمسان، حواضر المغرب الإسلامي، الحركة العلميّة.

بالّغة الفرنسية :

Cette recherche vise à faire connaitre la personnalité d'Abi Abd El Allah El Makàri (mort en 759 hégirien) et sa place scientifique Son but est aussi montrer le rôle de son voyage scientifique à pousser le mouvement intellectuel à Tlemcen et les lieux du savoir dans le Maghreb islamique, ainsi que sa participation à appliquer la continuité scientifique entre ces lieux en occupant dans plusieurs régions différentes postes importants tels que : la justice, l'embassade et l'ensgnement qui grâce à lui de nombreux disciples on été formés et ont achevé les efforts de leur maître .

La recherche a démontré aussi ses principales œuvres laissées écrites dans différents arts, poésie et ……..et cela en participant à fixer les normes de la révolution intellectuelle ainsi que le mouvement maliki dans les lieux du savoir au Maghreb islamique durant le huitième siècle hégirien correspondant au quatorzième siècle après jesus-christ.

Mots clés :

El Makàri - le voyage scientifique – Tlemcen – Makara - lieux du savoir au Maghreb islamique - le mouvement scientifique.

باللغة الانجليزية:

This study highlights the life of Abi Abdellah el Makari and his great deal with researches and sciences. It also discovers his role in improving the intellectual movement in tlemcen and many countries of the maghreb.

Nof to forget his role in realizing the scientific relation link between these countries. Through his occupations all over the countries where he lived; such as a judge, an ambassador, and a teacher. As result, he formed many great students who continued his scientific efforts.

In addition, this study has shown the main productions which Abi Abdellah el Makari left in many domain; poems other arts and his Islamic educational opinions.

To sum up, this man had the most important print in many intellectual, educational and religions domains during 14th century.

Key Word:

The scientific journey - Tlemcen - Makara - places knowledge in the Islamic Maghreb - the scientific movement